الجمهوريـــــة الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشّعبيـــة

وزارة التّعليم العالــي والبحـث العلمــي
جـــامعة وهـــــران

كلّيـــة العُلـــوم الإنسانيـــة والحضـــارة الإسلاميـــة
قسم: الحضـــارة الإسلاميـــة

الفكر السّياسي عند الشّيخ المغيلي التّلمساني ودعوته الإصلاحية بتوات والسّودان الغربي
(870-909هـ/1465-1503م)

إعداد الطّالب:
ياسين شبايبي

~~~

بإشراف الدكتورة:
جهيدة بوجمعـة

السّنـة الجامعيـة:
1427-1428هـ/2006-2007م
~~~





أهدي هذا العمل المتواضع

إلى سيّدي وحبيبي محمّد طه عليه أزكى الصّلوات وأتمّ التّسليم

إلى الوالدين الكريمين أبي وأمّي أطال الله عمرهما

إلى روح الصّديق الغالي محمّد زيّان رحمه الله

وإلى أسرة مخبر مخطوطات شمال إفريقيا بكلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية،

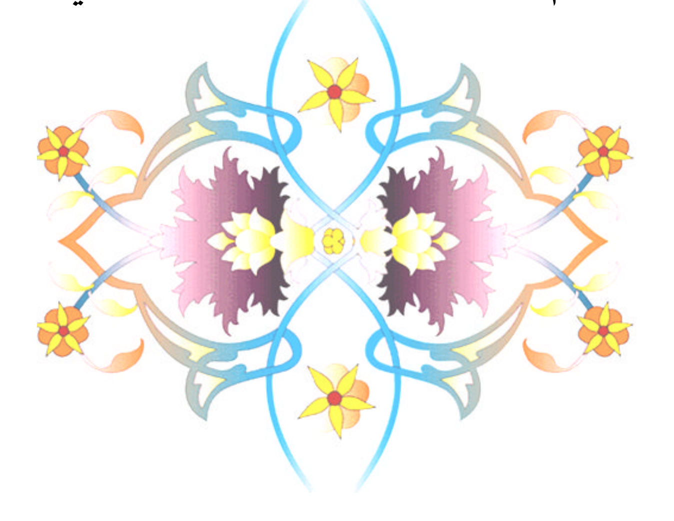
وعلى رأسهم الأستاذ الدّكتور عبد المجيد بن نعمية

وإلى زملائي في دفعة الماجستير لسنة 2003: الحسين وعبد الرحمن وأمل وسعاد

وإلى البراعم : زكرياء، عبد الحقّ، جهان، هاجر، محمّد إسلام، وأسماء

وإلى جميع الأهل والأحبّة والأصدقاء

وإلى كلّ طلبة العلم ، والباحثين وراء الجديد في مجال المخطوطات





أكون ناكراً للجميل، وجاحداً للفضل إن لم أعترف بكرم، وفضل مشايخي وأساتذتي الذّين لم يبخلوا عليّ بعلمهم ونُصحهم، وتوجيهاتهم ومساعداتهم لي طيلة مراحل وأطوار دراستي، إليهم جميعاً شكري وامتناني وخالص محبّتي، وعلى رأسهم الأستاذة الفاضلة الدّكتورة "جهيدة بوجمعة"، التّي أشرفت عليّ في هذا البحث وحرصت على أن يكون العملُ جادّا وناجحاً، بكثرة توجيهاتها ونصائحها، وحماسها الدّائم الذّي شجّعنــي على إتمام الدّراسة، فلها منّي جزيل الشّكر وفائق عبارات التّقدير...

كما أتقدّم بالشّكر الجزيل إلى الأستاذ الدّكتور عبد المجيد بن نعمية الذّي أتاح لنا فرصة البحث الأكاديمي، بحرصه الدّائم والدّؤوب على تكوين خيرة الطّلبة، بعلمه وتواضعه، فقد عهدناه دائماً شيخاً وأباً في المقام الأوّل، فنعم الشّيخ ونعم الأب..

كما أتقدّم بشكري إلى أساتذتي الأفاضل: الدّكتور محمّد بن معمّر والدّكتور الجيلالي سلطاني، والدّكتور سليمان بوعصبانة، والأستاذة شريفة زرهوني والأستاذ أحمد الحمدي بقسم الحضارة الإسلامية على تعاونهم وتوجيهاتهم لي طيلة فترة إنجاز هذا العمل.

كما أتقدّم بالشّكر الجزيل إلى الشّيخ الفاضل شاري الطّيب بن عبد الله البلبالي الذّي لم يبخل عليّ بتقديم يد المُساعدة، خاصّة فيما يتعلّق بالمخطوطات، في وقت وُصدت في وجهي جميع الأبواب من قبل أصحاب الخزائن، كما كان عوناً لي في فكّ الكلمات الصّعبة التّي تميّزت بها بعض المخطوطات، فله منّي أطيب كلمات الشّكر والعرفان..

كما أتقدّم بالشّكر الجزيل إلى الأساتذة الأفاضل بالجامعة الإفريقية "العقيد أحمد دراية" بأدرار على مساعداتهم وتوجيهاتهم القيّمة لي، وعلى رأسهم الأخ الكريم والأستاذ الفاضل الدّكتور يحي وناس، والدّكتور المصري مبروك والأستاذ الصّدّيق حاج أحمد، والدّكتــور محمد حوتية، والأستاذ عبد الله عبّاس، وأستسمحهم على جهدهم ووقتهم الثّمين..

كما أتقدّم بالشّكر الجزيل إلى الحاج مصطفى غرمي وعائلته الكريمة بوهران، وإلى الحاج رشيد لمطاعي، والشّيخ محمّد الطّلحاوي، والشّيخان عبد الله ومحمّد عزيزي، والأخوان الشّريف والحبيب بن ديدي وإلى

جميع عائلاتهم بأدرار، والأخ الفاضل محمّد لخضر أقاسم.. على كرم الضّيافة، وحسن المعروف.

كما أتقدّم بالشّكر الجزيل إلى جميع عاملي المكتبات: بكلّية الحضارة، ومعهد التّاريخ، والمركز الثّقافي الإسلامي، والمكتبة المركزيّة، ومكتبة متحف أحمد زبانا، ومكتبة CDES بوهران، والمكتبة الوطنية الحامّة، ومكتبة جامعة بوزرّيعة بالعاصمة، والمكتبة الجامعيّة بتلمسان وأدرار.. على تعاونهم وصبرهم الجميل..

وإلى جميع من ساعدني في إتمام هذا البحث من قريب أو بعديد..

وشكري وتقديري الكبير إلى المشايخ والدّكاترة الأفاضل الذّين شرّفوني بمناقشة هذه المذكّرة

ياسين شبايبي




قبس
"إنْ كَانَتِ الكُتُبُ فيِ آخرِ الزَّمَانِ خَزَائِن للعُلُومِ
فَإنَّ مَفَاتِيحَ مَعَاقِلِهَا فيِ الصُّدُورِ".
"وَلَيْسَ العِلْمُ بِكَثْرَةِ الكُتُبِ، ولاَ بِقراءتِها، وَحِفظُهَا
منْ صَنْعةِ الأطفالِ. لَيْسَ كُلّ مَنْ لَهُ كُتُباً يَقْرَؤُهَا،
وَلَيْسَ كُلّ منْ حَفِظَهَا يَفْهَمُهَا، العِلْمُ نورٌ وَكُلُّ النّاسِ
يَطْلُبُهُ، وَهَلْ يَرَى النُّورَ مِنْهُم غَير ذِي بَصرٍ".
ـ محمّد بن عبد الكريم المغيلي

كان القرنين الثّامن والتّاسع الهجريين (14 و15م) حلقة وصل بين فترتين تاريخيّتين هامّتين من تاريخ الإسلام والمُسلمين، فترة الحضارة الإسلاميّة الزّاهرة التّي انقضت باجتياح المغول للعراق، وسقوط الخلافة العباسية ببغداد، وبسُقوط غرناطة آخر معاقل الإسلام بالأندلس، وبين فترة الحُكم العُثماني لمعظم بلاد العالم الإسلامي، ورغم التّطوّرات الخطيرة التّي مسّت الحياة الاجتماعية والاقتصادية لشعوب العالم الإسلامي من جرّاء التّغييرات الكبيرة التّي شهدتها خريطته السّياسيّة والجغرافيّة، إلاّ أنّ ذلك لم يمنع من سيرورة الحياة الثّقافيّة والعلميّة، ففي بلاد المغرب الإسلامي مثلاً ظهرت حركة علميّة وثقافية واسعة، يشهد على ذلك كثرة العُلماء والفقهاء، وانتشار العديد من مراكز العلم في مختلف أقطار البلاد، وقد ظهر بتلمسان حاضرة الزّيّانيين بالمغرب الأوسط آنذاك، مجموعة من الأسر التّي اشتهرت بتوارث العلم، والرّيّادة في الإفتاء والقضاء، ونخبة من العُلماء الأجلاّء الذّين نبغوا في شتّى الفنون والمعارف، انتعشت من خلالهم الحياة الثّقافيّة والحضاريّة للبلاد، وكان لبعضهم مُشاركة فعّالة حتّى في الحياة السّياسيّة. وكان من هذه الأسر أسرة "المغيلي"، والتّي ينحدر منها القاضي، والفقيه العالم محمّد بن عبد الكريم المغيلي التّلمساني.

كان المغيلي واحداً من عُلماء تلمسان القلائل، الذّين جمعوا بين مجال العلم وما يتعلق به من تحصيل وتدريس، وبين مُمارسة السّياسة، ومُحاولة الإصلاح بالرّجوع إلى تعاليم الدّين من منابعه الأصيلة. ورغم الاختلاف الحاصل بين المؤرّخين والباحثين حول تفاصيل عديدة من حياته، كتاريخ ميلاده، وتحديد تاريخ رحلاته، وحصر شيوخه، وتلامذته، إلاّ أنّهم أجمعوا على أنّه كان عالماً فقيهاً في العديد من العلوم وفنون المعرفة، ورحّالةً نبيهاً، عاش فترة صباه بمسقط رأسه تلمسان، وفترة شبابه ونشأته العلمية بينها وبين بجاية، والجزائر، وسنواتٍ طوال من حياته بقصور توات المُترامية في الصّحراء، وبلاد السّودان الغربي والتّكرور، مُحاولاً تجسيد أفكاره، ومبادئه، وأعماله الإصلاحيّة، فحياة الرّجل كانت حافلةً بالنّشاط والعطاء والكفاح.

يقوم موضوع هذا البحث أساساً على دراسة الفكر السّياسي عند هذا الشّيخ، انطلاقاً من آرائه وأفكاره في السّياسة الشّرعيّة، والأدب السّلطاني، والتّي حوتها بعض آثاره المخطوطة والمطبوعة، مع إبراز دوره الكبير في عمليّة الدّعوة والإصلاح بإقليم توات، وبعض إمارات وممالك بلاد السّودان الغربي مع نهاية القرن التّاسع الهجري (15م)، برسم نشر العقيدة الإسلامية، وإصلاح المُعتقدات والعادات الفاسدة، وتعليم اللّغة العربيّة، ونشر الفقه المالكي، والطّريقة القادريّة في التّصوّف. ومُحاولة المُشاركة في تغيير بعض الأوضاع التّي عرفتها تلك المناطق؛ حيث حظي بمكانة خاصّة لدى بعض السّلاطين والأمراء في المناطق التّي زارها.

كما تناولت هذه الدّراسة عدّة جوانب هامّة كان لها الفضل في تشكيل الشّخصية الذّاتية للرّجل، كالسّياق التّاريخي العام الذّي ظهر به عصره، وتأثير الإطار المرجعي الأعلى للفكر السّياسي الإسلامي، والإطار الحضاري للخبرة الإسلامية في كلّ أفكاره السّياسيّة، وأعماله الإصلاحيّة.

والإشكاليّة الرّئيسيّة التيّ عالجتها هذه الدّراسة هي: ما هي الملامح العامّة التّي شكّلت الفكر السّياسي عند المغيلي، وما هي أهمّ النّقاط والمسائل التّي حاول معالجتها في مؤلّفاته في السّياسة الشّرعيّة، والأدب السّلطاني؟ وما هي أهمّ الأعمال التّي قام بها في مشواره الإصلاحي بتوات والسّودان الغربي والتّكرور؟ وما هي أهمّ الآثار التّي تركتها هذه الإصلاحات سواء على المستوى القريب وحتّى البعيد؟

وتندرج تحت هذه الإشكاليّة العديد من التّساؤلات منها: ما مدى تأثير الجوّ العام لعصر المغيلي، والبيئة التّي عاش بها على فكره السّياسي؟ وكيف حاول التّعبير عن هذا التّأثر؟ أو بعبارة أخرى كيف كانت ردّة فعله على الأوضاع السّياسيّة الخطيرة التيّ آل إليها العالم الإسلامي عامّة، والبيئة التّي عاش فيها على الخُصوص؟ وما مدى تأثره برواد الفكر السّياسي العالمي، وروّاد الفكر السّياسي الإسلامي؟ وهل استطاع أن يخلق بفكره نظريّات جديدة، يرتقي بها إلى كبار المنظرين في فنّ السّياسة والأدب السّلطاني؟ أم أنّ فكره كان عبارة عن مجرّد مرآة عاكسة لأفكار من سبقه؟ وأنّ أفكاره لا تتجاوز المُحيط الذّي عاش فيه؟

كان اهتمامي كبيراً بمحاولة دراسة تاريخ أحد أعلام تلمسان الزّيّانيّة ومنطقة توات، فكلا المنطقتين عرفتا حركة ثقافية وعلميّة لا مثيل لها، وإذا كان اختيار فترة القرن التّاسع الهجري(15م) مجالاً للإطار الزّمني للدّراسة، فذلك يرجع بالدّرجة الأولى إلى عدم دقّة بعض الدّراسات التّي تناولت هذه الفترة، والتّي تحتاج إلى العُمق في المُعالجة والطّرح، خاصّة في تاريخ بلاد المغرب الأوسط، وما يتعلق بدراسة أعيانها وأعلامها البارزين.

أتت الزّيّارات المُتكرّرة لبعض خزائن المخطوطات بولاية أدرار أكلها في اختيار موضوع البحث، فرغم البحوث العديدة التّي أجريت حول تاريخ هذه الشّخصيّة، إلاّ أنّ أكثرها بقي ناقصاً لسببين هامّين، إمّا لكونهالم تأت على نهج الأسلوب الأكاديمي المُتّبع في مثل هذه الدّراسات، وإمّا لأنّها تشترك في المضمون نفسه، والذّي نجده يتكرّر في العديد من البحوث، والذّي يقتصر فقط على بعض القضايا التّي شغلت حياة وفكر المغيلي، كقضيّة يهود توات الشّهيرة، أو مراسلاته مع الشّيخ جلال الدّين السّيوطي حول علم المنطق.

حُدِّدت الفترة الزّمنيّة للدّراسة بالتّاريخ الممتدّ من سنة 870هـ/1465م إلى سنة 909هـ/1503م، كونها تمثل مرحلة هامّة من عطائه الفكري، أين تفرّغ للتّأليف في ميادين الإصلاح والنّظم الإسلامية، والسّياسة الشّرعية من جهة، ومرحلة لكفاحه

الطّويل وإصلاحاته من جهةٍ أخرى، والتّي بدأت بانتقاله من تلمسان إلى قصور وواحات توات، مروراً برحلته الطّويلة إلى الجنوب فيما وراء الصّحراء، ببعض إمارات وممالك السّودان الغربي، لتنتهي بوفاته بتوات.

قبل أن يخرج هذا البحث إلى الصّورة التّي هو عليها واجهته العديد من المشاكل والصّعوبات، كان من أهمّها، صُعوبة قراءة الخطّ الذّي ظهرت به تلك النّسخ المصورة الرّديئة عن المخطوطات للمرّة الثّالثة أو الرّابعة؛ حيث أخذت الكثير من العناء والوقت، فالحُصول على الأصل من المخطوط الذّي صُوّر عليه يعدّ من المُستحيلات مع أصحاب الخزائن الخاصّة، والذّي أصبح الوُصول إليهم لا يتمّ بيسر!، كما شكّلت بعض الآثار المفقودة للشّيخ المغيلي ثغرة في بعض نقاط البحث، كونها تحمل العديد من الإجابات على العديد من التّساؤلات والإشكالات، خاصّة فيما يتعلّق بقضيّة تصوّفه، وموقفه من أدعياء الولاية والعلم، والملبّسين في الدين الذّين حاربهم. ورغم الجهد الذّي بُذل في البحث عنها في العديد من مراكز البحث، من مواقع إلكترونية، ومكتبات وخزائن مخطوطات: كالمكتبة الوطنيّة(العاصمة)، خزانة الشّيخ عبد الله البلبالي كوسام، خزانة أبناء عبد الكبير المطارفة، زاوية سيد البكري بتمنتيط، خزانة ملوكة، مكتبة الشّيخ بلكبير(رحمه الله)، مكتبة جمعية الأبحاث التاريخية(أدرار)، المركز الثّقافي الإسلامي للعشعاشي(تلمسان)..، إلاّ أنّ كلّ ذلك انتهى بدون نتيجة، وكان السّبيل الوحيد لتدارك هذا النّقص بإدراج بعض أفكاره التّي حوتها بعض آثاره الأخرى المتوفّرة.

كان المنهج المُتّبع في هذا البحث هو المنهج التّحليلي المُقارن، والذّي تمّ من خلاله عرض أهمّ التطوّرات التّاريخية التّي اقترنت بعصر المغيلي وتحليلها، بدراسة أهمّ الأوضاع والأحداث التّي ميّزت هذه الحِقبة، وكلّ طرف منها في إطاره المكاني المُعيّن، كما ناقش البحث أهمّ أفكاره في السّياسة الشّرعيّة والأدب السّلطاني؛ حيث كانت الاستعانة بما كتبه سابقوه في هذين البابين من أجل الاستشهاد بآرائهم من جهة، ولمناقشة ومقارنة أفكاره التّي توصّل إليها بعد عرضها وتحليلها من جهة أخرى، لأنّ جلّ مؤلّفاته تتميّز بشدّة الإيجاز مع دقة التّعمّق في مُعالجة القضايا؛ إذ كانت عائقاً في العديد من نقاط البحث، فكان المنهج التّحليلي المُقارن الأنسب في مثل هذه البحوث.

اعتمدت هذه الدّراسة على العديد من المصادر والمراجع المتنوّعة، فأمّا المصادر فكان على رأسها المخطوطة منها، وتأتي في مقدّمتها مؤلّفات المغيلي نفسه فهي المحور الأساسي لهذا البحث، حيث اعتُمد على مخطوط "رسالة الإمارة" أو كما يُسمّيه بعض الدّارسين "بتاج الدّين فيما يجب على المُلوك والسّلاطين"، قسّمه المغيلي إلى ثمانية أبواب، وهو أهمّ ما ألّف في السّياسة الشّرعيّة والأدب السّلطاني، ضمّ في طيّاته عدداً كبيراً من أفكاره السّياسية جاءت على شكل نصائح وتوجيهات وآداب سلوكيّة تقدّم بها لأمير "كانو" ببلاد السّودان

الغربي. كما اعتمدت على مخطوط "ما يجب على المسلمين من اجتناب الكفّار وما يلزم أهل الذّمّة من الجزية والصّغار"، قسّمه المغيلي إلى ثمانية فصول، وكما يتّضح لنا من عُنوانه فهو يندرج ضمن موضوع أهل الذّمّة من اليهود، وهو يتطرّق إلى الأحكام الشّرعيّة الخاصّة بهم، وإلى بعض الأوضاع التّاريخيّة التّي كانوا عليها مع أنصارهم بإقليم توات. كما استخدمت مخطوطه المُسمّى "مصباح الأرواح في أصول الفلاح" وقد ضمّ أهمّ آراءه العقديّة، وفيه مُناقشة لأهمّ مسائل التّوحيد، كما أنّه حوى بعض الإشارات الهامّة التّي تدلّ على بعض آرائه السّياسية، والتّي أفادت البحث كثيراً خاصّة فيما يتعلّق بمسألة أهمّية الخلافة وضرورتها. ضف إلى ما سبق مخطوط "رسالة إلى كلّ مسلم ومسلمة" وهو في اليهود كذلك، لا تختلف الأفكار التّي جاءت فيه عن مخطوط "عمّا يجب على المسلمين من اجتناب الكفّار.."، غير أنّها جاءت بشيء من الاختصار، وهي التّي نشرها رابح بونار لكن بعنوان خاطئ"مصباح الأرواح في أصول الفلاح".

ومن المصادر المخطوطة الهامّة التّي تعزّز بها البحث: كتاب "الطّرائف والتّلائذ في مناقب الشّيخين الوالدة والوالد" لمحمّد بن المختار الكبير الكنتي، جعله صاحبه في موضوع التّصوّف والأخلاق، وجمع فيه عدداً من أخبار المتصوّفة القادريين الذّين جاؤوا بعد المغيلي مع إيراد كراماتهم التّي كثيراً ما تتحوّل إلى استطرادات خُرافيّة لا يستوعبها العقل ولا المنطق.

ومن بين المصادر المطبوعة التّي دعّمت البحث، كتاب "أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي" والذّي اعتنى بتحقيقه ونشره عبد القادر زبايديّة، وتتجلّى أهمّية هذا الكتاب الذّي ألّفه المغيلي للأمير "أسقيا حاج محمّد" بإمارة كاغو في كونه وثيقة تاريخيّة هامّة لمملكة "السّنقاي"، وباقي إمارات السّودان الغربي كون مؤلفه كان مُعاصراً لجلّ تطوّرات تلك المناطق، حيث تحدّث في العديد من مسائله عن أوضاع تلك البلاد السّياسية، والاجتماعية، والثّقافيّة، والاقتصادية، كما يعتبر مصدراً هامّاً لأفكار المغيلي السّياسيّة والفقهيّة والعقديّة.

وتعَدّ مؤلّفات أبي الحسن الماوردي: "الأحكام السّلطانية والولايات الدّينيّة"، "تسهيل النّظر وتعجيل الظّفر في أخلاق الملك وسياسة الملك"، من أهمّ المصادر إفادة للموضوع خاصّة في مُقارنة الأفكار السّياسيّة للمغيلي وتحليلها، فهي تُعدّ بحقّ مرجعاً أساسيّاً لأصالة الفكر السّياسي الإسلامي، والذّي مصدره الأساسي الكتاب والسّنّة، كما أنّ الماوردي من خلال هذين الكتابين عبّر عن مُشاركته الفعّالة في إثراء فنّ الأدب السّلطاني، والذّي يقوم على تقديم النّصح والوعظ لأولي الأمر من المُسلمين. كما تدعّمت الدّراسة بمؤلّفه الشّهير "أدب الدّنيا والدّين" في مُناقشة الأخلاق والآداب التيّ يجب على الأمراء والسّلاطين التّحلّي بها، والتّي أشار إليها المغيلي في مؤلّفاته السّياسيّة.

كما اعتمدت على كتاب "السّياسة الشّرعيّة في إصلاح الرّاعي والرّعيّة" للشّيخ أحمد بن تيمية، فرغم ما يتميّز به من إيجاز إلاّ أنه يبقى مصدراً رئيسيّاً في

بابه، باب السّياسة الشّرعيّة، حيث لا تكاد تجد عالماً ممّن تبعه إلاّ وتأثر بأفكار هذا الكتاب ونقل عنه، وتكمن أهمّيته في هذه الدّراسة في كونه كان له تأثير أساسي على الفكر السّياسي الإصلاحي للمغيلي. وكذا كتاب "السّياسة" أو "الإشارة في تدبير الإمارة" للمُرادي الحضرمي المغربي وهو من عُلماء القرن الخامس الهجري (11م)، وهو كتاب يتميّز صاحبه بالدّقة والوسطيّة في مُعالجة القضايا، كتبه في فنّ السّياسة الشّرعيّة والسّلوك السّلطاني. وأيضا كتاب "الشهب اللاّمعة في السياسة النافعة" لعبد الله بن رضوان المالقي الأندلسي من عُلماء القرن الثّامن الهجري (14م)، أفاد البحث كثيراً؛ حيث أنّه عبارة عن موسوعة في السّياسة والأدب السّلطاني، جمع فيه صاحبه مختلف آراء وأقوال العُلماء المشاهير من المُسلمين، وحتّى الفرس والهُنود والإغريق، وما يُعاب عن هذا الكتاب أنّ صاحبه لم ينقد أو يُناقش هذه الآراء بل اكتفى بسردها وإيرادها.

ومن أهم المصادر التّاريخيّة إفادة في هذه الدّراسة "كتاب العبر" لابن خلدون، خاصّة الجزء السّادس والسّابع منه، وهذا الكتاب لا غنى للباحثين عنه خاصّة في تاريخ بلاد المغرب كونه مصادراً مغربيّاً بالدّرجة الأولى، كما أنّه العُمدة في التّعريف بالقبائل والشّعوب والدّول التّي قامت في هذا الحيّز الجغرافي وفي دراسة أنسابها. وكذا كتاب "الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى" لأبي العبّاس السّلاوي النّاصري، خاصّة الجزء الرّابع منه.

ومن المصادر الهامّة كذلك كتاب "المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب" لأحمد الونشريسي وهو كتاب نوازل، استعنت بالجزء الثّاني منه حيث أفاض فيه في ذكر نازلة بيع يهود توات، وينفرد عن غيره من المصادر بذكر أجوبة علماء بلاد المغرب الإسلامي في هذه المسألة. وكذا كتاب "القول البسيط في أخبار تمنتيط" لمحمّد الطّيب بن عبد الرّحيم والذّي حقّقه ونشره فرج محمود فرج، وهو مصدر محلّي هام في تاريخ مدينة تمنتيط ومنطقة توات، إذ ينفرد بذكر القبائل العربية التّي استوطنت المدينة، وكذا أهمّ أعلامها.

وكان الاعتماد كبيراً على كتاب "نيل الابتهاج بتطريز الدّيباج" لأحمد بابا التنبكتي وهو كتاب تراجم، يُعدّ من الأوائل الذّين ترجموا للمغيلي، وقد أفاد كثيراً في التّرجمة له إذ يحتوي على العديد من الإشارات التّاريخيّة الموجزة التّي ينفرد بإيرادها، كما أُستعين بهذا الكتاب وكتابه الآخر المُسمّى "كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الدّيباج" في التّعريف والتّرجمة للعديد من الأعلام الذّين جاء ذكرهم في فصول البحث. ومن مصادر التّراجم الهامّة كذلك كتاب"ألف سنة من الوفيّات" الذّي حقّقه محمّد حجّي، وهو يضمّ ثلاث كتب: "وفيات الونشريسي"، و"شرف الطّالب في أسنى المطالب" لابن القنفذ القسنطيني، و"لقط الفرائد" لأحمد بن القاضي، وهو من كتب التّراجم الهامّة إذ يُترجم لعدد كبير من العُلماء والمشاهير، وعبر فترات تاريخيّة طويلة. إضافة إلى كتاب "دوحة النّاشر

لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر" لمحمّد بن عسكر الحسني، وهو كتاب تراجم بالدّرجة الأولى، ينفرد بذكر رحلة المغيلي إلى فاس لمقابلة علمائها وسلطانها.

ومن أهمّ كتب الرّحلات إفادة لهذا البحث كتاب "وصف إفريقيا" للحسن الوزّان الفاسي، خاصّةً في التّعريف بالأقاليم، والمُدن، والدّول، سواء في بلاد المغرب الإسلامي، وحتّى ببلاد السّودان الغربي، ولهذا الكتاب أهمّية كبيرة في دراسة التّاريخ الحضاري والسّياسي لمناطق عديدة من القارّة؛ حيث يعتمد على الرّوايات التّاريخيّة، إلى جانب وصفه الجغرافي للمناطق، وللعادات، وطبائع القبائل والشّعوب المُختلفة، ويُعاب عليه وقُوعه في بعض الهفوات والأخطاء الجُغرافيّة، وكذا التّاريخيّة. وقد ساعدت كنّاشة "تقييد ما اشتمل عليه إقليم توات من الإيالة السعيدة من القصور ووثائق أخرى" جمع وتحقيق: عبد الوهّاب بن منصور، في التّعريف بالقصور والواحات التواتية.

وفيما يخصّ الدّراسات والبُحوث المُعاصرة، فقد حضي البحث بالاستفادة بالعديد منها، ككتاب "الفكر السّياسي والحُكم الإسلامي" لمؤلّفه محمّد عزيز نظمي، والذّي أفاد في تتبّع حركة التّطوّر التّي عرفها الفكر السّياسي الإسلامي، وقد اختصّ بالحديث عن كبار علماء السّياسة المسلمين من أهل السّنة. وكذا كتاب "السّلطة والسّياسة في الأدب السّلطاني" لعزّ الدّين علاّم، وهو من البحوث العلميّة الهامّة التّي عُنيت بدراسة فنّ الأدب السّلطاني، حيث اعتمد على تحليل ومناقشة أفكار وآراء أهمّ عُلماء المغرب الإسلامي والأندلس خاصّة المتأخّرين منهم كابن رضوان وأبي حمّو موسى الزّيّاني، والذّين كان المغيلي على اطّلاع بكتبهم.

كما تعزّز هذا البحث كثيراً بكتابي آدم عبد الله الألوري: "موجز تاريخ نيجيريا"، و"الإمام المغيلي وآثاره في الحُكومة الإسلاميّة في القرون الوُسطى في نيجيريا"، فالأوّل عبارة عن قاموس صغير عرّف فيه صاحبه بحضارة وتاريخ الإمارات التّي كانت قائمة بنيجيريا الحاليّة، وقد أفاد في التّعريف ببعض ما ذكرته في هذه الدّراسة من إمارات، كما ضمن هذا الكتاب رسالة المغيلي إلى أمير "كانو"، والمسمّاة "جملة مختصرة فيما يجوز للحكام من ردع النّاس عن الحرام"، أمّا الكتاب الثّاني فخصّصه للتّعريف بالمغيلي وبإسهاماته في السّياسة الشّرعيّة، والأثر الذّي تركه في بعض مشاهير السّودان الغربي.

كما أُستُعين بما كتبه أحمد الحمدي في رسالته "محمد بن عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكريّة بتوات عصره وآثاره"، وما يُميّز هذه الرّسالة هو عدم اقتصار الباحث فيها على دراسة شخصيّة المغيلي وآثاره، بل يتعدّى ذلك إلى دراسة الحياة الاجتماعية، والثّقافيّة، والاقتصادية والسّياسية لإقليم توات.

ومن المقالات التّي أفادت البحث كثيراً، تلك التّي جاءت ضمن أعمال"المهرجان الثقافي الأول للتعريف بمنطقة أدرار(13-14شعبان/03-04 ماي1985م)"، وقد دارت أعماله حول دراسة تاريخ وحياة المغيلي، وهي لا تكاد

تخرج عن دوره في قضيّة يهود توات. وكذا مقال عبد العلي الودغيري"ملامح من التّأثير المغربي في الحركة الإصلاحيّة للشّيخ عُثمان بن فودي" والدّي جاء ضمن حوليّات الجامعة الإسلاميّة بالنيّجر، والتّي تصدرها منظّمة المؤتمر الإسلامي، حيث يُلقي الضّوء على أثر دعوة وفكر المغيلي على حركة بني فودي.

كما اعتمدت هذه الدّراسة على بعض المراجع باللّغة الفرنسيّة، كان من أهمّها"اليهود في الصّحراء(توات في العصور الوسطى)"لمؤلّفه "Jacob Oilil"، والدّي يدرس فيه أوضاع يهود توات ودورهم الكبير، والهام في تجارة القوافل. بالإضافة إلى كتابي "A-G-P.Martin": "الواحات الصّحراويّة" و"أربعة قرون من التّاريخ المغربي"، والدّي عُني فيهما بدرجة أكبر بالإطار الجُغرافي لإقليم توات.

قُسِّم هذا البحث إلى مدخل وثلاثة فصول جاءت على النّحو الآتي: تعرّض المدخل إلى التّعريف بالفكر السّياسي، وتتبّع مراحل تطوّره بين الإسلام، وما قبله خاصّة عند الإغريق والرّومان. أمّا الفصل الأوّل فقد جاء تحت عُنوان: "ترجمة حياة المغيلي وأوضاع عصره"، وهو عبارة عن فصل تمهيدي تطرّق إلى دراسة الحياة الشّخصيّة للمغيلي كمولده ونشأته، وشيوخه الدّين أخذ عنهم، وأهم الطّلبة الدّين تتلمذوا على يديه، إضافة إلى إبراز المكانة العلميّة التّي حضي بها بين أقرانه، كما تطرّق إلى الظّروف العامّة التيّ شهدها عصره، والتّي كان لها بالغ الأثر على فكره السّياسي والإصلاحي.

أمّا الفصل الثّاني فقد جاء بعنوان "الفكر السّياسي عند المغيلي"، وقد حوى أهمّ النّقاط السّياسية التّي أشار إليها الشّيخ في جلّ مؤلّفاته في السّياسة الشّرعية والأدب السّلطاني، وقد جاءت في ثلاثة مباحث رئيسيّة، مقسّمة كالتّالي: "مسائل متعلّقة بالخلافة"، "في الأخلاق والآداب السّلطانيّة"، "مقوّمات الدّولة السلطانية بين الواجبات والحقوق وحسن السّياسة" وقد تمّ تحليل هذه الأفكار، والآراء ومناقشتها بالمُقارنة مع ما جاء به سابقوه في أغلب المسائل، والنّقاط التي تعرّض لها.

أمّا الفصل الثّالث فقد خُصِّص للحديث عن "دعوة المغيلي الإصلاحيّة بتوات والسّودان الغربي"، وهذا الفصل بدوره ينقسم إلى ثلاثة مباحث، تعرّض الأوّل منها في التّعريف بإقليم توات، وبلاد السّودان الغربي، وأوضاعها العامّة قبل انتقال المغيلي إليها، والمبحث الثاني منه خُصِّص لدراسة الدّعوة الإصلاحيّة التّي قام بها بتوات، وأهم الآثار التّي ترتّبت عن ذلك. أمّا المبحث الثّالث فقد تعرّض للحديث عن دعوته الإصلاحيّة ببعض إمارات الهوسا، ومملكة السّنغاي ببلاد السّودان الغربي وأهم آثارها.

وقد اختُتمت هذه الدّراسة بخاتمة، استُخلِصت فيها أهمّ النّتائج التّي ضمنها البحث، والله المُوفّق لخير السّبيل وهو المُستعان..

قائمـة الاختصـــارات:

بالّلغة العربيّة		بالّلغة الفرنسيّة	
(...)	كلام مستقطع	**Op,Cit**	المرجع السّابق
ج	جزء	**P**	رقم صفحة الكتاب
دع	بدون ذكر عدد طبعة الكتاب	**N**	رقم
دع س	بدون ذكر عدد طبعة الكتاب ولاسنته		
ص	رقم صفحة الكتاب		
ط	عدد طبعة الكتاب		
ظ	ظهر الورقة من المخطوط		
ع	رقم عدد المجلّة		
م	ميلادي		
هـ	هجري		
و	وجه الورقة من المخطوط		

- تعريف الفكر السّياسي وتطوّره :

الفكر السّيّاسي هو مجموع الأسس والنّظم السّيّاسية التي وضعها المفكّرون لرسم صورة الدّولة، وتنظيم العلاقات بين السّلطة الحاكمة، وأفراد المُجتمع الدّي تمارس فيه تلك السُّلطة[1]. وهو الذي يبحث في الظاهرة السّيّاسيّة، وما يميزها عن الظّواهر الاجتماعية الأخرى؛ وهي السّلطة السّيّاسية الآمرة، وعلاقة الإنسان والمجتمع بها، وأشكال النّظم التّي يتمّ من خلالها تنظيم هذه العلاقة[2].

ويتنوّع الفكر السّيّاسي حسب تنوّع الأصول العقائديّة، والسّمات الحضاريّة التّابعة لها، وتتمايز وتختلف هذه الأصول على حسب المستويات التي وصل إليها الإنسان في تطوّراته الفكريّة من فطرةٍ، وعقل، ودين[3]. ولقد ارتبط نموّ الفكر السّيّاسي بنموّ المجتمعات البشريّة واستقرارها، كما تطوّر بتطوّر الحضارة الإنسانية، فكان مِقياساً للعُمران والحضارة، حيث أنّ تطوّره كان مرهوناً بالدّرجة الأولى بزيّادة ارتقاء الإنسان، وتعدّد حاجاته نحو العيش الكريم، والرّفاهيّة، فهو مرآة عاكسة للظّروف السّيّاسيّة والاجتماعية والاقتصادية التّي يعيش فيها المُفكّرون[4].

يُجمع الباحثون والدّارسون لتاريخ الفكر السّيّاسي بأنّ القرن الخامس قبل الميلاد يمثّل الانطلاقة الفعلية للفكر السّيّاسي، إذ يتزامن هذا القرن مع ظهور عدد من المفكّرين، والفلاسفة في المجتمع الإغريقي، كان لهم تأثير واضح في الفكر السّيّاسي في الغرب والشّرق. وأقلّ ما يُمكن أن يُقال عن المجتمع اليوناني في ذلك العهد أنّه كان مُجتمعاً منظّماً تنظيماً إداريّاً، وسياسيّاً لا مثيل له، نبغ فيه العديد من المفكّرين والفلاسفة أشهرهم: سقراط(470-399 ق م) الدّي اشتهر بفكرة "الفضيلة هي المعرفة"، وبالرّأي القائل بأنّ الحكم من اختصاص الفلاسفة [5]، وأفلاطون(427-347 ق م) الدّي وضع تقسيماً تنازليّا للأنظمة السّيّاسيّة قمّته دولته المثاليّة (الأرستقراطيّة)، والتّي يليها النّظام التيموقراطي، فالنّظام الأوليغارشي أي حكومة الأقليّة، ثمّ الديمقراطي الدّي ينشأ نتيجة الفساد الدّي يُسيطر على الحُكم، وأخيراً الحكم الاستبدادي، وكلّ نظام هو نتيجة لانحلال النّظام الدّي قبله[6].

---

[1]- محمّد عزيز نظمي، الفكر السّياسي والحكم في الإسلام، الإسكندريّة: مؤسسة شباب الجامعة، دع س، ص: 21.

[2]- بكر مصباح تنيرة، تطوّر الفكر السّيّاسي في العصور القديمة والوُسطى- دراسة مناهجيّة مقارنة بين الحضارات- بنغازي (ليبيا)، جامعة قار يونس، ط01- سنة 1994، ص: 28.

[3]- أحمد عُروة، الفكر السياسي في العالم الإسلامي المعاصر- متاهات وعلامات- مجلّة الموافقات(تصدرها جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة)، الجزائر: شركة دار الأمة، ذي الحجة 1412هـ/جوان 1992،ع01، ص: 387.

[4]- محمد عزيز نظمي، المرجع السابق، ص: 21.

[5]- عمّار بوحوش، تطوّر النّظريّات والأنظمة السّيّاسيّة، الجزائر، الشركة الوطنيّة للنّشر والتوزيع، ط01- سنة 1977م، ص ص: 64- 65.

[6]- ناظم الجاسوري، موسوعة علم السّيّاسة، عمّان: دار مجدلاوي للنّشر والتّوزيع،ط01- سنة 2004م، ص ص: 152- 153.

وأرسطو(384-322 ق م) الذّي يرى في علم السّيّاسة أنّه هو علم السّعادة، وله مساهمة كبيرة في إدخال المنهجيّة إلى هذا العلم[1].

أمّا في العهد الرّوماني فقد انتعش الفكر السّيّاسي بظهور مشرّعين وقانونيين بارعين برعوا في تنظيم وتدوين القوانين التّحضيريّة للحياة الإنسانيّة في الفترات اللاّحقة، حيث ظهر مفهوم جديد في الفكر السّيّاسي مفاده "أنّ الشّعب هو صاحب السّيّادة"، كما ساهم مفكرو العهد الرّوماني في تحديد العلاقة التّي تربط بين الفرد والدّولة، وتحديد الواجبات والحقوق بين الطّرفين[2]. إضافة إلى اعتبارهم أن السّيّاسة فوق الدّين، حيث جعلوا القساوسة خدماً في مصلحة الدّولة، وطاعة القوانين عندهم إلزاميّة، وعدم طاعتها جريمة تعاقب عليها الدّولة[3]. ويعدّ بوليبيوس(204-122ق م) وسيشرون(106-43 ق م) من أشهر المفكّرين السياسيين في العهد الروماني.

يستمدّ الفكر السّيّاسي الإسلامي مبادئه وفضائله من الشّريعة الإسلامية، من القرآن الكريم، والسّنّة النّبويّة، أخلاقاً وتشريعاً، ويتميّز عن غيره بتوازنه المدرج بين الفطرة والعقل والدّين في نظرته للإنسان إما في تدبير الدّولة، وإما في تسيير شؤون الأمّة[4]. ويُجمع الباحثون في تاريخ الفكر السّيّاسي الإسلامي على أنّ "صحيفة المدينة"[5] التّي كتبها النبيّ ρ بعد هجرته إلى المدينة تعدّ الأرضيّة الأساسيّة التّي قام من خلالها الفكر السّيّاسي الإسلامي، وقد رسمت هذه الصّحيفة الإطار العام للحُكم في المدينة - أي في مرحلة التّأسيس- ولقد حوت بنودها السّبعة والأربعون جملة من المبادئ والمفاهيم الهامّة، والتّي منها: القيادة والرّئاسة المرجعيّة تحت قيادة النّبي ρ للأمة- الأمّة والقبيلة والعشيرة كإطار للتّعاون الأسري الإنساني- المواطنة والتّوحّد في الانتماء إلى المجتمع السّيّاسي- المسؤوليّة الشّخصيّة في الجرائم والعُقوبات- أرض الدّولة وحدودها أو مفهوم السّيّادة-
الأمن الدّاخلي والخارجي- الحقوق والواجبات[6].

تأتي بيعة الرّضوان التّي كانت في السّنة السّابعة للهجرة، أرضيّة ثانية للفكر السّيّاسي الإسلامي، حيث جاءت مُقِرّةً ومسلّمة لطاعة النبيّ ρ، وما يُقرّره بصفته

1- المرجع نفسه، ص ص: 151- 152.

2- عمار بوحوش، المرجع السّابق، ص:90.

3- المرجع نفسه، ص:104.

4- أحمد عروة، المقال السّابق، ص: 396.

5- وهي المعروفة في كتب السّير بكتاب الموادعة مع اليهود. قال ابن إسحاق: "كتب رسول الله ρ كتابا بين المهاجرين والأنصار، ووادع فيه اليهود وعاهدهم وأقرّهم على دينهم وأموالهم، واشترط عليهم، وشرط لهم". ونصّها الكامل في سيرة ابن هشام. **ينظر:** ابن هشام(عبد الملك)(ت:218هـ/833م)، السّيرة النّبويّة، تحقيق: سعيد اللحام، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتّوزيع، دع- سنة 2003م، ج02، ص: 111 وما بعدها.

6- خالد الحميدي، نشوء الفكر السّياسي الإسلامي من خلال صحيفة المدينة، بيروت: دار الفكر اللبناني، ط01- سنة 1994م، ص ص: 84-85.

قائداً أعلى للمسلمين[1]. ويقوم الفكر السّيّاسي الإسلامي على مجموعة من الأسس والمبادئ أهمّها:

- **المساواة:** فالنّاس سواسية أمام الله من حيث الواجب، ومن حيث الجزاء لا فرق بين غنيّ وفقير، وحاكم ومحكوم، أو مسلمٍ وذمّي، والمساواة تكون أيضاً في أداء الفروض والعبادات. كما أذاب الإسلام التّفرقة العنصريّة والتّمايز بين النّاس، لا في العبادات وحدها، بل وحتّى في الحقوق والعلاقات الاجتماعية، والمعاملات اليوميّة بين النّاس، يقول الله عزّ وجلّ: (يَا أيّهَا النّاسُ إنّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى، وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا، إنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ الله أتقاكُم، إنّ الله عَلِيمٌ خَبِير)[2]، والتّفاوت بين النّاس لا يكون إلاّ في العلم والعمل الصّالح. ولقد سوّى الإسلام بين الرّجل والمرأة في الحقوق والواجبات، ولم يُفرّق بينهما إلاّ فيما تقتضيه طبيعة كلٍّ منهما من أعمال وتكاليف. وكان الرّسول ρ مثالاً كريماً للمساواة، فلم يميّز نفسه قط على المسلمين في حقّ من الحقوق، وكانت سيرته بحق سنّة تحتذا في السُّلوك والمعاملات والحُكم[3].

- **العدل:** هو من أهمّ المبادئ التيّ ينادي إليها الإسلام، وقام عليها الفكر السّيّاسي الإسلامي، فقد تكرّرت كلمة العدل في القرآن الكريم نحو ثمانية وعشرين مرّة. وهو يدعو أولي الأمر والأفراد بالحكم على أساسه، والتّأكيد على أهمّيته سواء في الأمور الخاصّة أو العامّة، كما تردّد في أحاديث النّبيّ ρ التّأكيد على المعنى نفسه، والعدل يتطلّب المساواة في تعامل المسلمين مع بعضهم، ومع غيرهم[4]. كما كما يرتكز على الحكم بما أنزل الله، فالقوانين الوضعيّة لابدّ لها أن تتطابق مع الشّريعة الإسلاميّة، وإذا كانت تناقضها فهي قوانين باطلة[5]، قال الله سبحانه وتعالى: (وَلْيَحْكُمْ اهْلُ الانْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فِيهِ، ومَنْ لمَ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فأُولئِكَ هُمْ الفَاسِقُونَ)[6].

- **الحرّيّات:** أقرّ الإسلام الحرّيّات الضّروريّة، ومنها حرّية المعتقد، كما جاء في قوله تعالى:(**لاَ إكْرَاهَ فِي الدِّينِ** قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُومِن بِاللهِ فَقَدْ اِستَمْسَكَ بِالعُرْوَةِ الوُثْقَى لاَ انْفِصَامَ لهَا وَاللهُ سمِيعٌ عَلِيمٌ)[7]، وهذا اعتراف صريح بحقّ وجود الطّوائف الأخرى التّي تملك الحرّيّة في ممارسة معتقداتها وشعائرها التّعبّديّة، كما أنّ التّسامح كان شعار الإسلام مع أهل الكتاب

---

[1]- مونتغمري وات، الفكر السّيّاسي الإسلامي(المفاهيم الأساسيّة)، ترجمة: صبحي حديدي، بيروت: دار الحداثة للطباعة والنّشر والتّوزيع، ط01- سنة 1981م، ص: 37 وما بعدها.

[2]- سورة الحجرات، الآية: 13.

[3]- حسين فوزي النجّار، الإسلام والسّيّاسة، القاهرة: دار المعارف، دع- سنة 1995م، ص: 75 وما بعدها.

[4]- محمد عزيز نظمي، المرجع السّابق، ص: 90.

[5]- المرجع نفسه، ص: 86.

[6]- سورة المائدة، الآية: 47.

[7]- سورة البقرة، الآية: 256.

لأنّهم كانوا يختارون بين الجزية[1] والإسلام، ولأنّهم لا يُشاركون في القتال مع الجيوش الإسلاميّة. ولقد كفل الإسلام حرّية المرأة مقارنة بما كانت عليه قبل الإسلام، فأصبحت تشهد، وترث وتتملك وتتصرف في أموالها بكلّ حرّية[2]...

- **الشّورى:** وضع الإسلام فكرة الدّولة وقيّد سلطانها على أساس ديمقراطي، إذ أوجب العمل بمبدأ الشّورى في الحكم لقوله تعالى:(وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُون)[3]، وقوله أيضاً:(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ **وَشَاوِرْهُمْ فِي الأمْرِ** فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)[4]. والشّورى تُطبّق وتصير إلزاميّة في المسائل التي لم يرد فيها نص صريح أو حكم سماوي بيّن، أي في قضايا التّرتيبات، والتّجهيزات التّي تختلف باختلاف الأمكنة، والأحوال. ونظام الشّورى في الإسلام لم يُشرّع للحكّام فحسب، بل هي قاعدة عامّة يُفترض تعميمها على كامل النّاس بعد قيّامهم بالواجبات الأخرى، ذات الأولويّة[5].

عرف الفكر السّياسي الإسلامي تطوّراً كبيراً منذ العُصور الأولى للإسلام، ومثّله عدّة علماء روّاد يمكن تصنيفهم انطلاقاً من نزعاتهم، ومصادر فكرهم التّي تأثّروا بها، وعن طريق دوافع بحثهم
في السّيّاسية إلى ثلاثة أصناف[6]، وهي كالآتي:

- **الصنف الأوّل:** يضمّ فريقاً من العلماء المسلمين، كان تأثّرهم بالغاً بالفكر اليوناني، وهم مجرّد نقلة لهذا الفكر، منهم أبو نصر الفارابي(ت:399هـ/953م)، والذّي ناقش في كتابه **"المدينة الفاضلة"** جملة من القضايا التّي تعبّر عن فكره السّيّاسي، منها العوامل التّي تحكم المجتمع، وتوجّه أفعاله وتصرّفاته، وهذا ما يعكس فلسفته السّيّاسيّة في حركيّة المجتمعات. ويشبّه الفارابي المدينة الفاضلة بالجسم الكامل الصّحيح الذّي تتعاون كافّة أعضائه لتحقيق الحياة والحفاظ عليها والإبقاء على استمراريّتها، حيث يجعل رئيس المدينة الفاضلة في مكانة القلب من الجسد. والسُّلطة عنده سلطة مستوحاة من الله مستمدّة منه تبارك وتعالى، يمنحها من يصطفي ويختار، وعلى هذا يكون رئيس المدينة الفاضلة كما تصوّره نظريّة الفارابي إما نبيا يوحى إليه، يستمدّ سلطانه من الله، وإما فيلسوفاً حكيماً[7]. ويدخل

---

[1]- **الجزية:** هي المال الذّي يُجبى كضريبة شخصيّة أو ضريبة رؤوس من أهل الذّمّة مقابل حمايتهم، والحفاظ على أملاكهم وحرّيّاتهم. **ينظر:** أبو عبيد (القاسم بن سلام)(ت:224هـ/839م)، كتاب الأموال، بيروت: دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، ط01- سنة 1988م، ص: 24.

[2]- جورج سعد، تطوّر الفكر السّياسي في العصور القديمة والوسطى، بيروت: منشورات الحلبي الحقوقيّة، دع- سنة 2000م، ص ص: 184- 185.

[3]- سورة الشورى، الآية: 38.

[4]- سورة آل عمران، الآية: 159.

[5]- بشار قويدر، دراسات في النظم الإسلاميّة، الجزائر: منشورات دحلب، دع س، ص ص: 89-90.

[6]- نعتمد في هذا التّصنيف فقط على روّاد الفكر السّياسي الإسلامي من أهل السّنّة.

[7]- محمد عزيز نظمي، المرجع السابق، ص: 143 وما بعدها.

ضمن هذا الصّنف أيضا ابن رشد[1] صاحب كتاب "تهافت التّهافت"، وكذا ابن سينا[2] الذي خلّف أعمالاً هامّة في الفكر السيّاسي منها: السّياسة، الشّفاء، الإشارات والتّنبيهات..، وقد كانت أعماله من الأسس الأولى للفلسفة السّيّاسية الإسلاميّة، تقوم الدّولة الفاضلة عنده على القيّادة النّبويّة، والقانون الإلهي الموحى به، وهو من المؤيّدين لولاية العهد أو الاستخلاف، ويقول أنّه لا يكون إلاّ من جهة أو بإجماع من أهل السّابقة، وأنّه يكون بالنّص المكتوب أصوب تفادياً للاختلاف[3].

- **الصّنف الثّاني:** يضمّ نخبة من العُلماء الذّين كتبوا مؤلّفاتهم السّيّاسية إلى حُكّام معيّنين، مداراة لهم أو تقرّباً منهم بالنّصح والوعظ، ويدخل ضمن هذا الصّنف جلّ ما أُلِف في نصائح الملوك والأدب السّلطاني[4]، ويلتقي علماء هذا الصّنف في أنّه في حالة خروج الحاكم في قراراته عن الكتاب والسُّنّة فإنّ على المحكومين الصّبر وعلى الله الجزاء. ومن أمثلتهم: أبو بكر الطّرطوشي الأندلسي(ت:520هـ/1126م) في كتابه "سراج الملوك"، وكذا أبي حامد الغزالي في كتابه" التّبر المسبوك في نصائح الملوك" و"إحياء علوم الدّين"..، والذّي قدّم للحاكم من خلالهم مجموعة من القواعد التّي تعدّ من أسس الدّولة في الإسلام، فسّرها في شكل نصائح ومواعظ، وجعل للعدل عشرة أصول يجب على الحاكم مراعاتها. وتشكّل نصائحه أسُساً نفسيّة واجتماعية توطّد العلاقة بين الحاكم ورعيّته، وفي الوقت نفسه تعكس مدى ضخامة الأعباء الجسام التّي تشمل أمور السّياسة، والاجتماع، والاقتصاد، والأمن، التّي ألقى بها الإسلام على عاتق الحاكم وموظّفيه، كما يضع الإيمان شعاراً للحاكم المسلم[5].

- **الصّنف الثّالث:** ويضمّ مجموعة من العلماء الذّين تشبّثوا بأصالة الفكر السّياسي الإسلامي المستمدّ من الكتاب والسّنّة، وهو ينقسم إلى مجموعتين أساسيتين:

المجموعة الأولى: روّادها يمثّلون قمّة الأصالة الإسلاميّة في مجال الفكر السّياسي، واعتمادهم كلّه على المنهج الاستنباطي، من أهمّهم: شهاب الدين بن أبي الربيع (ت:272هـ/885م) في مؤلّفه "سلوك المالك في تدبير الممالك"، وقد تحدّث في كتابه هذا عن أحكام الأخلاق وأقسامها، وفي أصناف السّيرة العقليّة

1- **ابن رشد(ت:595هـ/1198م):** هو أبو الوليد محمّد بن أحمد أشهر فلاسفة الإسلام، وأبعدهم أثراً في الفكر الأوربي، اشتغل بالقضاء والطّب والتدريس. **ينظر:** عبد المنعم الحنفي، الموسوعة الفلسفيّة، تونس: دار المعارف للطباعة والنشر، دع- سنة 1992م، ص ص: 15-16.

2- **ابن سينا(ت:428هـ/1037م):** هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن علي، ولد بالقرب من بُخارى عاصمة الدّولة السّمانية، أجاد علوم الطّب والمنطق والهندسة..، واشتغل بالسّياسة، تزيد مؤلّفاته عن المائة مؤلّف. **ينظر:** عبد المنعم الحنفي، المرجع السّابق، ص: 17.

3- محمد عزيز نظمي، المرجع السابق، ص ص: 152-153.

4- **الأدب السّلطاني:** أو الدّهائيات، أو علم الأخلاق السّياسي، أو آداب المُلوك، أو مرايا الأمراء، هي تسميات لعلم أو فن واحد يقوم على النّصيحة السياسية لذوي السّلطة وأولي الأمر، ويرجع في أصله إلى الثّقافة السّياسية الفارسية. **ينظر:** عز الدين علام، السلطة والسياسة في الأدب السلطاني، الدار البيضاء، دار إفريقيا الشّرق، دع- سنة1991م، ص: 19 وما بعدها.

5- أحمد عرفات القاضي، التّربية والسّياسة عند أبي حامد الغزالي، القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، دع- سنة 2000م، ص: 112 وما بعدها.

الواجب إتباعها والعمل بها، وفي أقسام السّياسات[1]. كما يعدّ أبو الحسن الماوردي بن حبيب البصري البغدادي الشّافعي(ت:450هـ/1058م) من أوائل فقهاء أهل السّنّة الدّين اهتمّوا بعلم السّياسة، وبحثوا في مسألة الخلافة والإمامة، من خلال مؤلّفاته الشّهيرة: "الأحكام السّلطانيّة والولايات الدّينيّة"، و"قوانين الوزارة وسيّاسة الملك"، و"تسهيل النّظر وتعجيل الظفر في أخلاق المَلِك وسيّاسة المُلك". وهو من المفكّرين المسلمين القلائل الدّين اشتهروا باستقلالية آرائهم وأفكارهم والتّميّز في مُعالجة القضايا[2]. إلى جانب شيخ الإسلام تقيّ الدّين أبو العبّاس أحمد بن تيميّة(ت:728هـ/1327م) في مؤلّفه "السيّاسة الشّرعيّة في إصلاح الرّاعي والرّعيّة"، فهو يقيم أفكاره ونظريّاته على أساس العدل ضمن أربعة معايير لضمان حسن اختيار من يُولّى على أمور المسلمين، وهي استعمال الأصلح فالأصلح، واختيّار الأمثل فالأمثل، والقوّة والأمانة، كما يُدخل المال وجبايته وصرفه، وضرورة إقامة الحدود والعقوبات ضمن نظريّاته السّيّاسيّة[3]. ومن روّاد هذه المجموعة أيضاً الإمام الجويني(ت:478هـ/1085م)، في كتابه "غيّاث الأمم".

المجموعة الثانية: وهي مجموعة نهج أصحابها منهجاً جديداً لم يسبقهم إليه أحد في الدّراسات الاجتماعية والسّيّاسيّة، حيث تناولوا عالم السّياسة بواقعه، وليس بما يجب أن يكون، مستهدفين تفسير ظواهره، فكانوا بذلك نموذجاً للمنهج العلمي التّجريبي في الفكر السّياسي الإسلامي، ويأتي في مقدّمتهم الفيلسوف والمؤرّخ عبد الرّحمن بن خلدون (732-808هـ/1332-1405م) في مقدّمته الشّهيرة، وتضمّ هذه المجموعة كذلك ابن الأزرق[4] في كتابه "بدائع السّلك في طبائع الملك"، وهو كتاب لا يقلّ في منهجيّته عن مقدّمة ابن خلدون[5].

---

[1]- ابن أبي الربيع(شهاب الدين)(ت: 272هـ/885م)، سلوك المالك في تدبير المالك، تحقيق: ناجي التّكريتي، بغداد: دار الشّؤون الثّقافيّة العامّة (آفاق عربية)، ط03- سنة 1987م، ص: 88.

[2]- محمد عزيز نظمي، المرجع السّابق، ص: 171 وما بعدها.

[3]- محمد عزيز نظمي، المرجع السّابق، ص: 183 وما بعدها.

[4]- **ابن الأزرق(831-896هـ/1426-1491م):** هو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن قاسم بن مسعود الحميري الأصبحي الغرناطي، تولّى عدّة وظائف رسميّة كالقضاء والسفارة، وعدّة وظائف تطوّعية كالإفتاء والتّدريس. **ينظر:** إسماعيل زرّوخي، الفكر السّيّاسي عند ابن خلدون وابن الأزرق، رسالة ماجستير في الفلسفة، بإشراف د. عبد الرزاق قسّوم (نوقشت بقسم الفلسفة-جامعة الجزائر- الموسم الجامعي 1988-1989م)، ص: 96 وما بعدها.

[5]- عادل فتحي ثابت، شرعيّة السّلطة في الإسلام (دراسة مقارنة)، الإسكندريّة: دار الجامعة الجديدة، ط01- سنة 1996م، ص: 150 وما بعدها.

يعدّ الشيخ المغيلي من أبرز عُلماء المغرب الأوسط الذّين ظهروا مع النّصف الثّاني من القرن التّاسع الهجري (15م)، فهو من قبيلة عريقة اشتهرت بتوارث العلم، وبكثرة علمائها. وهو واحد من الأعلام المشهورين الذّين كانت لهم مشاركة في تفعيل الحياة السّياسية والثّقافية لتوات، وبعض إمارات السّودان الغربي. وحياة الرّجل يشوبها الكثير من الغُموض في العديد من الجوانب، خاصّة فيما يتعلّق بتاريخ ميلاده، ونشأته الأولى، وكلّ ما يتعلّق بأحوال أسرته وظروف عيشها، إضافة إلى شيوخه وطلبته الكثيرين، وتاريخ رحلاته وتنقلاته العديدة التي امتاز بها في مختلف الوجهات...

أ- نسبه ومولده، ونشأته العلمية:

هو أبو عبد الله محمّد بن عبد الكريم بن محمّد المغيلي التّلمساني[1]، ينتسب إلى قبيلة مغيلة[2] القاطنة في نواحي تلمسان[3]، وبها وُلِد، وقد ظهر فيها علماء كثيرون غيره[4]. والمغيلي ينحدر من أسرةٍ ذات نسب شريف، كما يبدو ذلك واضحاً من خلال تقييد عمود نسبه، الموجود بخزانة كوسام[5]؛ حيث جاء فيه أنّه محمّد بن عبد الكريم بن محمّد بن مخلوف بن علي بن الحسن بن يحي ابن علي بن أحمد بن عبد القوي بن العبّاس بن عطيّة بن منّاد بن السّري بن قيس بن غالب بن أبي بكر بن أبي بكر بن عبد الله بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن فاطمة بنت رسول الله ρ.

يصعب على المترجم لحياة المغيلي تحديد سنة ميلاده، والتّعريف الوافي بأسرتـه، وظروف

[1]- التّنبكتي(أحمد بابا)(ت:1036هـ/1629م)، نيل الابتهاج بتطريز الدّيباج، تحقيق: علي عمر، القاهرة: مكتبة الثّقافة الدّينيّة، ط01- سنة 2004م، ج02، ص: 264./ ابن مريم(أبو عبيد الله محمد)(ت:1014هـ/1605م)، البستان في ذكر الأولياء والعُلماء بتلمسان، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعيّة، دع- سنة1986م، ص: 253.

[2]- **مغيلـة:** تقع بالقرب من تلمسان، وبها قبيلة بربريّة. **ينظر:** البكري(أبو عبيد الله)(ت:487هـ/1094م)، كتاب المسالك والممالك، تحقيق: أدريان فان نيوفن وأندري فيري، تونس: الدار العربية للكتاب وبيت الحكمة، دع- سنة 1992م، ص: 756.

[3]- **تلمسان:** مدينة كبيرة، وهي عاصمة مملكة بني زيّان، لم يذكر التاريخ مؤسسها، غير أنّها كانت مدينة صغيرة بدأت تمتدّ إثر تخريب أرشكول بعد طرد جنود المنصور بن أبي عامر من المنطقة. وقد توسّعت أيّام بني عبد الواد، وبلغت درجة عاليّة من الازدهار. **ينظر:** الوزان(الحسن)(ت:957هـ/1552م)، وصف إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية: محمّد حجّي ومحمّد الأخضر، بيروت: دار الغرب الإسلامي- الرّباط: الشّركة المغربية للناشرين المتّحدين، ط 02- سنة1983م، ج02، ص: 17.

[4]- أمثال هؤلاء العلماء نجد: محمد بن أحمد بن عيسى المغيلي الشهير بالجلاب، والشّيخ موسى بن يحي بن عيسى المغيلي المازوني قاضي قضاة مازونة، ووالد صاحب المازونية. **ينظر:** آدم عبد الله الألوري، الإمام المغيلي وآثاره في الحكومة الإسلامية في القرون الوسطى في نيجيريا، القاهرة: مكتبة ومطبعة الحلبي، ط 01- سنة 1974م، ص: 11.

[5]- خزانة ملك الشّيخ شاري الطيّب بن عبد الله البلبالي بكوسام، ببلدية تيمي- ولاية أدرار، تحتوي على أزيد من 350 مخطوط ما بين أصلي ومنسوخ ومصوّر.

عيشها، فالمصادر التاريخية - وعلى رأسها العُمدة في التّرجمة للمغيلي أحمد بابا التّنبكتي[1]-لم تتعرّض لذلك، وفيما يخصّ سنة ولادته فيرجّح أنه يكون قد وُلِد في حدود سنة 820هـ/1417م[2].

لقد جرت العادة في بلاد المغرب الإسلامي على أن تكون أولى مراحل تعليم الأبناء عندما يبلغ الصّبي سنّ التّمييز فيما بين سنّ الخامسة أو السّادسة بإلحاقه الكتّاب للتّعلّم على يد أحد الشّيوخ المؤدّبين[3]، وقد بدأ المغيلي دراسته بتلمسان؛ حيث حفظ القرآن الكريم في سنّ مبكّرة، على يد الشّيخ محمّد بن أحمد بن عيسى المغيلي، كما درس على يديه بعض الكُتب الفقهية المالكيّة الشّهيرة كالمدوّنة، الرسالة، ومختصر خليل وابن الحاجب..[4]، ليعتكف بعدها على دراسة العلوم العربيّة الإسلاميّة، اللغويّة والدّينية، العقليّة والنّقليّة[5]، الشّيء الذّي دفعه إلى مغادرة مغادرة تلمسان باتّجاه مدينة بجاية[6]، فقد كانت آنذاك مركزاً ثقافياً يعُجّ بالطّلاب الوافدين إليها من كلّ جهة، فدرس على عُلمائها التفسير والحديث والفقه المالكي وأصوله، وعلوم العربيّة[7]. ويبدو أنّها كانت أوّل رحلةٍ يقوم بها في حياته لاكتساب معارف جديدة، وللتّتلمذ على يد مشايخ آخرين بالمُباشرة "لأنّ حصول الملكات عن المباشرة والتّلقين أشدّ استحكاماً وأقوى رُسوخاً(...) والرّحلة لابدّ منها في

---

[1]- **أحمد بابا التّنبكتي (963-1036هـ/1556-1629م):** هو ابن الحاج أحمد بن أحمد بن عمر بن محمّد أقيت بن عمر..، جدّ واجتهد في بداية أمره في خدمة العلم، حتّى فاق جميع معاصريه، ولا يناظره في العلم إلاّ أشياخه الذّين شهدوا له بالعلم. له أزيد من 40 مؤلّفا، أهمها: المرأب والمطلب، شرح الصّدور وتنوير القلوب، نيل الابتهاج، وكفاية المحتاج. **ينظر:** البرتلي (محمد ابن أبي بكر الصدّيق)، فتح الشّكور في معرفة أعيان علماء التّكرور، تحقيق: محمّد الكتّاني، ومحمد حجّي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط 01- سنة1981م، ص: 31 وما بعدها.

[2]- ابن القاضي(أحمد)(ت:1025هـ/1616م)، لقط الفرائد من لفاظة حقق الفوائد- ضمن كتاب: ألف سنة من الوفيات- تحقيق: محمّد حجّي، الرّباط: دار المغرب، د ع- سنة 1976م، ص: 241./ أحمد الحمدي، محمد بن عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكريّة بتوات عصره وآثاره، رسالة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، بإشراف: أد.عبد المجيد بن نعمية(نوقشت بكلية الحضارة الإسلامية -جامعة وهران- الموسم الجامعي 1999-2000م)، ص: 34.

[3]- كمال أبو مصطفى، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدّينيّة والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي، الإسكندريّة: مركز الإسكندريّة للكتاب، دع- سنة 1996م، ص: 113.

[4]- مولاي التهامي، سلسلة النوات في إبراز شخصيات من علماء وصالحي إقليم توات، أدرار: المطبعة الحديثة للفنون المطبعيّة، ط01- سنة 2005م، ص: 39.

[5]- يحيى بو عزيز، أعلام الفكر والثّقافة في الجزائر المحروسة، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط02- سنة1995م، ج02، ص: 143.

[6]- **بجاية:** مدينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب، كان أوّل من اختطها النّاصر بن علناس بن حمّاد بن زيري بن منّاد في حدود سنة 457هـ، بينها وبين جزيرة بني مزغنّاي أربعة أيّام. كانت قديماً ميناءً فقط ثمّ بنيت المدينة، وكانت قاعدة ملك بني حمّاد وتسمّى النّاصريّة أيضاً. **ينظر:** الحموي (ياقوت)(ت:626هـ/1229م)، معجم البلدان، بيروت: دار إحياء التراث العربي- مؤسسّة التّاريخ العربي، دع س، المجلّد 01، ج02، ص: 270.

[7]- الصّدّيق حاج أحمد، أضواء على تاريخ العلاّمة محمّد بن عبد الكريم المغيلي، مجلّة القصر(تصدر عن دار الثّقافة لولاية أدرار- الجزائر)، أفريل 2003م، العدد التّجريبي، ص: 14.

طلب العِلم، لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرّجال"[1]. غير أنّه لم يبق ببجاية مدّة طويلة؛ حيث خرج منها في اتّجاه الجزائر[2] مُدركاً من بعض زملائه الطّلاّب شهرة ومدرسة الشّيخ عبد الرّحمن الثّعالبي[3]، فلازمه لفترة لابأس بها حيث لم يكن يومئذٍ من الشّيوخ المغاربة من يفوته في علم الحديث، كما أخذ عنه التّفسير والقراءات، وبصورة أخصّ علم التّصوّف[4]. ولمّا تمّت الصّحبة بينه وبين شيخه الثّعالبي صاهره بابنته زينب، والتّي أنجبت له ثلاثة أبناء بأولاد سعيد[5]، وهم: عليّ والذّي توفّى في مُقتبل عُمره، وعبد الله وهو الذّي عاش بعد موت أبيه وخلّف ولدين هما أبو القاسم محمّد وعبد الرّحيم، ومنهما انتشرت وتفرّعت سلالة المغيلي بتوات[6]، أمّا محمّد عبد الجبّار فهو ابنه الثّالث، وكان ملازمًا لأبيه، وعُرِف عنه العلم والشّجاعة، وقد قتِل من جهة اليهود بعدما تركه أبوه على زعامة القصور[7] التّواتيّة قبل رحيله إلى بلاد السّودان الغربي[8]. كما كان كان للمغيلي زوجة ثانية تزوّجها أثناء تواجده بالسّودان الغربي، وقد أنجبت له ثلاثة أبناء هم: أحمد، عيسى، والسّيّد الأبيض[9].

من الوصايا الهامّة التّي أوصى بها الشّيخ الثّعالبي تلميذه المغيلي عند عزمه الرّحيل إلى تلمسان،

أنّه دعاه"بألاّ يعاشر أهل سفاهةٍ، وأن لا يستوطن مكان إهانةٍ"، حيث أنّه بعد هذه الرّحلة التّي توسّعت فيها مداركه ومعارفُه، وتزوّد بما يكفيه ليكون مُدرّساً وشيخاً، تتلمذ على يديه عدد لا بأس به من الطّلاّب[10]. كما أنّه بقي مواصلاً لتحصيله العلمي بتلمسان، غير أنّ الحال لم يستقم له بها، نظراً لتوتّر الأوضاع السّياسية

---

[1]- ابن خلدون(عبد الرّحمن)(ت:808هـ/1405م)، المقدّمة، بيروت: دار الجيل، دع س، ص: 598.

[2]- **الجزائر:** هي مدينة قديمة من بناء قبيلة إفريقيّة تُدعى مزغنّة، فأطلق عليها القدماء هذا الاسم، ويسميها الإسبان ألجي، وهي كبيرة، تضم نحو 4000 كانون، أسوارها رائعة ومتينة مبنية بالحجر الضّخم. **ينظر:** الوزّان، المصدر السابق، ج01، ص: 37.

[3]- مبروك مقدم، الإمام محمّد بن عبد الكريم المغيلي- من خلال المصادر والوثائق التّاريخيّة- تلمسان: مؤسّسة الجزائر كتاب، ط 01- سنة 2002م، ص ص:41- 42.

[4]- التنبكتي، نيل الإبتهاج، ج01، ص: 283 وما بعدها.

[5]- **أولاد سعيد:** مجموعة من القصور والواحات الواقعة بمنطقة قورارة القريبة من تيميمون الحاليّة، ومن قصورها: بدارة، لازورة، أولاد عبدلي، قمنتزات. **ينظر:** تقييد ما اشتمل عليه إقليم توات من الإيالة السعيدة من القصور ووثائق أخرى، جمع وتحقيق: عبد الوهّاب بن منصور، الرباط: مطبعة القصر الملكي، دع، سنة1962م، ص: 05.

[6]- مبروك مقدم، الإمام محمّد بن عبد الكريم المغيلي من خلال المصادر والوثائق التّاريخيّة، ص: 43.

[7]- **القصور:** عبارة عن تجمّعات سكّانيّة يرتبط سكانها فيما بينهم من ناحية القرابة، أو مصالح مشتركة، وتجمع بينهم علاقات اجتماعية أدّت بهم إلى السّكن الجماعي داخل القصر. **ينظر:** محمد حوتية، قبيلة كنتة بين إقليمي توات والأزواد-دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلّية أثناء القرنين 12- 13هـ/18-19م- رسالة ماجستير في التاريخ المعاصر، بإشراف: د. ناصر الدين سعيدوني، (نوقشت بمعهد التاريخ- جامعة الجزائر- الموسم الجامعي: 1992/1993م)، ص: 04.

[8]- التنبكتي، نيل الابتهاج، ج 02، ص: 266.

[9]- آدم عبد الله الألوري، موجز تاريخ نيجيريا، بيروت: دار مكتبة الحياة، دع- سنة 1965م، ص: 82.

[10]- يحيى بو عزيز، أعلام الفكر والثّقافة، ج01، ص: 144.

والاجتماعية والاقتصادية[1] بسبب ما أحدثه اليهود من أمور ليست من الدّين في شيء[2]، فقرّر مغادرة تلمسان متّجهاً إلى القصور التّواتيّة، خاصّةً بعد محاولة الانقلاب الفاشلة على سلطانها في شهر شوّال من سنة 870هـ/1465م، وتعرض العديد من الشّيوخ والعُلماء للمضايقات وعمليّات القمع والنّهب[3]. وكان مقامه بمدينة تمنتيط[4] أين التقى بالشّيخ يحي بن يدير قاضي الجماعة التّواتيّة؛ حيث زاد تفقّهه على يديه، وتتّفق جلّ المصادر التاريخيّة[5] على أنّ تاريخ وفاة المغيلي كان في رمضان من سنة 909هـ/1503م، بقصر بوعلـي[6]

بتوات، وبه ضريحه ومقامه[7].

ب- شيوخــه :

لقد تتلمذ المغيلي على يد العديد من الشّيوخ من أبرزهم:

- **الشّيخ محمّد بن أحمد بن عيسى المغيلي الشّهير بالجلاّب التّلمساني (ت: 875هـ/1470م):** عالم وفقيه مالكي، كان من أبرز شيوخ تلمسان وفضلائها؛ تتلمذ على يديه نخبة من الفقهاء النّجباء، أشهرهم: أحمد الونشريسي[8]، والسّنوسي[1] الذّي

---

[1]- مبروك مقدم، الإمام محمّد بن عبد الكريم المغيلي من خلال المصادر والوثائق التّاريخيّة، ص: 42.

[2] - عبّر المغيلي عن الأوضاع التّي كانت سائدة بتلمسان بهذين البيتين:

تِلِمْسَانُ أرضٌ لاَ تَلِيقُ بحالنَــا   لكنْ لُطفَ اللهِ نَسألُ في القَضَـا
وَكيفَ يُحِبّ المرء أرضاً يسُوسُها   يَهودٌ وفجّار ومنْ ليسَ يُرتضى

ينظر: المغيلي(محمّد بن عبد الكريم)، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، تقديم وتحقيق: رابح بونار، الجزائر: الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، دع، سنة 1968م، ص: 24.

[3]- أحمد الحمدي، محمد بن عبد الكريم المغيلي من خلال بعض آثاره المخطوطة، المجلّة الجزائريّة للمخطوطات(يصدرها مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا، جامعة وهران)، ربيع الأول 1424هـ/ جوان 2003م، ع: 01، ص: 35.

[4]- **تمنتيط:** كلمة بربريّة مركّبة تعني نهاية العين، وهي مدينة بنيت على هضبة نهايتها على شكل حاجب العين، وقصورها متّصلة ببعضها البعض من تومناس التي تبعد حاليا عنها 06 كلم شمالاً. **ينظر:** البكري بكري، تمنتيط رمز تاريخ وعنوان حضارة، مجلّة الحضارة الإسلاميّة (يصدرها المعهد الوطني العالي للحضارة الإسلامية بوهران)، السنة 01-1993م، ع:01، ص: 61 وما بعدها .

[5]- التنبكتي، نيل الإبتهاج، ج02، ص: 266./ ابن مريم، المصدر السابق، ص: 255./ ابن عبد الكريم(محمّد)(ت: 1133هـ/1729م)، أضواء على إقليم توات، تحقيق: مبروك مقدم، تلمسان: مؤسّسة الجزائر كتاب، ط01- سنة2002م، ص: 158.

[6]- **قصر بوعلي:** يقع ضمن قصور أولاد سيدي حم بن الحاج المكوّنة من 16 قصراً، وهي من القصور الواقعة في المنطقة الوسطى من إقليم توات. **ينظر:** تقييد ما اشتمل عليه إقليم توات، ص: 05./ وهو حاليا من القصور الواقعة في دائرة زاوية كنتة، وبه توجد زاوية الشّيخ المغيلي، **ينظر:** عبد العزيز بن عبد الله، الموسوعة المغربية للأعلام البشريّة والحضاريّة، الرّباط: مطبوعات وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلامية المغربية، دع- سنة 1976م، ص: 60.

[7]- ابن عبد الرّحيم (محمّد الطيّب)(ولد: 1184هـ/1780م)، القول البسيط في أخبار تمنتيط، تحقيق: فرج محمود فرج، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية والمؤسّسة الوطنية للكتاب، دع- سنة 1977م، ص: 31.

[8]- **الونشريسي(ت:914هـ/1507م):** هو أحمد بن يحي بن محمّد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي، حامل لواء المذهب المالكي على رأس المائة التّاسعة، درّس المدوّنة وفرعي ابن الحاجب، كان مشاركاً

الدّي قال عنه: "إنّه حافظ لمسائل الفقه". وللشّيخ محمّد الجلاّب فتاوى عديدة في "المعيار المُعرب"، حيث قال عنه صاحبه في وفيّاته: "شيخنا الفقيه المحصّل الحافظ "[2]،كما للجلاّب مسائل وفتاوى عديدة في "المازونية"، وقد نعته مصنّفها "بصاحبنا الفقيه"[3].

- الشّيخ أبو زيد عبد الرّحمن بن محمّد بن مخلوف الثّعالبي الجزائري (787-875هـ/ 1385-1470م): "من أوليّاء الله المعرضين عن الدنيا وأهلها، ومن خيار عباد الله الصّالحين"[4]، خرج من مدينة الجزائر طالباً للعلم، فدخل بجاية سنة 802هـ/1399م، وبها لقي عبد الرّحمن الوغليسي[5]، وأصحاب ابن إدريس البجائي[6]، وابن عثمان المنجلاّتي[7]وغيرهم. وارتحل منها وحلّ بتونس سنة 809هـ/1406م وأخذ بها عن أصحاب الشّيخ ابن عرفة[8] أمثال الغبريني[9]، والبرزلي[10] وغيرهما. ثمّ

في فنون العلم إلاّ أنّه لمّا لازم تدريس الفقه، يقول من لا يعرفه أنّه لا يعرف غيره؛ كان فصيحاً حتّى قيل عنه: لو حضر سيبويه لأخذ النّحو من فيه. **ينظر:** التنبكتي، نيل الإبتهاج، ج01، ص: 144**.**

[1]**- السّنوسي(ت:895هـ/1490م):** هو محمّد بن يوسف بن عمر بن شعيب السّنوسي، عالم تلمسان وصالحها وزاهدها وكبير علمائها، أخذ العلم عن والده وعن نصر الزواوي، أخذ القراءات على ابن أبي العبّاس بن محمّد الشّريف الحسني، وعلم الأسطرلاب عن الحبّاك، وعلم الأصول والمنطق عن محمّد بن العبّاس، وعلم التّوحيد عن الكنابشي، والصّحيحين عن الثّعالبي**.** من تلامذته**:** ابن صعد، أبو محمّد القليعي، وأهم تآليفه عقيدته. **ينظر:** التنبكتي، نيل الإبتهاج، ج02، ص:251 وما بعدها.

[2]**-** الونشريسي(أحمد)(ت:914هـ/1507م)، كتاب الوفيات- ضمن كتاب: ألف سنة من الوفيات- تحقيق: محمّد حجّي، الرّباط: دار المغرب، د ع- سنة 1976م، ص: 149**.**

[3]**-** التّنبكتي، نيل الإبتهاج، ج02، ص: 238**.**

[4]**-** المصدر نفسه، ج01، ص: 282**.**

[5]**- الوغليسي(ت:786هـ/1384م)**: هو عبد الرّحمن بن أحمد الوغليسي، عالم بجاية ومفتيها، من تلامذته: أبو الحسين علي ابن عثمان، وبلقاسم بن محمّد المشدّالي، أهم مؤلفاته: المقدّمة المشهورة، وله عدة فتاوى. **ينظر:** التنبكتي، نيل الإبتهاج، ج01، ص: 270**.**

[6]**- البجائي (ت:بعد960هـ/1033هـ):** هو أبو العبّاس أحمد بن إدريس البجائي، كان ورعاً زاهداً جليلاً إماماً علامة بارعا، من تلامذته الوغليسي. له شرح ابن الحاجب، ونقل عن القلشاني في شرحه، وابن القاسم المشدّالي في اختصاره لمختصر ابن عرفة. **ينظر:** التنبكتي، نيل الإبتهاج، ج01، ص: 96**.**

[7]**- المنجلاّتي:** هو أبو الحسن علي بن عثمان المنجلاتي الزواوي البجائي، من علماء بجاية وفقهائها، قال عنه الثّعالبي: "شيخنا أبو الحسن الإمام الحافظ، وعليه كانت عمدة قراءتي ببحاية". له فتاوى في المازونية والمعيار**. ينظر:** التنبكتي، نيل الإبتهاج، ج01، ص: 373**.**

[8]**- ابن عرفة (716- 803هـ/-1316- 1400م):** هو الشّيخ الإمام الحجّة أبو عبد الله محمّد بن محمّد بن عرفة، الورغمي نسباً، التّونسي بلداً، له عدّة مصنّفات أهمّها المختصر الكبير في فروع المذهب المالكي. جم ع ب ين تلق ين العل م والخطب ة بالج امع الأعظ م (الزّيتون ة) م دّة خمس ين س نة**. ينظ ر:** اب ن القنفذ(أحمد)(ت:809هـ/1406م)، كتاب الوفيات، تحقيق: عادل نويهض، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ط04- سنة 1983م، ص ص: 379- 380**.**

[9]**- الغبريني (ت:816هـ/1413م):** هو عيسى بن أحمد بن محمّد بن محمّد الغبريني، أبو مهدي التّونسي، قاضي الجماعة بها، وعالمها وحافظها وخطيبها. قال عنه الثّعالبي: شيخنا أوحد زمانه علماً وديناً، من تلامذته عمر القلشاني، وأبي القاسم القسنطيني. **ينظر:** التنبكتي، نيل الإبتهاج، ج01، ص: 333**.**

[10]**- البرزلي (740- 842هـ /1316- 1438م):** هو أبو القاسم بن أحمد بن محمّد بن المعتل البلوي القيرواني ثمّ التّونسي الشّهير بالبرزلي، مفتي تونس وفقيهها وحافظها، أحد الأئمّة المشهورين في المذهب المالكي؛

بعدها رحل إلى المشرق؛ حيث سمع البخاري واختصار الإحياء بمصر، كما حضر مجلس البساطي[1]، وهو شيخ المالكية بها. كما حضي بإجازة في علم الحديث ليرجع بعدها إلى تونس في سنة 819هـ/1415م، أين سمع على الشّيخ ابن مرزوق[2] الموطّأ؛ حيث أجازه وأذِن له في الإقراء. ويذكر الثّعالبي عن نفسه أنّه"لم يكن بتونس يومئذ من يفوته في علم الحديث، إذا تكلّم

أنصتوا وقبلوا ما يرويه تواضعاً منهم وإنصافاً واعترافاً بالحق"[3].

لقد تعدّدت وتنوّعت تآليف الشّيخ عبد الرّحمن الثّعالبي، فألّف في الفقه المالكي، وفي العقيدة، وفي النّحو واللّغة، والتفسير وعلوم القرآن والوعظ والتّصوّف وغيرها من العلوم[4]. وقد أخذ عنه جماعة من التّلاميذ أشهرهم: ابن مرزوق الكفيف[5]، السّنوسي، التّالوتي[6]، والمغيلي..

صاحب الدّيوان المشهور في النّوازل والفقه المالكي. **ينظر:** التنبكتي، نيل الإبتهاج، ج02، ص: 17 وما بعدها.

[1]- **البساطي(ولد:760هـ/1358م):** هو أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان بن نعيم، شغل منصب قاضي القضاة بالدّيار المصرية لمدّة عشرين سنة متوالية، أهمّ مؤلّفاته: المغني في الفقه، وشفاء الغليل في شرح مختصر خليل، المقدّمة في علم الكلام. **ينظر:** التنبكتي، نيل الإبتهاج، ج02، ص: 186 وما بعدها.

[2]- **ابن مرزوق (766- 842هـ/1364- 1438م):** هو محمّد بن أحمد بن محمّد الحفيد العجيسي التّلمساني، له تآليف كثيرة منها: المفاتيح القرطاسيّة، والمرزوقية، مختصر الحديقة.قال عنه المازوني: "شيخنا الإمام الحافظ بقيّة النظار والمجتهدين، ذو التّآليف العجيبة، والفوائد الغريبة". **ينظر:** التنبكتي، نيل الإبتهاج، ج02، ص: 171 وما بعدها.

[3]- التّنبكتي، نيل الإبتهاج، ج01، ص: 283.

[4]- أهمّ هذه التّآليف: الأنوار المضيئة بين الشّريعة والحقيقة، التقاط الدّرر، الدّر الفائق في الأذكار والدّعوات، العلوم الفاخرة في أحوال الآخرة، شرح ابن الحاجب الفرعي في كتابين، إرشاد المسالك، جامع الفوائد جامع الأمّهات في أحكام العبادات، الذّهب الإبريز في غرائب القرآن العزيز. **ينظر:** التنبكتي، نيل الإبتهاج، ج01، ص: 284.

[5]- **ابن مرزوق الكفيف(ولد: 824هـ/1421م):** هو محمّد بن محمّد بن أحمد بن الخطيب العجيسي، عُرف بالكفيف، أخذ العلم عن جماعة من الشّيوخ منهم أبوه، وقاسم العقباني، وابن عيسى البجائي الفاسي، وعبد الرّحمن الثعالبي، **ينظر:** التنبكتي، نيل الإبتهاج، ج02، ص ص: 262- 263.

[6]- **التّالوتي (ت:895هـ/ 1490م):** هو أبو الحسن علي بن محمّد التّالوتي أخو الإمام السّنوسي لأمّه، قال عنه الملالي: شيخنا الفقيه الحافظ المتقن المتفنّن العالم الصّالح، كان محقّقاً متقناً حافظاً يحفظ كتاب ابن الحاجب ويستحضره بين عينيه، قلّ أن ترى مثله حافظاً، قارئاً. **ينظر:** التّنبكتي(أحمد بابا)، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الدّيباج، تحقيق: علي عمر، القاهرة: مكتبة الثّقافة الدّينية، ط01-سنة 2004م، ج01، ص ص: 283- 284.

- الشّيخ أبو زكريّاء يحي بن يدير بن عتيق التّدلسي التّلمساني(ت: 877هـ/1473م)[1]: من الفقهاء البارزين في عصره، وهو مالكي المذهب، كان من شيوخه بتلمسان ابن زاغو المغراوي[2]. وقد شغل منصب قاضي الجماعة بتوات بعد قدومه إليها في سنة 845هـ/1441م[3]،كما استطاع أن يخلق لنفسه شهرةً واسعةً لنبوغه في الفقه المالكي والفتوى استقطبت من حوله طلبة العلم من أبناء المنطقة وحتى من نواحي أخرى، وكان من أبرز هؤلاء الطّلبة محمّد بن عبد الكريم المغيلي. توفي الشيخ يحي بن يدير بتوات[4] وقبره بمقبرة أولاد علي بن موسى مشهور معلّم[5].

ج- تلامذتـــه :

لقد كان طلب العلم المتواصل وتلقينه، القاسم المشترك لكثيرٍ من العلماء، في إقامتهم وفي أسفارهم، ممّا يؤدّي إلى كثرة التّلاميذ والطّلاّب، الدّين يصعب على المؤرّخين حصر أسمائهم وتقييد تراجمهم، وهذا ما نجده مع الشّيخ المغيلي، فنجد التّنبكتي وهو العمدة في التّرجمة له يقتصر فقط على ذكر ثلاثة منهم، وهم: أيْد أحمد، والعاقب الأنصمني ومحمّد بن عبد الجبّار الفيجيجي"[6].

- محمّد بن أحمد بن أبي محمّد التّازختي(ت: 936هـ/1529م)[7]: الشّهير بأيْد أحمد، كان فقيهاً عالِماً علاّمة محقّقاً فهّامة محدثاً رحّالةً شهيراً محصّلاً نافذاً جيّد الحفظ والفهم، حسن الإدراك، من العلماء المشهورين الدّين أخذ عنهم الحاج أحمد بن عمر[8]. كان لِقاؤه بالشّيخ المغيلي في تِكدة[9] بعد خروجه في رحلة طلب العلم، وبها وبها حضر حلقاته العلميّة، ليرتحل بعدها إلى المشرق للحجّ والتّعلّم برفقة الفقيه

---

[1]- التنبكتي، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الدّيباج، ج02، ص: 281.

[2]- **ابن زاغو (782- 845هـ /1380- 1441م):** هو أحمد بن محمّد بن عبد الرّحمن الشّهير بابن زاغو المغراوي التّلمساني، أهم مؤلّفاته: مقدّمة في التّفسير وتفسير الفاتحة، منتهى التّوضيح في علم الفرائض. **ينظر:** التنبكتي، نيل الإبتهاج، ج01، ص: 122 وما بعدها.

[3]- ابن عبد الرّحيم، المصدر السّابق، ص: 31.

[4]- يبدو أنّه وقع خلط لأحمد بابا في المدينة التّي توفّي بها الشّيخ يحي بن يدير، ففي نيل الابتهاج ذكر أنّه توفّي بقسنطينة، وأنّه وجد ذلك بخطّ تلميذه المغيلي. والواقع أنّه توفّي بمدينة تمنتيط بتوات. **ينظر:** التنبكتي، نيل الإبتهاج، ج02، ص: 399.

[5]- ابن عبد الرّحيم، المصدر السّابق، ص: 31.

[6]- التنبكتي، نيل الإبتهاج، ج02، ص: 578.

[7]- المصدر نفسه، ج02، ص ص: 278- 279.

[8]- **أحمد بن عُمر(ت:942هـ/1535م):** هو ابن محمّد أقيت بن عمر بن عليّ بن يحي التّكروري التّنبكتي، كان عالماً فاضلاً حافظاً فقيهاً، أخذ العلم عن جدّه قاضي تنبكتو وولاتن، ثمّ عن خاله الفقيه مختار. **ينظر:** التنبكتي، نيل الإبتهاج، ج01، ص ص: 147- 148.

[9]- **تكدة:** اشتهرت بتجارة النّحاس الدّي يستخرج من مناجمها، ويحمل إلى بلاد السّودان، ومن تكدة تسير القوافل إلى برنو حيث يجلب الرّق والثّياب، وتبعد عنها بمسيرة أربعين يوماً، ولا يوجد بينها وبين توات غير اللحم واللّبن والسّمن، وكلّها تشترى بالأثواب. **ينظر:** ابن بطّوطة(محمد)(ت: 779هـ/1377م)، تحفة النّظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق: محمد عبد الرحيم، بيروت: دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، ط01- سنة2003م، ج02، ص: 380.

محمود بن عمر الصّنهاجي[1]، حيث لقي في رحلته هذه علماء أجّلاّء أخذ عنهم علم علم الحديث[2]، وسمِع وروى عنهم، واجتهد وكلّ في تحصيله حتّى صار محدّثاً متمكّناً من فنونه، وقد ساعده ذلك في التّقرّب من أفاضل العلماء ومُصاحبتهم، كما حصل على إجازات علميّة عديدة[3].

وبعد عودته إلى بلاد السّودان الغربي كان نزوله بكِشنة[4] التّي استقرّ بها وولّي قضاءها، وللتّازختي العديد من التقاييد والطّرر على مختصر خليل[5]وغيره[6].

- **العاقب بن عبد الله الأنصمني المسوفي:** تتلمذ في بداية حياته على يد الشّيخ محمّد بن عبد الكريم المغيلي الدّي كان مستقرّاً في أقدز[7]، فأخذ عنه الفقه حتّى برع فيه، وكذا علم التّوحيد والمنطق واللُّغة العَربيّة[8]، كما درس على يد السّيوطي[9]. وممّا اشتهر به العاقب الأنصمني أنّه كان فقيهاً نبيهاً، قويّ الدّاكرة، واسع الحفظ حادّ اللّسان، كما عُرف بتعصّبه لرأيه وبكثرة منازعاته؛ حيث خالف بعض شيوخ بلده في بعض القضايا، فأرسلوه لعلماء مصر الدّين حسموا الخلاف

---

[1]- **محمود بن عمر(868- 955هـ/ 1463- 1548م):** هو ابن محمّد بن أقيت بن عُمر بن عليّ بن يحي قاضي تنبكتو، وهو عالم التّكرور وصالحها و مدرّسها وفقيهها. **ينظر:** التنبكتي، نيل الإبتهاج، ج02، ص ص: 303-304.

[2]- من هؤلاء العلماء المحدّثين: البرهانين القلقشندي وابن أبي شريف وعبد الحقّ السّنباطي. **ينظر:** التنبكتي، نيل الإبتهاج، ج02، ص: 278 .

[3]- **الإجازة:** هي شهادة يمنحها الشيخ أو الأستاذ لطالب العلم لتفتح المجال أمامه لينال حقّه في التّدريس ورواية ما درسه عليه وأتقنه على يديه، والإجازة قد تكون عامّة ينالها الطالب نتيجة السّماع المباشر، أو تكون خاصّة من غير سماع. وقد تكون = = مستقلة أو مسطّرة على الكتاب الدّي أتمّ دراسته على الشّيخ. **ينظر:** محمد منير سعد الدّين، المدرسة الإسلاميّة في العصور الوسطى، بيروت: المكتبة العصريّة، ط01- سنة 1995م، ص: 182.

[4]- **كشنـة:** أو كاتسينا، من مدن السودان الغربي، تجاور مدينة كانو من جهة الشّرق وشعبها خليط من الأجناس، ويرجع الفضل في تحضّرها إلى سوقها الكبير الدّي ترتاده القوافل التّجاريّة من كلّ جهة. كما كان لأهلها الفضل في انتشار الإسلام بكانو وغيرها من مدن السودان الغربي. **ينظر:** آدم الألوري، موجز تاريخ نيجيريا، ص: 78 وما بعدها.

[5]- **خليل(ت:776هـ/1374م):** هو ابن إسحاق بن موسى بن شعيب الجندي، إمام علامة؛ حامل لواء المذهب المالكي في زمانه بمصر، جمع بين العلم والعمل، أهم مؤلّفاته: شرح جامع الأمّهات لابن الحاجب، ومختصره الشّهير في مذهب الإمام مالك، قصد فيه إلى بيان المشهور مجردا عن الخلاف. **ينظر:** المالكي(ابن فرحون)(ت:799هـ/1397م)، الدّيباج المذهّب في معرفة أعيان علماء المذهب، دراسة وتحقيق، مأمون الجنّان، بيروت: دار الكتب العلميّة، ط01- 1996م، ص: 503.

[6]- التنبكتي، نيل الإبتهاج، ج02، ص ص: 278- 279.

[7]- **أقدز:** من مدن السودان الغربي، مسوّرة، ودورها متقنة البناء على نمط دور البربر، لأنّ جميع سكّانها من التّجّار، وهي مدينة السّود التّي تكون أبهى من مدن البيض باستثناء ولاّتة. **ينظر:** الوزّان، المصدر السابق، ج 02، ص 171.

[8]- أحمد الحمدي، محمّد بن عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكريّة بتوات، ص: 41.

[9]- **السّيوطي(849-911هـ/1445- 1505م):** هو عبد الرّحمن بن أبي بكر بن سابق الدّين الخضيري السّيوطي جلال الدّين، إمام حافظ ومؤرّخ أديب، له نحو 600 مصنّف بين كتاب كبير ورسالة صغيرة، **ينظر:** خير الدين الزّركلي، الأعلام: قاموس تراجم لمشاهير العالم، بيروت: دار العلم للملايين، ط 08- سنة 1989م، ج03، ص ص: 301- 302.

وصوّبوه بعد ذلك، كما جرت بينه وبين الحافظ مخلوف البلبالي[1] منازعة في بعض المسائل، كما اشتهر بتعاليقه، أحسنها تعليقه على بعض مسائل خليل في الفقه المالكي، كما ألّف جزءاً في وجوب الجمعة بقريته أنصمن، وله كتاب أجوبة الفقير عن أسئلة الأمير[2]. وقد كان ملازِماً للشّيخ المغيلي طوال تواجده بممالك السّودان الغربي؛ حيث تأثّر بسلوكه ومنهجه العلمي الدّي يقوم أساساً على نصح العامّة من خلال نصح الخاصّة[3].

- **إبراهيم بن عبد الجبّار الفيجيجي(ت:954هـ/1547م):** من عُلماء منطِقة فيجيج[4]، وهو أكبر أبناء الشّيخ عبد الجبّار[5]، فاق إخوته بالعلم والأدب، كان أبوه هو معلّمه الأوّل كما جرت عليه العادة مع أبناء العلماء، ثمّ قرّبه من شيوخ فيجيج الدّين نهل من علمهم. ليرتحل بعدها إلى فاس[6]؛ حيث أخذ عن علمائها كابن غازي[7]، ثمّ اتّجه اتّجه بعدها إلى تلمسان أين تتلمذ على يد شيوخها، وفي مقدّمتهم السّنوسي. كما رحل إلى المشرق الإسلامي عدّة مرّات للحجّ وطلب العلم؛ حيث التقى بمجموعة من العلماء الأفاضل، والشّيوخ المصريين ذوي الشّهرة العلمية أمثال الشّيخ جلال الدّين السّيوطي، وبعد عودته واستقراره بمسقط رأسه فيجيج اشتغل بالتّدريس والقضاء لمدّة طويلة من الزّمن.

لقد اتّسمت الفترة التّي عاش فيها بالقلاقِل والفِتن، خاصّة في مناطق الصّحراء الشّرقيّة، نظراً لضعف السّلطة المركزيّة بقيّادة الوطّاسيّين، فكان العلماء أكبر متضرر من هذه الأوضاع؛ حيث انتهى الأمر إلى قتل مفتي فيجيج على يد جماعةٍ

---

[1]- **مخلوف البلبالي(ت: 950هـ/1544م):** فقيه حافظ ورحّالة. **ينظر:** ابن القاضي، المصدر السّابق، ص: 298.

[2]- التنبكتي، نيل الإبتهاج، ج01، ص: 399.

[3]- أحمد الحمدي، محمّد بن عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكريّة بتوات، ص: 42.

[4]- **فيجيج:** عبارة عن ثلاثة قصور وسط الصّحراء يحيط بها عدد كبير من النّخيل، تبعد بنحو 250 ميلا شرقي سجلماسة. **ينظر:** الوزان، ج02، ص ص: 132- 133./ حديثاً هي مدينة واقعة في الصّحراء الشّرقيّة المغربيّة على الحدود الجزائريّة، وتبعد عن مدينة وجدة بنحو383كم تسكنها فرقة من برابرة صنهاجة، وبطن من العمور الهلاليين، إلى جانب أسر إدريسيّة شريفة، ومنهم الودغيريون. **ينظر:** محمّد حجّي، الحركة الفكريّة بالمغرب في عهد السّعديين، الرّباط: دار المغرب للتّأليف والتّرجمة والنّشر،دع- سنة1976م، ج02، ص: 511.

[5]- **عبد الجبّار(ت: 920هـ/1514م):** هو ابن أحمد البرزوزي الفيجيجي، عالم مشارك متوسّع في علوم القرآن والحديث من طبقة الإمام ابن غازي.له زاويّة معروفة باسمه وكان قاضي قصورها، من آثاره العلميّة: تفسيره للقرآن الكريم، واختصاره لكتاب الحيوان للدّميري. **ينظر:** محمد حجّي، المرجع السابق، ج02، ص: 511.

[6]- **فاس:** مدينة بالمغرب كبيرة جدّا، تحيط بها أسوار متينة عالية، وتنقسم إلى قسمين الجديدة والقديمة، أسس القديمة إدريس الأول من أحفاد علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، والجديدة يعقوب بن عبد الحق أوّل ملوك بني مرين في674هـ/1276م، بها حوالي سبعمائة مسجد وجامع أشهرها جامع القرويين. **ينظر:** الوزان، ج01، ص: 218 وما بعدها.

[7]- **ابن غازي(841هـ-1437م/919هـ/1515م):** هو محمّد بن أحمد بن محمّد بن محمّد بن علي بن غازي العُثماني المكناسي ثمّ الفاسي، هو شيخ الجماعة "آخر المقرئين وخاتمة المحدّثين"، من تآليفه: شفاء الغليل في مقفل خليل، وتكميل التّقييد.. **ينظر**: التنبكتي، نيل الإبتهاج، ج02، ص: 271 وما بعدها.

من الرّعاع نقموا عليه فتوى خالفت هواهم، وبقوا بلا قصاص لغيّاب السّلطة الّتي تحكمهم. الشّيء الدّي دفع بالشّيخ إبراهيم للهجرة إلى بلاد السُّودان الغربي، مُروراً بتوات حيث التقى بالشّيخ المغيلي، ودرس على يديه بعض العلوم كالمنطق والتّفسير وأصول فنّ السّياسة والأدب السّلطاني. وكان من أتباعه البارزين في مناوأة يهود توات، إضافة إلى مرافقته في سفره إلى مُدن السّودان الغربي، وبها بقي يعلّم النّاس ويدعوهم إلى دين الله في
تلك البلاد إلى غاية وفاته عام 954هـ/1547م[1].

- **محمّد بن عبد الجبّار الفيجيجي(ت:956هـ/1449م)**: عالم صوفيّ متوسّع في الحديث ورواياته، بدأ مرحلته التّعليميّة في مسقط رأسه فيجيج على يد أبيه الشّيخ عبد الجبار، الدّي أخذ عنه علوم القرآن والحديث.كما تتلمذ على يد كبار علماء فيجيج قبل ارتحاله إلى فاس، ثمّ تلمسان حيث التقى بالعديد من المشايخ أمثال: ابن مرزوق الكفيف ومحمّد بن غازي المكناسي، والمغيلي الدّي بقي ملازماً له طوال فترة إقامته بها فأخذ عنه التّصوّف وكثيراً من علوم الحديث، والفقه والعقيدة والمنطق في فترة ذاع فيها اسم الشّيخ المغيلي[2]. وبعد عودته من رحلته العلميّة تفرّغ للتّدريس بمسقط رأسه فيجيج إلى غاية وفاته سنة 956هـ/1449م[3]؛ حيث اختص بتدريس الحديث بالزّاوية الّتي أنشأها أبوه، وتتّصل به سلسلة عددٍ من المحدّثين المغاربة الدّين جاؤوا من بعده، كما كانت له اهتمامات بعُلوم أخرى فقد"كان فقيهاً عارفاً وأديباً شاعِراً ماجِداً فاضلا نزيهاً خيّراً "[4].

د- مكانته العلميّة وآثاره:

لقد اتسمت الحركة العلميّة بالمغرب الأوسط في القرن التّاسع الهجري (15م) بالحيوية والنّشاط نظراً للعدد الكبير من العُلماء الدّين أنجبهم ذلك العصر؛ حيث جاوزت شهرة بعضهم السّنين والأجيال، كما خلّف لنا آخرون مصنّفات احتفظت بقيمتها العلميّة إلى يومنا هذا، وبهؤلاء العُلماء تعدّت شهرة تلمسان مراكز الإشعاع الثّقافي في المشرق الإسلامي؛ ويؤكّد لنا ذلك تواصل الزّيّارات الّتي كان يقوم بها الطّلبة والعُلماء لتلمسان خاصّة من المغرب الأقصى والأندلس، وحتّى من المشرق الإسلامي لأخذ العلم عن الأساتذة التّلِمسانيّين المشهورين؛ فكان من أشهر هؤلاء الزّائرين الرّيّاضي الأندلسيّ الشّهير القلصادي[5]، والدّي تتلمذ على يد كبار علماء

---

[1]- محمد حجّي، المرجع السّابق، ج02، ص ص: 512- 513.

[2]- أحمد الحمدي، محمّد بن عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكريّة بتوات، ص: 40.

[3]- محمد حجّي، المرجع السّابق، ج02، ص: 513.

[4]- ابن عسكر(محمّد الحسني الشفشاوني)(ت: 986هـ/1578م)، دوحة النّاشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تحقيق: محمّد حجّي، الرّباط، دار المغرب للتّأليف والتّرجمة والنّشر، ط 02- سنة 1977م، ص: 130.

[5]- **القلصادي(815هـ-1412م/891هـ/1486م)**: هو عليّ بن محمّد بن محمّد بن علي القرشي البسطي، عالم في الحساب والفروض، وفقيه مالكي، وهو آخر من له التأليف الكثيرة من أئمّة الأندلس، من آثاره العلميّة: النّصيحة في السّيّاسة العامّة والخاصّة، شرح الأرجوزة الياسمينيّة في الجبر والمقابلة، وقانون

تلمسان أمثال الشيخ ابن زاغو المغراوي، والشّيخ ابن مرزوق الحفيد العجيسي. والرّحّالة المصري عبد الباسط[1]، والذّي بقي بتلمسان مدةً طويلةً تعدّت أربع سنوات، ومع ذلك فإنّه لم يصفها أبداً بل أفاض في الحديث فقط عن عُلمائها وفقهائها الذّين لقيهم أمثال محمّد العُقباني[2]...

لقد حظي الشّيخ المغيلي بمنزلةٍ مميّزة مرموقة بين معاصريه من العلماء والأولياء؛ حيث نشأ في كنفهم، مع أنّ أكثرهم قد بلغ مرتبة عُليا في العِلم والإفتاء، ''لقد جمع بين الفهم العميق للقرآن الكريم، والعمل بسنّة رسول الله ρ، وبين فصاحة اللسان، وجسارة القلب العامر بالإيمان، والذّي ردّدت بلاده وإفريقيا والعالم الإسلامي أصداء معاركه الفكريّة الشّهيرة، ومواقفه الثابتة التي شهدَ له بها معاصروه أنصاراً ومعارضين على السّواء''[3]، وما يسترعي الانتباه هو الألقاب والنُّعوت الكثيرة والإطراءات التّي أطلقها عليه معاصروه ووصفوه بها، ومن تبعهم من العلماء والمؤرّخين. فنجد العلاّمة المصري جلال الدّين السّيوطي[4] ينعته ''بالحَبر النّبيل''، و''صاحب الفضل''، عندما جرت بينهما مراسلة منظومة في علم المنطق[5].

أمّا الإمام السّنوسي فيصفه''بالمتّسم بالذّكورة العلمية والغيرة الإيمانيّة''، ويُخاطِبه بقوله: ''الأخ الحبيب في ذات الله تعالى القائم بما اندرس في فاسد الزّمان من فريضة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر(...) حفظ الله حياته وبارك في دينه ودُنياه..''؛

الحساب. **ينظر:** التنبكتي، نيل الإبتهاج، ج01، ص: 381 وما بعدها./ خير الدّين الزّركلي، المرجع السّابق، ج05، ص: 10.

[1]- **عبد الباسط(844هـ-1440م/920هـ-1514م):** هو عبد الباسط بن خليل بن شاهين الشّيخي الأصل الملطي ثمّ القاهري الحنفي، فقيه رحّالة ومؤرّخ، ارتحل عن بلاده من أجل تعلّم الطّب من سنة 866هـ/1462م إلى غاية سنة 871هـ/1466م. أهم مؤلّفاته: الرّوض الباسم في حوادث العمر و التّراجم. **ينظر:** السّخاوي(شمس الدين)(ت:902هـ/1496م)، الضّوء اللاّمع لأهل القرن التّاسع، بيروت: مكتبة الحياة، دع س، المجلّد 02، ج02، ص 27./ محمود بوعيّاد، رحّالة مصري يزور الجزائر في ق09هـ، مجلّة الأصالة، ربيع الأوّل- ربيع الثاني1395هـ/ مارس- أبريل 1975م، ع: 24، ص: 124 وما بعدها.

[2]- **العُقباني(ت:877هـ/1473م):** هو محمّد بن أحمد بن قاسم بن سعيد العُقباني التّلمساني، الفقيه العالم العلاّمة، ولي قضاء الجماعة بتلمسان، أخذ عن جدّه قاسم وغيره، وأخذ عنه أبو العبّاس الونشريسي، وأحمد بن حاتم. قال عنه الشّيخ رزّوق: "كان فقيهاً عارفاً بالنّوازل". **ينظر:** التنبكتي، نيل الإبتهاج، ج 02، ص: 232.

[3]- عبد الرّحمن شيبان، من مآثر محمّد بن عبد الكريم المغيلي-جهاد من أجل الوحدة الإفريقيّة والإسلاميّة- مجلّة الثّقافة (تصدرها وزارة الثّقافة والسّيّاحة الجزائريّة)، جويلية- أوت 1985، ع 88، ص: 70.

[4]- كان أوّل لقائه بالشيخ المغيلي ببلاد السّودان الغربي. **ينظر:** آدم عبد الله الألوري، الإمام المغيلي وآثاره في الحكومة الإسلامية، ص: 16.

[5]- يقول السيوطي في مطلع هذه القصيدة: عجِبْتُ لِنَظْمٍ مَا سمعتُ بمثلِـهِ أتانِي عَنْ حبرٍ أقرّ بنبلِـه

وفي خاتمتها: سَلَام علَى هذَا الإمامِ فكمْ له لديّ ثناء واعترافٌ بفضله . =

= **ينظر:** التنبكتي، نيل الإبتهاج، ج02، ص: 267.

وجاء ذلك في إجابته عن سؤال الشّيخ المغيلي في مسألة يهود توات[1]. كما نجد الشّيخ أبو عبد الله بن غازي ينعته ‘‘بالغريب في هذا الجيل’’[2]، أي أنّه لاينتمِ إلى عصرِه أو سبق زمانه لأنّه عنيد في مبادِئه، متحمّس لآرائِه خاصّة فيما تعلّق بالقضايا المصيريّة للأمّة المُسلِمة.

لقد اقترن اسم المغيلي بمنطقة توات وبمدينة تمنتيط، وبمنطقة السّودان الغربي، والتّكرور[3] وغيرها من البِلاد، فلا يخلو كتاب تراجم أو نوازلٍ أو تاريخ يتحدّث عن هذه المناطق إلاّ وكان اسمه على رأس شيوخِها، وأعيانها، وعلمائِها، ومصلِحيها، وزُهّادها، وما هذا إلاّ بيان واضحٌ على شهرته العلميّة وخصوصيّة مكانته بين أقرانه، فهناك العديد من المؤرّخين[4] من أسهب في ذكر الأحداث التّي ارتبطت بحياته عند استقراره بتوات، كما أنّ هناك من جعله ضمن الأوليّاء والعُلماء المشهورين الذّين حلُّوا مدينة تمنتيط، وعرّفه بأنّه:‘‘مشهور بالعُلوم الظّاهرة والولاية الباطِنة، فهو آية الله في أرضه وحجّته في شريعته..’’[5].

لقد وُصِف المغيلي بأوصاف قلّما يُوصف بها أحد، إلاّ إذا كان ذا درجة علميّة راقية، وشهرة عالية، حيث نُعت‘‘بخاتمة المحقّقين’’، و‘‘بالإمام العلاّمة الفهّامة القُدوة الصّالِح السُّنّي’’، و‘‘بالذّكيّ الذّي له بسطة في الفهم والتّقدّم المتمكّن المحبّة في السّنّة وبغض أعداء الدّين’’. وقد خُصّ بهذا النّعت الأخير لشُهرته الواسِعة في كلّ بلاد المغرِب الإسلامي ولموقِفه الحازم والثّابت ضدّ اليهود وأنصارهم والمدافعين عنهم[6]. كما نُعِت‘‘بالحبر، أحد أذكيّاء العالم’’[7]، و‘‘بالفقيه الصّدر الأوحد(...) من أكابر العلماء وأفاضِل الأتقيّاء، شديد الشّكيمة في الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر’’[8].

---

[1]- الونشريسي(أجمد)(ت:914هـ/1507م)، المعيار المُعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق: مجموعة من الدّكاترة بإشراف محمّد حجّي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، دع س، ج02، ص: 252.

[2]- ابن عسكر، المصدر السّابق، ص: 131. /
L.Boulga, Abdelkrim Maghili, Bulletin de la société de et d’archéologie d’Oran. géographie Année 1980, P: 09.

[3]- **التّكرور:** بلاد تطلق على إحدى الشعوب الزنجية المنحدرة من عدة أجناس مختلطة، ينحدر العنصر الأصلي منهم من سكافوتة السنغالية، وشعب التكرور يسكن في الجزء الأكبر من أقصى إفريقيا الغربية ب(وهاد فوتة) السنغالية ومن (نبدو)،وبلاد فوتة تمتد على جانبي نهر السنغال، ولو أن أكثرها يقع على الضفّة اليسرى، أمّا نبدو فيقع إلى الغرب من نهر فلمه، وكذلك تنتشر منازل التكرور في بقاع أخرى في إفريقيا الغربية، وهم يعيشون على الزراعة. **ينظر:** إسماعيل العربي، الصّحراء الكبرى وشواطئها، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، دع01- سنة 1983م، ص ص: 170- 171.

[4]- أمثال هؤلاء المؤرّخين نجد محمّد بن عبد الكريم (1042-1133هـ/1638-1729م) صاحب كتاب "أضواء على إقليم توات" يُولي النّصيب الأكبر من كتابه- إن لم نقل جلّ الكتاب- في الحديث عن شخصيّة الشّيخ المغيلي، والوقوف على معظم الأحداث التّي كان طرفاً فيها منذ أوّل يومٍ حلّ به توات، وقد أخذت قضيّة يهودها النّصيب الأكبر من ذلك كلِّه. **ينظر:** ابن عبد الكريم، المصدر السابق، ص: 143 وما بعدها.

[5]- ابن عبد الرّحيم، المصدر السّابق، ص: 31.

[6]- التنبكتي، نيل الإبتهاج، ج02، ص: 264.

[7]- ابن مريم، المصدر السّابق، ص: 253.

[8]- ابن عسكر، المصدر السّابق، ص: 130.

لقد خلّف المغيلي من ورائه إنتاجاً فكريّاً غزيراً متنوّعاً غلب عليه طابع الاختصار في معالجة المواضيع، وقد أورد له أحمد بابا التّنبكتي في نيل الإبتهاج أزيد من عشرين مؤلّفاً في التّفسير، والعقيدة، والتّوحيد، وفي الفقه المالكيّ، والحديث وعلومه، والمنطق، والبلاغة والأدب، وفنّ السّيّاسة والأدب السلطاني، والوعظ..، ويمكن للباحث تقسيم هذه المؤلّفات من ناحية الشّكل والمضمون إلى قسمين أساسيين هما: مؤلّفات في العلوم النّقليّة والعقليّة. أمّا من النّاحية العملية فيمكن تقسيمها إلى قسمين كذلك؛ القسم الأوّل خاص بكتبه المفقودة والتّي لا تدلّ عليها سوى إشارات العلماء والباحثين، والقسم الثّاني خاص بالكتب المتوفّرة، ومنها ما هو مطبوع، أو مايزال مخطوطاً .

وفيما يخصّ كتبه المفقودة نجد: كتاب في تفسير القرآن الكريم، سمّاه "البدر المنير في علوم التّفسير"، ومجموعة من الكتب في الفقه المالكي، وفروعه ككتاب "مغني اللّبيب" والذّي شرح فيه كتاب مختصر خليل، وكتاب "إكليل المغني" وهو حاشية على كتاب المغني، وكتاب" تلخيص المفتاح" وشرحه..، وعدّة كتب في الحديث وعلومه ككتابه المسمى "مفتاح النّظر في علم الحديث"، وكتاب هام في العقيدة والتّصوّف سمّاه "تنبيه الغافلين عن مكر الملبّسين بدعوى مقامات العارفين". وللمغيلي عدّة كتب مفقودة في علم المنطق ككتاب "شرح الجمل الخونجي"، وكتاب " المقدّمة في شرح الجمل". ومن كتبه الهامّة والمفقودة أيضاً كتاب "فهرسة مرويّاته" وهي تقييد لأسماء شيوخه والعلوم التّي أخذها عنهم.

أمّا فيما يخصّ كتبه المتوفّرة، والمطبوعة والتي أغلبها في السّياسة الشرعية، والنظم الإسلامية نجد: كتاب "أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي"[1] والذّي تُرجم إلى الفرنسيّة والإنجليزيّة، ويندرج موضوعه ضمن السّياسة الشّرعيّة، وكتاب "رسالة إلى كلّ مسلم ومسلمـة"[2]، يندرج موضوعـه ضمن النّظم الإسلامية في باب أهل الذّمّة من اليهود، ورسالته في شؤون "الإمارة"[3]، والتّي يندرج موضوعها ضمن السّياسة الشرعية والأدب السّلطاني،

[1]- حقّق هذا الكتاب د. عبد القادر زبايديّة، ونشرته الشّركة الوطنيّة للنشر والتوزيع بالجزائر سنة 1974م، وأعاد نشره ضمن كتابه المسمّى"الحضارة العربيّة والتّأثير الأوربّي في إفريقيا الغربية جنوب الصّحراء" سنة 1989م، نشر المؤسّسة الوطنيّة للكتاب بالجزائر.

[2]- حقق هذا الكتاب أ. رابح بونار، ونشرته المؤسّسة الوطنية للكتاب بالجزائر سنة 1968م، ولكن بعنوان خاطئ هو"مصباح الأرواح في أصول الفلاح".

[3]- طُبعت هذه الرسالة مختصرةً، ولأوّل مرة ضمن كتاب: "الإمام المغيلي وآثاره في الحكومة الإسلاميّة في القرون الوسطى في نيجيريا" لآدم عبد الله الألوري عن دار الحلبي بالقاهرة سنة 1974م. ومرّة أخرى تحت عنوان "استنصاح السّودان أحد فقهاء توات وتلمسان" تحقيق: أ. أحمد العلمي حمدان، ونشرت ضمن مجلّة كلّية الآداب بفاس في عددها الخاص بالعلاقات المغربيّة الإفريقيّة سنة 1989م. كما طُبعت مرّة أخرى وبعنوان مغاير هو"تاج الدّين فيما يجب على الملوك والسّلاطين" من تحقيق: أ. محمّد خير رمضان يوسف، سنة 1994م عن دار ابن حزم ببيروت.

ورسالة "فيما يجوز للحكّام في ردع النّاس عن الحرام"[1]، وهي وصيّة للقُضاة وأولي الأمر من المُسلمين.

وللمغيلي العديد من المؤلّفات التي لاتزال مخطوطة، وهي موجودة في بعض المكتبات الكبرى، وبعض الخزائن والمكتبات الخاصّة، نذكر منها على سبيل المثال: كتاب "عمّا يجب على المسلمين من اجتناب الكفّار وعمّا يلزم أهل الذّمة من الجزية والصّغار"[2]، وهو في النظم الإسلامية، باب أهل الذمة من اليهود، وكتاب "منح الوهّاب في ردّ الفكر إلى الصّواب"[3]، وهو عبارة عن منظومة في المنطق، ورسالة "الردّ على المعتزلة"[4] وهي تندرج في باب العقيدة والتوحيد. وكتاب "مصباح الأرواح في أصول الفلاح" وهو في العقيدة و التصوّف[5]، وكتاب "مراجعات مع السّنوسي"، وهو في العقيدة والتّصوّف[6]. وكتاب"فصل الخطاب في ردّ الفكر إلى الصّواب"، وهو في علم المنطق جعله المغيلي نظيراً لفصل الخطاب لابن رشد[7]، وكتاب "المفروض في علم الفروض" وهو في علم المواريث[8].

1- كان أوّل من نشرها المستشرق ريشار بلمر بالإنجليزية سنة 1917م، ثمّ أعاد نشرها الألوري ضمن كتابه "موجز تاريخ نيجيريا" سنة 1965م، طبع منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت، كما طبعت عدّة مرّات ضمن كتب أخرى.

2- توجد نسخة منه بالمكتبة الوطنية الجزائريّة - الحامّة- (تحت رقم: 3392)، ونسخة منه مصورة بخزانة كوسام، أدرار. كما حققه أ. حسن غوارزو في أطروحته لنيل شهادة الدكتراه دولة بجامعة لندن، وذكر د. محمّد حجّي في كتابه الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين(ج: 02، ص: 268) أن هذا الكتاب طُبع بمدينة بفاس مرّتين طبعتين حجريتين، غير أنّه يبقى في حكم المخطوط لندرة هذه النسخ المطبوعة.

3- نشر جزء من هذا الكتاب الألوري ضمن كتابه، الإمام المغيلي وآثاره في الحكومة الإسلامية (الصّفحات: 25...28)، وتوجد نسخة من هذا المخطوط وعليها شرح موجز للمؤلف ضمن مجموع بالخزانة العامّة بالرّباط (تحت رقم: 2231د)، كما توجد منه نسخة مصورة بمتحف زاوية الشّيخ المغيلي بولاية أدرار.

4- توجد نسخة مصوّرة منها بيد د. مبروك المصري، الجامعة الإفريقية بأدرار.

5- توجد نسخة منه ضمن مجموع بالخزانة العامّة بالرباط (تحت رقم:266د)، كما توجد منه نسخة مصورة بخزانة كوسام، بولاية أدرار.

6- توجد نسخة منه بخزانة القرويين بفاس المغربية (تحت رقم: 1531).

7- توجد منه نسخة ضمن مجموع بخزانة الرّباط العامّة.

8- توجد منه نسخة مصوّرة بيد د. مبروك المصري، الجامعة الإفريقية بأدرار، وهو تحت الدّراسة والتّحقيق.

وللمغيلي العديد من القصائد والمنظومات الشّعريّة، منها "الميميّة في مدح النّبيّ ρ"، وقصيدة في يهود توات وأنصارهم[1]، وقصيدة "وسيلة النّجاة بأهل المُناجات"[2]، وهي في التّصوّف.

---

[1]- توجد نسخة منهما ضمن مجموع مخطوط بالخزانة العامّة بالرّباط، (تحت رقم: 683 ق)، مطلع الأولى:

بُشراكَ يا قلبِ هذا سيّدُ الأمَم وهذهِ حضرةُ المُختارِ في الحَرم
وَهذِه الرّوضةُ الغرّاء ظَاهرةً وهذِه القبّةُ الخضْراء في الحَرم

ومطلع الثانية: تنبّهْ فإنّ الله منّكَ بحرصِهِ وليّ لأنصار النّبيّ محمّد
تنبّه لما تَرْضَى وَتكْرهُ في العِدَى تَرى حُكمَ مَنْ يحمِي عَدوّ محمّد

[2]- نشرها مؤخّراً أ. مولاي التهامي، ضمن كتابه: سلسلة النّوات في إبراز شخصات من عُلماء وصالحي إقليم توات، المرجع السابق، (الصّفحات: 50...54)، والتّي مطلعها:

بحمدِ الإلهِ والصّلاة علَى النّبيّ محمّد المختارِ بدْءُ قصيدتِي
مزن الرّضى علَى الصّحابةِ كُلّهُم عُموماً وبالخُصوصِ أهل المزيتِي

لقد شهدت الفترة الممتدّة بين القرن التاّسع وبدايات القرن العاشر الهجري عدداً من التّطوّرات الخطيرة، والأحداث الجسام في تاريخ الإسلام والمسلمين ككلّ، وقد عايش المغيلي كلّ هذه المُجرات تارةً عن قرب، وتارةً أخرى عمّا تناقلته الألسن والرّوايات، وكان لها شديد الأثر في نفسيّته؛ حيث شكّلت السّيّاق التّاريخي، والاجتماعي، والسّيّاسي لجلّ مؤلّفاته، وأعماله..

فكانت البداية من المشرق الإسلامي الذّي غيّر المغول ملامحه المُشرقة بطمسه لمعالم الحضارة الإسلامية في بغداد العبّاسية، حاضرة الخلافة الإسلامية آنذاك، واستبدالها بالدّمار والخراب. ولم يكن حال المغرب الإسلامي أحسن من المشرق؛ حيث كانت غرناطة آخر معقل إسلامي في الأندلس تؤول للزّوال بعدما توالت بها المدن والحصون بالسّقوط، وكان ورثة المُوحّدين في باقي بلاد المغرب الإسلامي، دولة بني مرين بالمغرب الأقصى، ودولة بني زيّان بالمغرب الأوسط والدّولة الحفصية بإفريقية، في صراعٍ مريرٍ فيما بينهم شغلهم عن نُصرة الأندلس، بل وحتّى في الدّفاع عن أراضيهم من خطر الإسبانيين والبرتغاليين المُحدق بهم.

أ- أوضاع المشرق الإسلامي :

كان الغزو المغولي في القرن السّابع الهجري (13م) بداية لمرحلة الرّكود التّي سادت مُعضم أجزاء المشرق الإسلامي، بسبب الهجمات التّي تعرّضت لها مصر، وبلاد الشّام، وبالأخص دمشق[1] التّي قتل بها تيمورلنك[2] الزّعيم المغولي نحو عشرة آلاف طفل، ورحّل عنها أهلها، وفُضلاءها، وسبا نِساءها، وأخلاها من أرباب الصّنائع والحرف؛ حيث دخلها في سنة 803هـ/1401م[3]، وضُمّت بلاد العراق إلى الدّولة المغولية المتمركزة في بلاد فارس، بعدما سقطت بغداد[4] عاصمة الدّولة العبّاسيّة في أيديهم سنة 656هـ/1258م. وصارت بذلك مصر مركزاً للعالم الإسلامي بانتقال الخلافة العبّاسيّة إليها،"وأضحت هي القائمة على

---

[1]- **دمشق**: هي حاضرة الشّام، وقاعدته ودار ملك بني أميّة، ومنها استفتحوا بلاد الأندلس وبلاد المغرب، وكثيراً من أرض فلسطين، ويقال أنّها من بنيان اليونانيين، وهي كثيرة الخصب والأرزاق. **ينظر:** الزّهري(محمّد بن أبي بكر)، كتاب الجغرافية، تحقيق: محمّد حاج صادق، بورسعيد (مصر)**:** مكتبة الثّقافة الدّينيّة، دع س، ص: 71.

[2]- **تيمورلنك (736-807هـ/1335-1405م)**: ولد بإحدى قرى سمرقند فيما وراء النّهر، من سلالة أحد الوزراء، التحق بخدمة حاكمها، ولم يلبث حتّى استولى على حكم المغول، فضمّ خوارزم، هراة، سستان، وشمالي فارس، ثم أذربيجان، وجورجيا، ثمّ تحرّك نحو العراق وأطراف دولة المماليك**. ينظر:** إبراهيم علي طرخان، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة (1382- 1517م)، القاهرة: مكتبة النّهضة المصريّة، دع- سنة 1960م، ص: 72.

[3]- إبراهيم علي طرخان، المرجع السّابق، ص: 87.

[4]- **بغداد**: سمّاها أبو جعفر المنصور العباسي مدينة السّلام، وهي مدينة كان قد اختطّها أخوه أبو العبّاس السّفّاح قرب مدينة الكوفة، وشرع في بنائها سنة 145هـ، ونزلها سنة 149هـ، وجعلها المنصور مدورة، وجعل داره وجامعها في وسطها**. ينظر:** الحموي، المصدر السّابق، المجلّد 01، ج02، ص: 160 وما بعدها.

حراسة المدينة الإسلاميّة والتّراث الإسلامي بعد زوال بغداد، وصارت محلّ سكن العلماء، وكثرت شعائر الإسلام فيها"[1]، خاصّة بعدما استقدم إليها "الظّاهر بيبرس البندقداري" المملوكي (ت:676هـ/1277م)"أحمد بن الظاهر"، أحد أبناء البيت العبّاسي، وبايعه بالخلافة في حضرة الأمراء والعلماء ورجال الدولة في سنة 659هـ/1262م، حيث منحه تفويضاً لتسيير أمور البلاد، فكان ذلك تقوية له ضد خصومه ومنافسيه، كما كان إقرارًا بمشروعية النظام المملوكي، وبحقه في تولي شؤون البلاد[2].

لقد استغلّ المماليك[3]هذه الخلافة الصّوريّة في مصر لأغراضهم السّيّاسيّة؛ حيث أنّ أشخاص الخلفاء وحياتهم كانت رهن ما يراه هؤلاء المماليك[4]، والذّين وفّروا على مصر كوارث وويلات الغزو المغولي الذّي اجتاح العراق، إذ أوقعوا بهم شرّ الهزائم، كان أعظمها موقعة "عين جالوت" بأرض فلسطين في رمضان 658هـ/1261م، بزعامة "سيف الدّين قطز" ثالث سلاطين المماليك بمصر والشّام، والذّي قتل من جيش المغول ما يقرب من نصفه، وأجبر الباقي على الفرار.

تصدّرت مصر أحقيّة زعامة العالم العربي والإسلامي إلى غاية سنة 923هـ/1517م، حين استأصلت الدّولة العُثمانيّة حكم المماليك وقضت عليهم نهائيّاً[5]، والتّي عرفت نشوءاً قويا وسريعاً بعدما تأسّست مع مطلع القرن الثّامن الهجري (14م) بآسيا الصّغرى (الأناضول)، حيث أحرز سلاطينها عدّة انتصارات كبيرة وفتوحات هزّت أوربّا والعالم بأسره، كان أعضمها سنة 857هـ/1453م بفتح القسطنطينية[6]حاضرة البيزنطيين، ورمز قوّتهم، بعد محاصرتها لأكثر من خمسين
يوماً[7]على يد السّلطان محمّد الفاتح[1].

---

[1]- السّيوطي(جلال الدّين)(ت:911هـ/1505م)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار الفكر العربي، دع- سنة 1998م، ج02، ص: 81.

[2]- عمر عبد العزيز، تاريخ المشرق العربي(1516- 1922م)، الإسكندريّة: دار المعرفة الجامعيّة، دع- سنة 1993م، ص: 23.

[3]- **المماليك:** أرقاء من الأتراك، اشتراهم صلاح الدّين الأيّوبي وضمّهم إلى جيشه، وصاروا مع الزّمن قوّاداً في الجيش، ثمّ سلاطين. وأوّل سلطان منهم يدعى "أيبك" الذّي تولّى الحكم سنة 648هـ/1250م. وهم قسمين: المماليك البحريّة (648-784هـ/ 1250-1382م)، والبرجيّة (784-923هـ/1341-1517م). **ينظر:** فيليب حتيّ وآخرون، تاريخ العرب- مطوّل- بيروت: دار الكشّاف، ط04- سنة 1965م، ج02، ص ص: 794- 795.

[4]- إبراهيم علي طرخان، المرجع السّابق، ص ص: 52- 53.

[5]- عمر عبد العزيز، المرجع السابق، ص ص: 22- 23.

[6]- **القسطنطينيّة:** هي بنيان قسطنطين بن ميلا، ولاسمه نسبت، وهي من أحسن مدائن الأرض، وأغربها عمرانا وبنياناً، يدور بها سبعة أسوار، وهي على بحرين، جانبها القبلي على بحر الروم، وجانبها الشّرقي على بحر الخليج. **ينظر:** الزّهري، المصدر السّابق، ص ص: 73- 74.

[7]- محمد علي الصّلاّبي، الدّولة العثمانيّة (عوامل النّهوض وأسباب السّقوط)، القاهرة: دار النّشر والتّوزيع الإسلاميّة، ط 02- سنة 2004م، ص: 108 وما بعدها.

ب- أوضاع المغرب الإسلامي والأندلس:

لقد كانت الدولة الزيانية (637-962هـ/1239-1555م) هي الحلقة الأضعف في الصّراع الذّي كان دائراً بين دُول المغرب الإسلامي الثّلاث، فقد وجدت نفسها بين فكيّ الأسد كما يقال، حيث الخطر يداهمها تارة من الشرق من قبل الحفصيين (625-981هـ/1519-1573م)، وتارة أخرى من قبل المرينيين (668-869هـ/1269-1465م)[2]. ولقد استهلّت الدّولة الزّيانية القرن التاسع الهجري(15م) بأزمةٍ ماليةٍ خانقة بسبب إسراف سلطانها[3]، مما أدى إلى إثقال كاهل الرّعية بالضّرائب للتّخفيف من حدّة أزمة الخزينة، والمعدّة بالدرجة الأولى إلى النّفقة على الجهاز العسكري المجابه للغزو الخارجي، الشيء الذي خلق اضطراباً وقلقاً في الناس، وأعطى الفرصة لبني مرين للتّدخل في شؤونهم بفك سراح أسير فاس الأمير أبي مالك[4]، وإمداده بالمال والسّلاح لمحاربة أخيه السلطان السّعيد، فهاجم مدينة تلمسان واحتلّها[5].

في عهد السلطان أبي مالك استطاعت دولة الزّيّانيين الوقوف من جديد؛ حيث أحكمت سيطرتها على كامل بلاد المغرب الأوسط، كما استطاع الانقلاب على أولياء نعمته من بني مرين الذّين كانوا قد ساعدوه بالأمس على تولّي الملك، فاستقلّ عنهم، بل استطاع الاستيلاء حتى على حاضرتهم فاس، وهكذا قوي سلطانه وقضى على نفوذ المرينيين بالمغرب الأوسط نهائيا لكنه لم يسلم من خطر الحفصيين من جهة الشّرق، وبقيت الأوضاع متأزّمة معهم أزيد من نصف قرن استطاع خلالها الحفصيّون أن يجعلوا تلمسان تابعةً لهم بأيّة وسيلة، وقد استطاعوا التّلاعب بالمتطاولين إلى الحكم من الأسرة الزّيانية، فتارة يؤيّدون طامعاً منهم في

---

[1]- **محمّد الفاتح(ولد: 833هـ/ 1429م)**: تولّى حكم الدّولة العُثمانية سنة 855هـ/1451م، وكانت مدّة سلطنته إحدى وثلاثين سنة. **ينظر:** إبراهيم بك حليم، الدّولة العثمانيّة العليّة- التّحفة الحليميّة في تاريخ الدّولة العُثمانيّة-، بيروت: دار عالم الكتب، ط01-سنة 2002م، ص: 91.

[2]- عبد القادر طوبال، تاريخ مدينة حمو موسى في الماضي والحاضر، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، دع- سنة 1986م، ص: 24.

[3]- هو السلطان السعيد بن أبي حمّو موسى، بويع في أواخر محرم سنة 814هـ/1411م. **ينظر:** التنسي(محمد بن عبد الله)(ت:899هـ/1493م)، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان (مقتطف من نظم الدّر والعقيان في بيان شرف بني زيان)، تحقيق: محمود بوعياد، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، دع- سنة 1985، ص: 234.

[4]- **أبو مالك:** هو عبد الواحد بن السلطان أبي حمو موسى الثاني، بويع ليلة دخوله تلمسان في 16رجب من سنة814هـ/1411م، كان في منتهى الحزم والجدّ، غزا المرينيين، وبذلك اشتدّت صولته، وامتدّت له دولته. **ينظر:** التنسي، المصدر السابق، ص ص: 235- 236.

[5]- عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعيّة، ط07- سنة 1994م، ج02، ص: 195.

الحكم، ثمّ يوزعون إلى طامعٍ آخر أن يثور عليه، وقد عُرفت هذه الفترة بفترة امتداد النّفوذ الحفصي في المغرب الأوسط[1]، وذلك من سنة 827 هـ/1424م[2].

من الملوك الزّيّانيين الذّين أيّدهم الحفصيّون أبو العبّاس أحمد العاقل الذّي تولّى الحكم سنة 834هـ/1430م، ودام ملكه نحو اثنين وثلاثين سنة، حاول خلالها نشر الأمن وتعميم الرّخاء، وكسب تأييد الرّعيّة إليه، غير أنّ الثّورات والفتن التّي أذكتها بعض القبائل، وكذلك بعض أفراد الأسرة الحاكمة قد نال من مُلكِهِ بإشعال نار الثّورة التّي توّجت محمّد المتوكل على الله[3] سلطانا جديداً على تلمسان، وقد تمكّن من خلع عمّه أحمد العاقل سنة 866هـ/1462م[4]، وبإعلان رفضه لدعوة الحفصييّن مرّتين انتهتا بمهادنتهم، والاستسلام لهم ومصالحتهم،كانت المرة الأولى سنة 868هـ/1463م، وقد بعث فيها المتوكّل وفداً من العلماء لينوب عنه في الصّلح[5]. أما المرّة الثّانية فقد كانت سنة 870هـ/1465م، وفيها شدّد السّلطان الحفصي أبو عمرو عثمان الحصار على تلمسان لكنه عاد عنها، وصالح سلطانها المتوكل بعد وساطة وشفاعة أعيان من علمائها وشيوخها[6].

يمثّل النصف الثاني من القرن التاسع الهجري (15م) دور الهرم والضعف بالنسبة لدويلات المغرب الإسلامي؛ حيث دخلت كلّ واحدة منها في عزلة على نفسها، إمّا مصارعة من أجل سنوات أخرى من البقاء، وإمّا في انتظار صيحات النّهاية والسقوط؛ حيث دخلت الدّولة الزّيّانية عهداً جديداً تميّز بكثرة الفتن والاضطرابات، تزامن مع انتهاء فترة حكم سلطانها المتوكل[7]، فقد تتابع بعده على على عرش تلمسان ملوك ضعفاء، يبقى بعضهم في الحكم أيّاما، وبعضهم شهوراً وقليلاً منهم تتجاوز فترات حكمهم السّنوات، وكان منشأ ذلك بالدّرجة الأولى إلى تكالب أفراد الأسرة الحاكمة على السّلطة، إضافة إلى تمرّد بعض القبائل عن

[1]- عبد الحميد حاجيات وآخرون، الجزائر في التاريخ- العهد الإسلامي- الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، دع- سنة 1984م، ص: 427 ./ محمود بوعياد، جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن 09هـ/15م، ص: 19.

[2]- محمّد العروسي المطوي، السّلطنة الحفصيّة- تاريخها السّيّاسي ودورها الحضاري في المغرب الإسلامي- بيروت: دار الغرب الإسلامي، دع- سنة 1986م، ص: 586 وما بعدها.

[3]- هو السلطان أبو عبد الله محمد المتوكل على الله بن أبي زيان محمد بن أبي تابت، تولى الملك يوم الاثنين أول جمادى الأولى سنة 866هـ/1462م، **ينظر:** التنسي، المصدر السابق، ص ص: 254- 255.

[4]- محمود بوعياد، جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن 09هـ/15م، ص: 19.

[5]- كان من هؤلاء العلماء: الشيخ أبو عبد الله محمّد بن الشيخ أبي قاسم العقباني، والشيخ أحمد بن الحسن. **ينظر:** عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج02، ص: 199.

[6]- ينفرد الرّحالة المصري عبد الباسط بن خليل بالقول أن سبب فكّ هذا الحصار يعود إلى الأزمة المالية، والفتن الدّاخلية التّي وقعت في المعسكر الحفصي، والذّي كانت وراء انسحاب الجيش الحفصي عن تلمسان. **ينظر:** محمود بوعياد، رحالة مصري يزور الجزائر في القرن 09هـ/15م، ص: 130 وما بعدها.

[7]- هناك الكثير من الغموض الذّي يحيط بهذه الفترة التّاريخية خاصّة بعد انقطاع أخبار المؤرّخ التّلمساني "التنسي" سنة 868هـ/1464م في عهد محمد المتوكل الذّي لا يُعرف على وجه التّحقيق تاريخ نهاية ملكه ولا تاريخ وفاته.

الحكومة المركزيّة بإعلانها عن استقلالها، أضف إلى ذلك عجز الموارد المالية للدّولة بسبب انخفاض عائدات النّشاط التّجاري[1].

أمّا المرينيّون فقد كانت دولتهم تتأهّب للسّقوط؛ حيث كانت السّلطة الفعلية في يد الحجّاب والوزراء من بني وطّاس[2] الذّين استبدّوا بالحكم دون السّلطان عبد الحق المريني، الذي تولّى الحكم سنة 831هـ/1427م، ولما انتبه إلى استبدادهم بالأمر دونه أنزل بهم وقعة استأصلت كثيراً منهم[3]، ولم ينج من هذه المذبحة سوى بعض الوطّاسيين، وعلى رأسهم محمّد الشّيخ الوطّاسي صاحب أصيلا[4]. وزاد الأمرُ تفاقماً حين استوزر السلطان المريني يهوديين هما هارون وشاويل، وجعل قائد شرطته الحسين اليهودي[5]. وكان هذا العمل بمثابة نهاية الدّولة حيث اندلعت الثورات في كلّ مكان، ولم تنته إلاّ باغتيال السّلطان المريني في 17 رمضان 869هـ/1465م[6]. وبايع أهالي فاس نقيب الأشراف بها الشريف أبي عبد الله محمّد بن الإدريسي الجوطي، غير أنّ الوطّاسيين خلعوه في سنة 875هـ/1470م بعدما تمكّنوا من استغلال مُجريات الأحداث لصالحهم، وهكذا انتهت دولة بني عبد الحق على أيدي وزرائهم وأبناء عمهم الوطّاسييّن، بإعلان أبي عبد الله محمّد الشّيخ بن أبي زكريّاء الوطّاسي نفسه سلطاناً على المغرب سنة 876هـ/1472م، مؤسّساً بذلك الدّولة الوطّاسية[7].

شهد القرن التّاسع الهجري (15م) انطلاقة قويّة لحركة الاسترداد المسيحي بالأندلس، والتّي امتدّت إلى سواحل بلاد المغرب الإسلامي، فقد ظهر تنافس شديد بين الإسبان والبرتغال في احتلال المدن والثّغور الساحلية لبلاد المغرب

1- محمود بوعياد، جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن 09هـ/15م، ص ص: 20-21.

2- **بني وطاس**: فرقة من بني مرين غير أنهم ليسوا من عبد الحق، ولمّا دخل بنو مرين المغرب واقتسموا أعماله كان لبني وطّاس هؤلاء بلاد الرّيف، فكانت ضواحيها لنزولهم وأمصارها، ورياعها لجبايتهم، وكان بنو الوزير منهم يسمون إلى الرياسة ويرمون الخروج عن بني عبد الحق، وأذعنوا إلى الطّاعة وراضوا أنفيهم على الخدمة، فاستعملهم بنو عبد الحق في وجوه الولايات والأعمال. **ينظر:** النّاصري (أبو العبّاس أحمد بن خالد السّلاوي)(ت: 1315هـ/1897م)، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر النّاصري ومحمّد النّاصري، الدّار البيضاء : دار الكتاب ، دع- سنة 1955م، ج04، ص: 118.

3- المصدر نفسه، ج 04، ص: 97.

4- **أصيلا**: يسمّيها الأفارقة أزيلا، وهي مدينة كبيرة، أسّسها الرّومان على شاطئ المحيط بعيدة عن مضيق أعمدة هرقل بنحو 70 ميلا، وعن فاس بنحو 140 ميلا. **ينظر:** الوزّان، المصدر السابق، ج01، ص ص: 311- 312.

5- النّاصري، المصدر السابق، ج04، ص98./ عطا علي ريّة، اليهود في المغرب الأقصى في عهد المرينيين والوطّاسيين، دمشق: دار الكلمة ودار الشفيق للطباعة والنّشر والتّوزيع، ط01- سنة 1999، ص: 39.

6- النّاصري، المصدر السابق، ج04، ص: 100.

7- النّاصري، المصدر السابق، ج04، ص: 120./ عطا علي ريّة، المرجع السّابق، ص: 39.

الإسلامي، بدءًا من احتلال مدينة سبتة[1] المغربية سنة 818هـ/1415م على يد الجيوش البرتغالية بعد مُحاصرة طويلة لها[2]. كما أصبحت السّياسة التّوسُّعيّة البرتغالية منذ ذلك العهد تهدف إلى السّيطرة على جبل طارق، وبالأخص المراكز الجنوبية منه الواقعة على السّاحل المغربي بدافع المحافظة على الطّريق التّجارية في الحوض المغربي من البحر المتوسّط[3].كما احتلّوا في السّنة نفسها المرسى الكبير[4] للمرّة الأولى، وبقوا بها إلى سنة إبعادهم عنها سنة 841هـ/1437م[5]. وفي وفي سنة 835هـ/1431م تعرّضت دولة الحفصيين لهجوم نصراني آراجوني مباغت على سواحلها استهدف جزيرة جربة[6]، حتى أنّهم أوشكوا على أسر سلطانها الذّي كان مقيماً بالقرب منها، لكن سرعان ما ردّوا هُجومهم[7] .

لقد كان البرتغاليّون والإسبان يُخفون أطماعهم التّوسّعيّة الاستعمارية وراء الدّافع الدّيني الصّليبي، الذّي جعلوه شعاراً لهم في تلك التّوسّعات، لذلك كان التّنافس على أشدّه بين الطّرفين في سبيل التّقرب من البابا، وكسب تأييده من أجل قتال المسلمين، والظّفر بأكبر نصيبٍ ممكن من أرضهم[8]. فاستولوا على مدينة قصر المجاز[9] سنة 862هـ/1458 نظراً لكونها ميناءً هاماً على مضيق سبتة وطنجة[10]، كما يمكن الاعتماد عليه لتقوية سبتة المحتلّة وأيضاً لمهاجمة مدينة

---

[1]- **سبتة**: مدينة عظيمة دعاها الرّومان سيفاطيس، وسمّاها البرتغاليون سوبتة، أسّسها الرومان على أصحّ الرّوايات، في مدخل مضيق أعمدة هرقل، واحتلّها القوط بعدهم، وفتحها المسلمون على عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك. **ينظر:** الوزّان، المصدر السابق، ج01، ص: 316 وما بعدها.

[2]- النّاصري، المصدر السابق، ج04، ص: 92.

[3]- عبد الكريم كريّم، المغرب في عهد الدّولة السّعدية، الرّباط: جمعيّة المؤرّخين المغاربة، ط03- سنة 2006، ص: 07.

[4]- **المرسى الكبير**: مدينة صغيرة بناها ملوك تلمسان في هذا العصر على ساحل البحر المتوسّط، بعيدة بأميال عن وهران، ومعناها الميناء الكبير، "لأن هناك ميناءً ما أضنّ في الدّنيا أكبر منه"، يمكن أن ترسو فيه بسهولة مئات المراكب والسّفن الحربية، وقد استولى الأسبان عليها عنوةً قبل سقوط وهران ببضعة أشهر. **ينظر:** الوزّان، المصدر السّابق، ج02، ص:31.

[5]- عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السّابق، ج02، ص: 195 .

[6]- **جربة**: جزيرة مجاورة لليابسة، وهي كلّها منبسطة رملية، يكثر فيها النّخل والكرم والزّيتون، وغيرها من الأشجار المثمرة، ودائرتها 18 ميلاً يعيش سكّانها في مداشر متفرّقة المنازل، لكلّ ملكيّة أرضية دار تسكنها أسرة خاصّة. **ينظر:** الوزّان، المصدر السّابق، ج02، ص: 93.

[7]- محمد العروسي المطوي، المرجع السّابق، ص: 582 وما بعدها.

[8]- حصل التّاج البرتغالي سنة 1454م على براءة بابويّة تجعل من المناطق التّي استعمروها من السّاحل المغربي إلى الشواطئ الإفريقيّة الغربية إلى غينيا الحالية ملكاً رسميا لهم، كما بعث البابا (نيكولا الخامس) إلى البرتغاليين وعلى رأسهم الأمير هنري الملاّح يحثّهم في التّواني على حرب المسلمين، وكان هذا كردّ فعل للكنيسة ضدّ ما قام به الأتراك المسلمون الذين فتحوا قسطنطينية بيزنطة سنة 1453م. **ينظر:** عبد الكريم كريّم، المرجع السّابق، ص ص: 07-08.

[9]- **قصر المجاز**: أو القصر الصّغير هي مدينة صغيرة، أسّسها المنصور ملك مرّاكش على شاطئ البحر بعيدة عن طنجة بنحو 12 ميلاً، وعن سبتة بنحو 18 ميلاً، أسّسها لحاجته للعبور إلى الأندلس مع جيشه كلّ سنة، وهي تقع في سهل جميل يرى منه ساحل الأندلس الذّي يواجه هذا الجزء من إفريقيا. **ينظر:** الوزّان، المصدر السّابق، ج01، ص: 316.

[10]- **طنجة**: تدعى عند البرتغاليّين بطنجيرة، وهي مدينة عظيمة قديمة، والرّومان هم الذّين أسّسوها على شاطئ المحيط في فترة حكمهم لإسبانيا على بعد 30 ميلاً عن سبتة، و150 ميلاً عن فاس، وهي موقع هام

طنجة[1]. وفي سنة867هـ/1462م سقطت مدينة بونة[2] السّاحلية، من مُدن المغرب الأوسط في يد الأسبان الذّين كانوا يلاحقون المهاجرين المسلمين الفارّين من الأندلس إلى السّواحل المغربية، وكان اتجاه الجالية الأندلسية مع أهالي المغرب الأوسط على مناوأة العمارة الإفرنجية بالبحر الأبيض المتوسّط سبباً في سقوط هذه المدينة[3]. كما كان استيلاء البرتغاليين على مدينة طنجة في سنة 869هـ/1464م بعد عمليّات متكرّرة، زحفوا إليها من مدينة سبتة في ألوف من العساكر[4]. وفي سنة 874هـ/1470م سقطت مدينة أنفى[5] في أيديهم، وقاموا بهدم مبانيها، وبقيت على حالها لفترة تزيد على الأربعين سنة، ثمّ شرعوا في تحصينها والبناء بها[6]. وللمرّة الثّانية وقعت مدينة المرسى الكبير في يد البرتغاليين في سنة 875هـ/1471م؛ حيث بقيت تحت سلطتهم ما يزيد على ستّة سنوات. وأقاموا بوهران[7]مؤسسّةً تجارية في سنة 888هـ/1483م وأخرى سنة 893هـ/1487م، وحاولوا إبرام معاهدة مع مملكة تلمسان، غير أنّهم فشلوا في ذلك[8]. وكان سقوط مدينة أصيلا في يد البرتغاليين سنة 876هـ/1472م، وبها استولوا على بيت المال الوطّاسي، وأسروا أحد أبناء السّلطان[9].

في سبيل مجابهة الوجود البرتغالي على أراضي المغرب الأقصى تحالف الوطّاسيّون مع الإسبان الذّين كانوا في خلاف مع البرتغاليين في مسألة المستعمرات، فقاموا بهجوم موحّد من البرّ والبحر على مدينة سبتة لضرب الحامية البرتغالية، وتحرير المدينة، وذلك سنة 880هـ/1476م، غير أنّ الإسبان استغلّوا هذا الموقف، وهذا الظّرف وسارعوا باحتلال جنوبي المغرب، وبنوا بها حصناً سنة 882هـ/1478م سمّوه "سانتاكروز".كما استطاعوا السّيطرة على مدينة

بسبب قربها من جبال غمارة أعداء النّصارى. **ينظر:** الوزّان، المصدر السّابق، ج01، ص ص: 313-314**.**

[1]**-** عبد الكريم كريّم، المرجع السّابق، ص: 08**.**

[2]**- بونـة**: أو عنّابة، مدينة عتيقة بناها الرّومان على ساحل البحر المتوسّط على بعد نحو 120 ميلاً غرباّ، وكانت تسمّى قديماّ أوربونة، فتحت عهد عثمان بن عفّان بعدما كانت خاضعة للقوط (الوندال)**. ينظر:** الوزّان، المصدر السّابق، ج02، ص ص: 61- 62 **.**

[3]**-** عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السّابق، ج02، ص: 199**.**

[4]**-** النّاصري، المصدر السّابق، ج04، ص: 98**.**

[5]**- أنفـى**: مدينة عظيمة أسّسها الرّومان في شاطئ البحر المحيط على بعد نحو 60 ميلاً شمال الأطلس، وبنحو 60 ميلاً شرق مدينة آزمّور، وكانت في غاية الحضارة و الازدهار لأن أرضها خصبة تصلح لجميع أنواع الحبوب. **ينظر:** الوزّان، المصدر السابق، ج01، ص ص: 196-197**.**

[6]**-** النّاصري، المصدر السّابق، ج04، ص: 116**.**

[7]**- وهـران**: مدينة كبيرة بناها الأفارقة الأقدمون على شاطئ البحر المتوسّط بعيدة بنحو 140 ميلاً من تلمسان، وبها من النّباتات والمؤسّسات ما تتميّز به كلّ مدينة متحضّرة، محاطة بأسوار عالية جميلة، يقع جزء من المدينة في السّهل، والجزء الآخر في جبل شديد الارتفاع. **ينظر:** الوزّان، المصدر السّابق، ج02، ص: 30**.**

[8]**-** عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السّابق، ج02، ص: 199**.**

[9]**-** النّاصري، المصدر السّابق، ج04، ص: 116.

آسفي[1] في سنة 885هـ/1481م، وعلى مدينة آزمّور[2] في حدود سنة 890هـ/1486م[3]، وسقطت مدينة مليلة[4] في يد الأسطول الإسباني سنة 896هـ/1492م[5].

يقترن التّاريخ الرّسمي الدّي يحدّد سقوط غرناطة[6] بمعاهدة تسليم المدينة، الموقّعة بين ملكها أبي
عبد الله محمّد بن عليّ، وملكّي قشتالة وآراجون إيزابيلا وفرناندو، والتّي كانت في 21 محرّم سنة 897هـ/25 نوفمبر 1491م[7].

كان هذا القرن يشكّل الطّور الأخير لدولة بني نصر (بني الأحمر)، والتّي تمثّل بدورها آخر مرحلة من حياة الدّولة الإسلامية بالأندلس، والتّي استمرّت مقاومتها أكثر من قرنين ونصف من سنة 635هـ/1229م بداية الدّولة النّصريّة إلى سقوط عاصمتها غرناطة[8]. ولقد كان سقوط الأندلس نتيجةً لعوامل كثيرة عجّلت بنهاية الدّولة، أوّلها يتمثّل في صراع بني الأحمر فيما بينهم، فرغم الشّتّات والضّعف الدّي استكان واستتبّ في دولتهم، إلا أنّ ذلك لم يجمع كلمة أبنائها في رجلٍ واحد، بل جعلوها حروباً متواصلة فيما بينهم تؤجّجها نار من الانتقام والعنصريّة القبليّة، والتّي كانت وراءها في غالب الأحيان الأسر النّبيلة القويّة كبني سراج، وبني أضحى، وبني الثّغري بالإضافة إلى غلبة نفوذ النّساء في البلاط. ولم يصل صراعهم إلى هذا الحدّ بل راحوا يستعينون بالنّصارى ضدّ بعضهم البعض[9]؛ حيث أبرموا معهم عدّة معاهدات تنصّ على الخضوع والطّاعة والطّاعة لملوك قشتالة، فعلى سبيل المثال لا الحصر تلك المعاهدة التّي تمّت بين ملك قشتالة خوان الثّاني والأمير أبي الحجاج يوسف بن المول، في محرّم سنة

---

[1]- **آسفي:** تقع في أقصى المغرب، ولها مرسىً هو آخر مرسى تبلغه المراكب من عند الأندلس إلى ناحية القبلة وليس بعده للمراكب مذهب. **ينظر :** الحميري(محمّد عبد المنعم)، الرّوض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عبّاس، بيروت: مكتبة لبنان، ط02 - سنة 1984م، ص:57.

[2]- **آزمّور:** مدينة في دكّالة من بناء الأفارقة على مصبّ نهر أمّ الرّبيع في البحر المحيط، وهي كبيرة وآهلة بالسّكان، لا ينقطع عنها التّجار البرتغاليون. **ينظر:** الوزّان، المصدر السّابق، ج01، ص: 157.

[3]- عبد الكريم كريّم، المرجع السّابق، ص: 09.

[4]- **مليلة:** مدينة كبيرة قديمة أسّسها الأفارقة على رأس خليج بالبحر المتوسّط، كانت عاصمة المنطقة، ولها إقليم كبير ينتج كمّية هامّة من الحديد والعسل، ومنه اشتقّ اسمها الدّي يعني العسل في لغة الأفارقة، كانت خاضعة للقوط قبل أن يفتحها المسلمون. **ينظر :** الوزّان، المصدر السّابق، ج01، ص: 341.

[5]- الوزّان، المصدر السّابق، ج01، ص: 341.

[6]- **غرناطة:** هي مدينة عظيمة من أحسن بلاد الأندلس، تقع على النّهر المعروف بشنيل، يشقّ وسطها، وفي هذا النّهر يوجد الدّهب الأحمر، وهو الموضع الثالث بالأندلس ، وهذه المدينة كثيرة البرد والثّلج في زمن الشّتاء، ويجلب الحرير من بعض أعمالها. **ينظر:** الزّهري، المصدر السابق، ص: 94 وما بعدها.

[7]- محمّد عبد الله عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين (العصر الرابع من كتاب دولة الإسلام في الأندلس)، القاهرة: مطبعة لجنة التّأليف والترجمة والنّشر، ط 03 - سنة1966م، ص: 244.

[8]- مجهول، آخر أيّام غرناطة أو نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، تحقيق: محمّد رضوان الدّاية، دمشق: **دار** الفكر، ط02- سنة 2002م، ص: 19.

[9]- أحمد توفيق المدني، انهيار بلاد الأندلس وموقف دول الإسلام واسطنبول من ذلك، مجلة الأصالة، رمضان- شوّال 1395هـ/سبتمبر- أكتوبر 1975م، السّنة 04، ع 27، ص: 178.

835هـ/1431م، الذّي تعهّد للنّصارى مقابل مساندتهم له في انتزاع العرش من السّلطان أبي عبد الله محمّد الملقب بالأيسر[1]، بالطاعة والتّعهّد بفكّ صراح جميع أسرى النّصارى، بالإضافة إلى دفع جزية سنويّة قدرها عشرون ألف دينار من الذّهب، وبتأييد القشتاليّين في حروبهم مع أعدائهم، سواء كانوا نصارى، أم مسلمين بألف وخمس مائة فارس[2]. لقد كانت هذه المعاهدة صورةً أليمةً إلى ما انتهت إليه الخلافات الدّاخليّة، والحروب الأهليّة في مملكة غرناطة في تلك الفترة الحرجة من حياتها. وفي المقابل من هذه الأوضاع كانت الشّعوب النّصرانية المتفرّقة تتّجه نحو الوحدة ولمّ الشّمل، خاصّةً بعد قران وليّ العهد الآراجوني الأمير فرناندو ابن الملك خوان الثّاني، بوليّة عهد قشتالة الأميرة إيزابيلا، أخت الملك هنري الرّابع، وقد كان هذا الزّواج ذا بعد قومي، أساسه التّحالف والنّصرة ضدّ الوجود الإسلامي في الأندلس[3].

كان ثمن الانتصارات الآنية التّي يحقّقها ملوك بني الأحمر على بعضهم البعض خسارات أبديّة لأراضي الإسلام بالأندلس، فقد توالى سقوط المدن و الحصون في أيدي النّصارى تِباعاً،كان أعظمها سقوط ثغر جبل طارق[4] سنة 867هـ/1462م، والذّي ألحِق بسقوط مدينة قرطمة[5] ورندة[6] وحصن ذكوين[7] في سنة 890هـ/1485م[8]، ثمّ مدينة لوشة[9] في جمادى الأولى سنة 891هـ/1486م، وإلبيرة[10] في جمادى الآخرة من السّنة نفسها، ثمّ مدينة بلّيش[1] ومالقة[2] في سنة 892هـ/1487م[3] انتهاءً بحصار غرناطة سنة 896هـ/1491م ثمّ سقوطها[4].

---

[1]- **الأيسر:** هو السّلطان أبو عبد الله محمّد بن السّلطان يوسف الثالث، تولّى حكم غرناطة بعد وفاة أبيه في 820هـ/1418م. **ينظر:** محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، ص: 154.

[2]- المرجع نفسه، ص: 158.

[3]- محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، ص: 181.

[4]- **جبل طارق:** هو شبه جزيرة صغيرة، وبمثابة مرتفع صخري يشرف على المدخل الغربي للبحر الأبيض المتوسط، فيه خرج طارق بن زيّاد، ومنه افتتح الأندلس. بنيت مدينة جبل طارق عهد الموحّدين، وسمّيت بمدينة الفتح، ولها مرسى كبير. **ينظر:** الحميري، المصدر السابق، ص: 382.

[5]- **قُرْطمة:** مدينة بالأندلس غير قرطبة، وهي من أعمال ريّة، وأهلها صُلحاء. **ينظر:** الحموي، المصدر السّابق، المجلّد 04، ج07، ص: 33.

[6]- **رندة:** مدينة بالأندلس، وهي قديمة بها آثار كثيرة، وهي على نهر ينسب إليها، وبقربها عين تعرف بالبراوة، وتجري من أوّل الرّبيع إلى آخر الصّيف. **ينظر:** الحميري، المصدر السّابق، ص: 229.

[7]- **ذكوين:** هو حصن حسن، كثير الميّاه والأشجار والفواكه، وهو بين مدينة مالقة، ورندة بالأندلس. **ينظر:** ابن بطّوطة، المصدر السابق، ج02، ص: 367.

[8]- مجهول، آخر أيّم غرناطة، ص ص: 65- 66 .

[9]- **لوشة:** مدينة حضريّة قريبة من أن تكون قطعة من غرناطة لاستيعاب ديارها الماء الجاري ، وقد شقها الوادي المسمّى بشنيل ، عليه قنطرة غير بعيدة في العلوّ من قنطرة سبو بفاس، و المدينة في حجر جبل شاهق محيط بثلاثة أرباعها. **ينظر:** الغزال(أحمد بن الهدي)، نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد (رحلة الغزال)، تحقيق: إسماعيل العربي، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعيّة، دع- سنة 1982م، ص: 212.

[10]- **إلبيرة:** مدينة بالأندلس متّصلة بأراضي كورة قبرة بين القبلة والشّرق من قرطبة، والتّي تبعد عنها بتسعين ميلاً، وأرضها كثيرة الأنهار والأشجار، بها معادن ذهب وفضّة ونحاس. **ينظر:** الحموي، المصدر السابق، المجلّد01، ج01، ص: 196.

أمّا العامل الآخر الذي مهّد لسقوط الأندلس فهو العامل المغربي، فقد كانت مملكة الأندلس تزداد قوّةً، أو ضعفاً، على مقدار ما كانت عليه ممالك المسلمين ببلاد المغرب من قوّةٍ ومنعة، أو ضعفٍ وانهيّار، خاصة المغرب الأقصى لاتّصال عدوة الأندلس به[5]. ولقد كانت دولة بني مرين وارثة الموحّدين في المغرب الأقصى، تقوم بالدّور نفسه الدّي لعبته سابقتها في إنجاد الأندلس، والوقوف إلى جانبها طيلة قرنٍ من الزّمن، وبالرّغم من القطيعة التّي كانت سائدة بين بني نصر وبني مرين في بعض الأحيان إلا أنّ ذلك لم يمنع من قيّام تحالفٍ دفاعيّ وثيق بين الدّولتين ضدّ الحملات النّصرانية[6]، فقد اتّخذ المرينيون في الأندلس قواعد لهم للعبور والمراقبة، كجبل طارق ورندة بموافقة غرناطة[7]. كما اضطلع المرينيّون زهاء القرن على ريّاسة خطّة أو مشيخة الغزاة المجاهدين[8] بالأندلس، والتّي عزّزت القوّة الدّفاعيّة بها، واستمرّت رياستهم لها إلى غاية سنة 768هـ/1367م،حيث صار أمرهم إلى سلطان غرناطة مباشرة، وعُنِي بشؤونهم بنفسه[9]. وقد دخلت دولة بني مرين في مرحلة الانحلال والسّقوط منذ وفاة السّلطان أبي الحسن[10] في سنة 752هـ/1351م، وبذلك فقدت غرناطة سندها الوحيد في مُجابهة النّصارى؛ حيث انقطعت الجيوش المغربيّة من العبور

---

[1]- **بلّيش:** في الأصل (بلّش) بالفتح وتشديد اللاّم والشّين المعجمة، بلد بالأندلس يُنسب إليها يوسف بن جبارة البلشي، رجل من أهل الصّلاح والتّقوى. **ينظر:** الحموي، المصدر السابق، المجلد 01، ج02، ص: 381.

[2]- **مالقة:** مدينة بالأندلس عامرة من أعمال ريّة، سورها على شاطئ البحر بين الجزيرة الخضراء وألمرية، وهي على ساحل بحر المجاز المعروف بالزّقاق، وأصل وضعها قديم، ثمّ عمّرت بعد وكثُر قصد المراكب والتّجار إليها، فتضاعفت عمارتها. **ينظر:** الحموي، المصدر السّابق، المجلّد 04، ج07، ص: 197.

[3]- مجهول، آخر أيّام غرناطة، ص: 82 وما بعدها .

[4]- مجهول، آخر أيّم غرناطة، ص: 101 وما بعدها.

[5]- أحمد توفيق المدني، المقال السّابق، ص: 182.

[6]- محمد عبد الله عنان، موقف القسطنطينية وباقي العالم الإسلامي من سقوط الأندلس ومسلميها، مجلّة الأصالة، رمضان- شوّال 1395هـ/سبتمبر- أكتوبر 1975م، السّنة 04، ع 27، ص: 103 .

[7]- المقال نفسه، ص: 105.

[8]- **مشيخة الغزاة المجاهدين:** أنشأها ابن الأحمر في مملكة غرناطة، وجعل ريّاستها من قرابة السّلطان يعقوب بن عبد الحقّ المريني، لكن من المعارضين له استظهاراً بهم عليه بعدما أحسّ بخطره، ومخافة أن يكون معه ما كان مع ابن عبّاد و يوسف بن تاشفين المرابطي لمّا استنجد به ضدّ حملات النّصارى سنة 673هـ، وكان موسى بن رحّو أوّل من عُقدت له مشيخة الغزاة بالأندلس. **ينظر:** ابن خلدون(عبد الرّحمن)(ت:808هـ/1405م)، كتاب العبر، بيروت: دار الكتب العلميّة، ط01- سنة 1992م، ج07، ص: 334.

[9]- محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، ص: 142.

[10]- **السّلطان أبو الحسن:** هو عليّ بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق، يُكنّى بأبي الحسن، بُويع بعد أبيه يوم الجمعة 25 ذي القعدة 731هـ، ومات يوم الثّلاثاء 27 ربيع الأوّل 752هـ. كان ضخم المُلك متّسع السّلطان ؛ ملك المغرب بأجمعه. **ينظر:** ابن الأحمر(إسماعيل)(ت:807هـ/1404م)، روضة النّسرين في دولة بني مرين، تحقيق: عبد الوهّاب بن منصور، الرّباط: المطبعة الملكيّة ط03- سنة 2003م، ص: 35 .

إلى الأندلس، لِتترَك منذ ذلك الحين تُغالب القِوى النّصرانية بمفردها، وملاذها الأخير في اختلاف كلمة النّصارى، وانشغالهم بخلافاتهم[1].
أهم النّتائج التّي يُمكن استخلاصها من هذا الفصل:
ـ أنّ المغيلي ينتسب إلى أسرة تلمسانية عريقة، اشتهرت بالعلم الغزير، والنّسب الشّريف، وتُجهل من حياته تفاصيل عديدة، كسنة ميلاده، وأسرته وظروف عيشها، وتاريخ رحلاته العلمية. درس بتلمسان على يد مشايخها، وكان على رأسهم الجلاّب، ثمّ انتقل بعدها إلى بجاية، ثمّ الجزائر أين تتلمذ على يد الشّيخ الثّعالبي وآخرين. ولمّا عاد إلى تلمسان اشتغل بالتّدريس لفترة، غير أنّه سرعان ما رحل عنها باتّجاه القصور التّواتية، بصحراء المغرب الأوسط. وقد تتلمذ على يديه جماعة من التّلاميذ، أشهرهم أيد أحمد التّازختي، والعاقب الأنصمني، والأخوين إبراهيم ومحمّد ابنا عبد الجبّار الفيجيجي، وللمغيلي العديد من المؤلّفات في مُختلف العُلوم.
- لقد كان المغيلي من أبرز عُلماء عصره وبيئته سواء من ناحية إنتاجه الفكري، وحتى في كفاحه ومُشاركته الإصلاحيّة، سواء بتلمسان أو بتوات وحتّى ببلاد السودان الغربي، إذ كان من بين العُلماء النّاقمين على سياسة الحُكّام خاصّة في بلاد المغرب الإسلامي، ومن بين الثّائرين على تلك الأوضاع التّي آلت إليها البلاد، بسبب فساد حُكمهم الخارج عن الشّرع، وتخاذلهم عن حماية أراضيهم من الزّحف الأجنبي، بل وعجزهم حتّى عن لمّ شمل مجتمعاتهم، لذلك ارتحل عن تلمسان مسقط رأسه. وقد عاصر فاجعة المُسلمين في سقوط غرناطة آخر معاقل المسلمين بالأندلس، كما كان مُطّلعاً على ما كانت عليه أوضاع المشرق الإسلامي تحت سلطة المماليك والتّتار.
- لقد تأثّر المغيلي بالظّروف العامّة لعصره، خاصّة السّياسية منها، فقد عايش عن قرب تلك الاضطرابات التّي سادت تلمسان، بتطاول اليهود إلى السّلطة، وبتكالب السّلاطين على الحكم رغم عدم كفاءة العديد منهم، وبظهور عدّة حركات تمرّديّة في الدّولة، بالإضافة إلى حُروبها المُتواصلة بين الجارين الحفصي والمريني. ويبدو أنّه كان للعلماء دور كبير في مجريات الأحداث السياسية لهذه الفترة، فمنهم من كان مسانداً للسّلطة؛ حيث يظهر ذلك جليّاً في مشاركتهم في عقد الصلح الذي جرى بين المتوكل الزياني، وأبي عمرو عثمان الحفصي سنة 868هـ/1463م، وكذلك وساطتهم في فك الحصار الحفصي المضروب على تلمسان سنة 870هـ/ 1465م. ومنهم من كان في خلافٍ معها كأمثال أحمد الونشريسي الذي جرى له مع المتوكل خلاف أدى بإنتهاب السلطان لداره سنة 874هـ/1469م، مما اضطره للفرار نحو فاس[2]. أما المغيلي فيحتمل أن

[1]- محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، ص ص: 136-137.
[2]- التنبكتي، نيل الإبتهاج، ج01، ص: 144.

أن يكون من مدبّري انقلاب سنة 870هـ/1465م[1]؛ حيث راح ضحيته أحد الوُزراء المُقرّبين من السّلطان، وما يزيد في صحّة هذه الفرضيّة أنّ المغيلي هاجر إلى توات في السنة نفسها[2].

---

[1]- محمود بوعياد، رحالة مصري يزور الجزائر في القرن 09هـ/15م، ص: 130 وما بعدها.

[2]- أحمد الحمدي، محمد بن عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكرية بتوات، ص: 52.

خلّف المغيلي العديد من المُصنّفات في العديد من العُلوم -كما سبق الإشارة إلى ذلك- ضمّت الكثير منها آراءه وأفكاره في السّياسة الشّرعية، وحتّى في الأدب السّلطاني، رغم أنّ بعضها يندرج في مواضيع أخرى كالعقيدة والتّوحيد، كما في مخطوطه"مصباح الأرواح في أصول الفلاح". وتبقى مؤلّفاته الرّئيسيّة في باب السّياسة الشّرعية والأدب السلطاني متمثّلة في كتاب"أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي"، ورسالتيه المطبوعتين كذلك "الإمارة"، و"فيما يجوز للحكّام في ردع النّاس عن الحرام"[1]. وأولى السّمات البارزة التّي يُلاحظها القارئ لكتابات المغيلي عموما، وكتاباته في السّيّاسة الشّرعيّة والأدب السّلطاني على الخصوص، أنّه يعتمد أسلوباً مميّزاً يغلب عليه الإيجاز غير المخلّ، والتّفصيل غير المملّ بديباجة أدبية بسيطة، وجذّابة في الوقت نفسه، لا تخلو من السّجع في أغلب الأحيان، وهذا ما نجده في "رسالته في شؤون الإمارة"، وبطابع نثري فنّي من غير تكلّف في صناعة الألفاظ. وهو يُعالج أفكاره بدون مقدّمات طويلة، فنجد كلامه في رسالة "جملة مختصرة فيما يجوز للحكّام من ردع النّاس عن الحرام" وفي "رسالته في شؤون الإمارة" عبارة عن قواعد شرعيّة وسيّاسية جاهزة، متسلسلة مترابطة فيما بينها لا تحتاج إلى شرح، وتدقيق في القراءة لفهم المقصد. وعلى عادة الفقهاء والعلماء في فن الأدب السُّلطاني يفتتح المغيلي جلّ مؤلّفاته بالبسملة، والدّعاء للأمير مستهلاً حديثه بعدد قليل من الجمل القصيرة المركّزَة مع ذكر اسم الأمير الذّي من أجله كتب مؤلّفه، كما في "جملته المختصرة"، وفي "أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي"، وتارة أخرى لا يذكر اسم الأمير كما في "رسالته في شؤون الإمارة ".

أ- <u>تعريف الخلافة، حكمها وفضلُها:</u>

1. <u>تعريفها:</u>

يرى المغيلي أنّ الإمارة تنوب عن الخلافة، فهو لا يُعارض واقعه الذّي كثرت فيه الإمارات وتعذّر وجود خلافة واحدة جامعة لكلّ العالم الإسلامي، وقد عرّفها بقوله: "الإمارة[2]خلافة من الله ونيابة عن رسول الله ρ"[1]، وهو بهذا التّعريف لا

---

[1]- نسختان مصوّرتان من المخطوطتين: مصباح الأرواح، والإمارة، توجدان بخزانة الشّيخ شاري الطّيّب بن عبد الله البلبالي، كوسام، بلديّة تيمّي، ولاية أدرار، بدون رقم. عدد أوراق الأولى 26 ورقة، الورقة الأخيرة منها عليها تقريض الشيخ محمد بن يوسف السنوسي للمصباح، وتحتوي كل ورقة على 22 إلى 25 سطرا. وعدد أوراق الثانية 11 ورقة، وتحتوي كل ورقة على 20 إلى 25 سطرا، وكلتا النسختين بخط مغربي كبير.

[2]- يطلق الأديب السّلطاني أسماء مختلفة على من يتولّى السّلطة، ويتدبر أمر الرّعيّة، فنجده لا يفرّق بين لفظة خليفة أو أمير أو ملك أو سلطان، رغم أنّ هذه الأسماء متناقضة في الظاهر كتناقض "الخلافة والملك"، أو تعارض "الخلافة والسّلطنة"، إلاّ أنّ التّصوّر السّيّاسي السّلطاني يذيب هذا التّعارض، فهو لا يُناقش مشكل الخلافة المعهود بقدر ما يطرح ضرورة السّلطان لتجاوز الفتنة، محدّداً له صفات خلقيّة، وقواعد سلوكيّة، يهدف من ورائها إلى دوام سلطته. **ينظر:** عزّ الدّين علاّم، المرجع السابق، ص: 58.

يختلف عمّا وضعه غيره وسابقوه من عُلماء السّياسة من المسلمين، وهو يُشارك أغلب كتّاب الأدب السّلطاني[2] في كونهم لم يتعرّضوا لمسألة الخلافة في بابٍ مستقل، ومردّ ذلك بالدّرجة الأولى إلى اهتمامهم بشخص السّلطان وأخلاقه وسيرته مع الخاصّة والعامّة، وكيفية سياسته، ونستثني منهم الماوردي في كتابه"الأحكام السّلطانية والولايات الدّينية"، الذّي عرّف الخلافة بأنّها "موضوعة لخلافة النّبوّة في حراسة الدّين وسياسة الدّنيا"[3]. وابن خلدون في "مقدّمته" الشّهيرة، الذّي عرّفها بقوله: "الخلافة هي حمل الكافّة على مقتضى النّظر الشّرعي في مصالحهم الأخرويّة والدّنيويّة الرّاجعة إليها، إذ أحوال الدّنيا ترجع كلّها عند الشّارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فهي في الحقيقة نيابة عن صاحب الشّرع في حراسة الدّين وسياسة الدّنيا "[4]. ومن المتأخّرين ابن رضوان[5] في كتابه "الشّهب اللاّمعة في السّياسة النّافعة"، والذّي وقف على موضوع الخلافة في بابٍ مستقلّ "في فضل الخلافة وحكمتها وثواب من قام بها"[6].

2. حكمها وفضلها:

قال المغيلي بأنّ "الإمارة هي فرض لازم على الفور، ومن أدلّة وجوبها وفوريّتها مبادرة الصّحابة رضي الله عنهم لطلب الإمام ونصبه يوم وفاة النّبي ρ، وقدّموه على دفنه"[7]. وإذا كان نصب الإمام واجب بإجماع فإنّ حكم عقد الإمامة فرض كفاية على جميع الأمّة، ومن المسائل الهامّة التّي أثارت جدلاً بين فقهاء المسلمين عبر تاريخ الإسلام مسألة وجوب الخلافة: هل دلّت بالعقل أم بالشّرع؟ وهم بذلك منقسمون إلى طائفتين؛ ترى الطّائفة الأولى أنّ الخلافة "وجبت بالعقل لِما في طباع العقلاء من التّسليم لزعيم يمنعهم من التّظالم ويفصل بينهم في التّنازع والتّخاصم، أمّا الطّائفة الثّانية فقالت بأنّ وجوبها تمّ بالشّرع دون العقل؛ لأنّ الإمام يقوم بأمور شرعية قد كان مجوزاً في العقل أن لا يرد التّعبّد بها"[8] .

1- المغيلي، رسالة الإمارة، و: 1و.

2- أمثال المرادي الحضرمي في كتابه "الإشارة في تدبير الإمارة"، وابن سمّاك العاملي في كتابه"رونق التّحبير في حكم السّياسة والتّدبير"، والثّعالبي في كتابه"آداب الملوك"، والغزالي في كتابه" التّبر المسبوك"، والجاحظ في كتابه"التّاج في أخلاق الملوك"...

3- الماوردي(أبو الحسن)(ت:450هـ/1058م)، الأحكام السّلطانية والولايات الدّينيّة، تحقيق: سمير مصطفى، بيروت: المكتبة العصريّة، ط 01- سنة 2000م، ص: 13.

4- ابن خلدون، المقدّمة، ص: 211.

5- **ابن رضوان(ت: 783هـ/1387م):** هو أبو القاسم محمد بن يوسف ابن رضوان النجاري الأندلسي المالقي، تولى عدّة مناصب سامية في الدولة المرينية، ولُقب بها بصاحب القلم الأعلى. **ينظر:** الونشريسي، الوفيات، ص: 130.

6- ابن رضوان (عبد الله المالقي)، الشهب اللاّمعة في السياسة النافعة، تحقيق: سليمان الرفاعي، بيروت: دار المدار الإسلامي، ط01- سنة 2002م، ص: 235.

7- المغيلي، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، و: 8ظ.

8- الماوردي، الأحكام السّلطانية والولايات الدّينيّة، ص: 13.

لم يُناقش المغيلي هذه المسألة في كتاباته رغم اهتمامه البالغ بالمسائل الخلافيّة وبعلم المنطق، ونجده في ذلك متأثّراً بما قاله أبو حامد الغزالي (450-505هـ/1058-1111م) في عدم ضرورة الاهتمام بهذه المسألة "لأنّ النّظر فيها ليس من المهمّات وليس أيضاً من فنّ المنقولات فيها، بل من الفقهيّات، ثمّ إنّها مثار للتّعصّبات، والعرض عن الخوض فيها أسلم من الخائض، وإن أصاب فكيف إذا أخطأ"[1]. ونجده يتّفق معه في العديد من المسائل، بل ومتأثّراً ببعض آرائه، فالشّيخ المغيلي يرى أنّ وجوب نصب الخليفة هو أصل المصالح كلّها، "إذ لا يصلح شيء من أمور الدّين والدّنيا إلاّ بها"[2]، فنصبه يوجب منع الفساد والظّلم بين الرّعيّة ويُجنّب الفتن، وهو أصل المبادئ الّتي يقوم عليها فكره السّيّاسي ونصائحه الإصلاحيّة لأمراء السّودان الغربي والتّكرور.

ويذكر الغزالي أنّ"نظام الدّين لا يحصل إلاّ بإمام مُطاع، وكما أنّ الدّنيا والأمن على الأنفس والأموال لا ينتظم إلاّ بسلطان مطاع، فتشهد مشاهدة أوقات الفتن بموت السّلاطين والأئمّة، وأنّ ذلك لو دام ولم يُتدارك بنصب سلطان آخر مُطاع لدام الهرج وعمّ السّيف، وشمل القحط، وهلكت المواشي، وبطُلت الصّناعات، وكان كلّ غلبٍ سلب، ولم يتفرّغ أحد للعبادة والعلم -إن بقي حيّاً- والأكثرون يهلكون تحت ظلال السُّيوف؛ ولهذا قيل: الدّين والسُّلطان توأمان (...) فكان وُجوب الإمام من ضروريّات الشّرع الذّي لا سبيل إلى تركه"[3] .

ب- <u>حقيقة الخلافـة:</u>

يرى المغيلي أنّ السّلطـان راعٍ لا مالك، وأنّ الملك كلّه لله، وما ذلك إلاّ تنبيها منه للأمير إلى
حقيقة دوره في الأمّة، فينبغي أن تكون هذه القاعدة على رأس القواعد والمبادئ السُّلطانية. وإذا كانت الخلافة أو الإمارة أصل المصالح كلّها فذلك لخدمة الرّعيّة، وتحقيق ورعاية مصالحها، لا لخدمة أولي الأمر، وإشباع رغباتهم وأهوائهم، وذلك هو الدّور الحقيقي للخليفة في المفهوم الدّيني،
"فهو خادم الشّعب لا سيّده، والوكيل عنه لا المستبدّ به"[4]. ويقول المغيلي في مطلع إجاباته عن أسئلة الأسقيا محمّد الأوّل[5]: "اعلم أعاننا الله وإيّاك أنّ الملك كلّه

---

[1]- الغزالي(أبوحامد)(ت:505هـ/1111م)، الاقتصاد في الاعتقاد، تقديم وتعليق: علي بوملحم، بيروت: دار مكتبة الهلال، ط01-سنة1993م، ص: 253.

[2]- المغيلي، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، و: 8ظ.

[3]- الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، ص: 254 وما بعدها.

[4]- علي عبد الرازق، الإسلام وأصول الحكم، نقد: ممدوح حقي، بيروت: دار مكتبة الحياة، دع- سنة 1966م، ص: 36.

[5]- **الأسقيا محمّد الأوّل:** هاجر أجداده من الجنوب الموريتاني الحالي، واستقرّوا حول النّيجر الأوسط وامتزجوا في قبيلة سنقاي. كان ضابطاً في جيش الأمير سيني علي، قبل أن يقوم بثورةٍ عليه سنة 899هـ/1493م، واستمر في الحكم إلى غاية سنة 934هـ/1528م، **ينظر:** جوزيف(جوان)، الإسلام في ممالك وإمبراطوريات إفريقيا السّوداء، ترجمة: مختار السّويفي، القاهرة: دار الكتاب المصري- بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط01 - سنة 1984م، ص: 58./

كلّه لله، وما النّصر إلاّ من الله لله، فكن لله عبداً بطاعته، يكن لك ربّا بحفظه وإعانته، إنّما أنت مملوك لا تملك شيئاً، وقد رفعك على كثيرٍ من عباده لتصلح لهم دينهم ودُنياهم، لا لتكون سيّدهم ومولاهم، وأنت في جميع مملكتك راعٍ لا مالك..."[1]، وقد قال رسول الله ρ: «ألا كُلُّكُم رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعيّتِه، فَالإِمَامُ الذِي عَلَى النّاسِ رِاعٍ وَهُوَ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيتِهِ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيّتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى أَهْلِ بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْؤُولَةٌ عَنْهُمْ، وَعَبْدُ الرّجلِ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيّدِهِ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْه، ألاَ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رعيّتهِ...»[2].

ويُقدّم المغيلي نصحه للطّامعين في منصب الإمارة غير المُدركين لخطورة وحجم المسؤولية والثّقل الذّي يتحمله صاحبها في عدّة أقوال من بينها قوله: "الإمارة بلوىً بين الهوى والتّقوى، فعلى كلّ ذي عقل وأمانة أن يبعد عنها إلاّ إذا لم يكن له بُدّ منها..."، وقد قال رسول الله ρ: «إِنَّكُمْ سَتَحْرِصُونَ عَلَى الإِمَارَةِ، وَسَتَكُونُ نَدَامَةً يَوْمَ القِيَامَةِ، فَنِعْمَ المُرْضِعَةُ وَبِئْسَتِ الفَاطِمَةُ»[3].

ج- كيفية انعقاد الإمامة وشروطها:

إذا كـان نصب الإمام واجب بإجماع فإنّ حكم عقد الإمامة فرض كفاية على جميع الأمّة[4]،

وحكمها كالجهاد و طلب العلم[5]. وطريقة نصب الإمام تتمّ بطريقتين"إمّا باختيار أهل العقد والحلّ، و إمّا بعهد الإمام من قبل"[6].

يُركّز المغيلي على طريقة الاختيار في نصب الإمام، ويضع شروطاً في الجماعة التّي بيدها هذا الأمر(أهل العقد و الحلّ) أجملها في العدل والمعرفة[7]، ويقصد بالمعرفة العلم الذّي يتوصّل به إلى إدراك المستحقّين للإمامة على شروطها، إضافة إلى حُسن الرّأي والحكمة المؤدّيّان إلى اختيار من هو للإمامة أصلح، وبتدبير المصالح أقوم وأعرف[8]. ويشترط المغيلي في منصب الإمامة أو الخلافة شروطاً، أجملها في قوله: "القرشيّ أولى بها من غيره، وثمرته الإيمان، فله شرطان: الأوّل أن يكون على درء المفاسد الدّينيّة والدّنيويّة بالعلم والجسم، والثّاني أن يكون قويّاً أميناً على مراعاة الأصلح بالتّقوى لا بالهوى، وليس من

Sékéne Mody Cissoko, Tombouctou et l'empire Songhay (Epanouissement du Soudan Négérien), Paris : L'harmattan, 1996, PP: 76…83.

[1]- المغيلي(محمد بن عبد الكريم)، أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، تقديم وتحقيق: عبد القادر زبايديّة، الجزائر، الشركة الوطنية للنّشر والتوزيع، ط01- سنة 1947م، ص ص: 23- 24.

[2]- رواه البخاري(محمد بن إسماعيل)(ت:256هـ)، صحيح البخاري، الرياض: بيت الأفكار الدّولية للنشر والتوزيع، ط01- 1998م، رقم الحديث: 7138، ص: 1362.

[3]- رواه البخاري في صحيحه، باب ما يكره من الحرص على الإمارة، رقم الحديث: 7148، ص: 1363.

[4]- المغيلي، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، و: 8ظ.

[5]- الماوردي، الأحكام السّلطانية والولايات الدّينيّة، ص: 13.

[6]- المصدر نفسه، ص: 15.

[7]- المغيلي، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، و: 8ظ.

[8]- الماوردي، الأحكام السّلطانية والولايات الدّينيّة، ص: 14.

شرطه أن يكون معصوماً، إنّما يجب اختياره بحسب الإمكان في كلّ زمان، ثمّ يُطاع في غير معصيّة الله"[1].

أمّا النّسب القرشي فقد"اختلف القائلون بوجوب الإمامة في قريش، فذهب أهل السّنّة وجميع الشّيعة وبعض المعتزلة وجمهور المرجئة إلى أنّ الإمامة لا تجوز إلاّ في قريش، وذهب الخوارج كلّهم وجمهور المعتزلة وبعض المرجئة إلى أنّها جائزة في كلّ من قام بالكتاب والسّنّة قرشيّا كان أم غريبا"[2]. ودليل أهل السّنة في في أولويّة النسب من قريش قوله: «لاَ يَزَالُ هَذَا الأَمْرُ فِي قُرَيْش، مَا بَقِيِ مِنْهُمْ اثْنَان»[3].

أمّا العلم فهو شرط أساسي في تولّي الإمامة لأنّه المؤدّي إلى الاجتهاد في النّوازل والأحكام، وبه تساس الرّعيّة، وتدبّر المصالح. والقوّة هي شرط لازم في تولّي هذا المنصب فيجب أن يكون الخليفة سليم الأعضاء من النّقص، وسليم الحواس من سمع وبصر ولسان[4]. ويسمّيها ابن خلدون بالكفاية، "وهي التّي تمكّن تمكّن الخليفة وأولي الأمر من الجرأة على إقامة الحُدود واقتحام الحُروب، وبها يتغلّب على أعباء السّيّاسة، وبها يصِحّ حماية الدّين، وجهاد العدوّ وإقامة الأحكام"[5].

وشرط "الأمانة على مراعاة الأصلح بالتّقوى لا بالهوى"، فيقصد بها الشّيخ المغيلي العدالة في الأحكام السّلطانية؛ حيث يكون"صادق اللهجة، ظاهر الأمانة، عفيفاً عن المحارم، متوقياً للمآثم،
بعيدا عن الشّكّ والرّيب، مأموناً في الرّضا والغضب، مستعملاً لمروءة مثله في دينه ودُنياه "[6].

د- مسألة انعقاد الخلافة لاثنين:

من المسائل الهامّة والخطيرة التّي أشار إليها المغيلي أن يكون للمسلمين خليفتين في وقتٍ واحد، وبلدٍ واحدة وهذا ما يؤدّي بالضّرورة إلى افتراق كلمة المسلمين، وفساد أحوالهم، فوجب أن يكون الإمام واحِداً، حتّى يستطيع حكم الرّعيّة وسياستها بما أمر الله ونهى عنه. وتعقد الإمامة لأسبقهما بيعة وعقداً، كالوليين في نكاح المرأة إذا زوّجاها باثنين كان النّكاح لأسبقهما عقداً[7].

في حالة اتّساع رقعة بلاد المسلمين وجب على الخليفة تعيين من ينوب عنه في إدارة البلاد البعيدة، "فليس للخليفة شريك في ولايته، ولا لغيره ولاية على

---

[1]- المغيلي، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، و: 8ظ.

[2]- محمد عزيز نظمي، المرجع السّابق، ص: 166.

[3]- رواه البخاري في صحيحه، باب الأمراء من قريش، رقم الحديث: 7140، ص: 1362.

[4]- الماوردي، الأحكام السّلطانية والولايات الدّينيّة، ص ص: 14-15.

[5]- ابن خلدون، المقدّمة، ص ص: 213- 214.

[6]- العاملي(محمّد بن سمّاك)(من علماء ق8-9هـ)، رونق التّحبير في حكم السّيّاسة والتّدبير، تحقيق: سليمان القرشي: بيروت: دار الكتب العلميّة، ط01- سنة 2004م، ص: 24.

[7]- الماوردي، الأحكام السّلطانية والولايات الدّينيّة، ص: 17.

المسلمين إلاّ ولاية مستمدّة من مقام الخلافة، وبطريق الوكالة عن الخليفة، فعُمّال الدّولة الإسلاميّة، وكلّ من يلي شيئا من أمر المسلمين في دينهم أو دنياهم من وزير أو قاضٍ أو والٍ أو محتسب أو غيرهم، هم وُكلاء للسّلطان ونواب عنه، وهو وحده صاحب الرّأي في اختيارهم وعزلهم (...) وإعطائهم من السُّلطة بالقدر الذّي يرى، وفي الحدّ الذّي يختار"[1].

هـ- مسألة البلاد السّائبة والظّالم أميرها:

قسّم المغيلي البلاد المقترنة بالإمارة أو الخلافة إلى ثلاثة أنواع: بلاد لها أمير يرعى مصالح أهلها في دينهم ودنياهم، فلا يحلّ لأحدٍ من الرّعيّة أن ينزع يداً من طاعته، كما أنّه لا يحلّ لأحدٍ غيره أن يُنازعه في رعيّته. وبلاد لها أمير غير أنّه لا يرعى مصالح أهلها كأخذه للمكس بالظّلم وبالفساد، وعدم الإصلاح، فهذا يجب على أميرٍ غيره أن يُزيل ظُلمه عن المسلمين لكن من غير مضرّة عليهم، وإن استطاع إقامة أميرٍ عادلٍ عليهم فليفعل، حتّى وإن أدّى ذلك إلى القتل، فمن قُتل من أعوان الأمير العادل كان خير شهيد، ومن قُتل من أعوان الأمير الظّالم كان شرّ قتيل "فالدّفع عن المُسلمين من أفضل الجِهاد"[2]، قال الله تعالى: (إِنَّ اللهَ اِشْتَرَى مِنَ المُومِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمْ الجَنَّةَ، يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالاِنْجِيلِ وَالقُرْآنِ، وَمَنْ اَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ، فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمْ الذِّي بَايَعْتُمْ بِهِ، وَذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيم)[3]. وفي حالة ما إذا اقترن إزالة ظلمه عن المسلمين بمضرّةٍ أشدّ عليهم، فإنّه يُستحسن التثبت، وارتكاب أخفّ الضّررين، "وليس من المنكر قتل الظّلمة والمُفسدين وأعوانهم".

أمّا البلاد الثّالثة فهي بلاد سائبة، ليس لأهلها أمير، بل مهملون لا يخضعون لأيّة سلطة تحكمهم، ولهذه البلاد أحكام خاصّة هي: أن تنتقل أحكام هذه البلاد إلى الإمام الأقرب لتلك الأرض، لأنّ انتقال الحكم داخل أهلها إلى أفضلهم يُؤدّي بالضّرورة إلى التشاجر والنّزاع،"وقوم لا أمير لهم يجب عليهم أن يرفعوا أمرهم لإمام الأمّة حيث كان ليُولّي عليهم من يُصلِح دينهم ودُنياهم"، وإن تعذّر ذلك تنتقل أحكام الإمام في هذه البلاد إلى أفضل أهل ذلك الزّمان، ومن شروطه العلم النافع، ورعي حُدود القرآن دفعاً للمفسدة بحسب الإمكان على أتمّ الطُّرق، ويُعلّل المغيلي ذلك بقوله "إذ لابدّ في كلّ زمانٍ من عمودٍ يقوم به الحقّ، ويستقيم عليه نظام الأمّة إلى يوم القيامة"[4].

وإذا كان المغيلي لم يُحلّل واقع السّلطة في "رسالته في شؤون الإمارة"، وعدم بحثه في مدى شرعيّة الأساس الذّي قامت عليه أصلاً؛ حيث نجده يُغفل مسألة اختيار الحاكم، أو عزله، أو شرعيّة الخروج عليه من عدمه، فإنّه في أجوبته على أسئلة الأسقيا نجده يخرج على نطاق الأسئلة الموجّهة إليه ويتوسّع في الإجابة عن

1- علي عبد الرّازق، المرجع السابق، ص ص: 15-16.

2- المغيلي، أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، ص: 51.

3- سورة التوبة، الآية: 111.

4- المغيلي، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، و: 8ظ.

أشياء لم ترد في الأسئلة، ويُحلّل الواقع السّيّاسي لمجتمع السّنقاي، وما كان عليه من اضطرابات وفساد، وفوضى وظلم، ويُفتي بشرعيّة حكم الأسقيا. كما يفتح له المجال بالتّوسّع على أراضي الأمراء المُفسدين والظّالمين، وهذا ما نجده في جوابه على المسألة الرّابعة من أسئلة هذا الأمير[1]. كما نجده في كتابه "مصباح الأرواح في أصول الفلاح" يُشير إلى ضرورة صبر الرّعيّة على أفعال أميرهم إن كان ظالماً، مع عدم الخروج عليه، حيث يقول: "يُطاع في غير معصية الله تعالى، ويُعان بالأنفس والأموال في سبيل الله، فإن تعدّى وظلم ذكّر وزجر بكلام الحكمة والموعظة الحسنة، ثمّ صبر له حتّى يتوب الله عليه ويُصلح عمله.."[2]، لقوله ρ:

«مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَكَرِهَهُ فَلْيَصْبِرْ، فَإِنّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يُفَارِقُ الجَمَاعَةَ شِبْرًا فَيَمُوت، إلاَّ مَاتَ مَيْتَةً جَاهِلِيّة»[3].

---

[1]- المغيلي، أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، ص: 47 وما بعدها.

[2]- المغيلي، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، و: 8ظ.

[3]- رواه البخاري في صحيحه، باب السمع والطّاعة للإمام ما لم تكن معصية، رقم الحديث: 7143، ص: 1363.

خصّص المغيلي البابين الأوّلين من رسالته في شؤون الإمارة في الحديث عن الأخلاق والآداب الواجب توفّرها في الأمراء والسّلاطين، ويبدو لنا من خلال عنواني هذين البابين، وما جاء فيهما أنّه يُقسّم هذه الأخلاق إلى نوعين أساسيين: أخلاق نفسيّة وحِسّيّة، وهي تختصّ بالأمراء وذوي السّلطة وأصحاب الولايات في الدّولة، كحسن النّيّة للإمارة، ومُحاسبة النّفس، والخوف من الله تعالى في تدبير شؤون الإمارة وفي رعاية مصالح الرّعيّة، والتّوكّل عليه في جميع الأمور، وأنّ الإمارة نعمة تستحق شكر الله سبحانه وتعالى، والنّوع الثّاني من هذه الأخلاق، هي أخلاق الظّاهر كحسن الهيأة، وأدب المجلس[1]. وقسّم هذه الآداب إلى صنفين مختلفين، أدب شريعة ودين، وأدب سياسة وتدبير، فأمّا أدب الشّريعة فهو ما أدّى إلى قضاء الفرض، وأدب السّياسة هو ما أعان على عِمارة الأرض، وكلاهما واجب في أخلاق الأمراء وأولي الأمر.

افتتح المغيلي كلا البابين بحكمة من حكمه، وقد اقترنت كلّ واحدة بذكر علاقة الإمارة بالأخلاق، قال في الأولى:"الإمارة بلوىً بين الهوى والتّقوى"، وفي الثّانية:"الإمارة مُقمعة النّفس الأمّارة ". وقد جاءت كلّ نصائحه في هذين البابين على شكل جملٍ قصيرة، وعبارات بليغة بأسلوب الأمر مع الرّجاء ليحُثّ الأمير على وجُوب التّخلّق، وتهذيب الطّباع. فكما يقول الماوردي: "حق على ذي الإمرة والسّلطان أن يهتمّ بمراعاة أخلاقه، وإصلاح شيمه، لأنّها آلة سلطانه، وأسّ إمرته، وليس يمكن إصلاح جميعها بالتّسليم إلى الطّبيعة، والتّفويض إلى النّخيرة، إلاّ أن يرتاض لها بالتّقويم والتّهذيب، رياضة تهذيب، وتدريج وتأديب، فيستقيم له الجميع، بعضُها خُلق مطبوع، وبعضها خُلق مصنوع، لأنّ الخُلق طبع وغريزة، والتّخلّق تطبّع وتكلّف..."[2]. ويقول ابن طباطبا: "إنّ الملك الفاضل هو الذّي اجتمعت فيه خصال، وعدمت فيه خصال، وهذه عشر خصال من خصال الخير من كُنّ فيه استحقّ الرّياسة الكُبرى؛ فمنها العقل، والعدل، والعلم، والخوف من الله، والعفو، والكرم، والهيبة، والسّياسة والوفاء بالعهد، والإطّلاع على غوامض أحوال الرّعيّة[3].

أ- حُسن الهيأة وأدب المجلس، والظّهور والحِجبة:

1. حُسن الهيأة:

من الأمور البسيطة التّي قد يغفل عنها الأمير، وتزيد من هيبته بين عمّاله،

1- المغيلي، رسالة الإمارة، و: 1و-1ظ .

2- الماوردي(أبو الحسن)، تسهيل النّظر وتعجيل الظّفر في أخلاق الملك وسياسة الملك، تحقيق: محيي هلال السرحان، بيروت: دار النهضة العربية، ط01- سنة 1981م، ص: 08.

3- ابن طباطبا(محمّد بن علي)(ت:709هـ/1309م)، الفخري في الآداب السّلطانية والدّول الإسلامية، تحقيق: عبد القادر مايو، حلب: دار القلم العربي، ط01- سنة 1997م، ص: 23 وما بعدها.

ورعيّته، في إقامته وسفره، لِباسُه؛ فعليه أن يُحافظ على مقامه بحُسن اللّباس، وطيب الرّائحة، فقد كان من عادة المُلوك والأمراء أن يتميّزوا بلباسهم عن غيرهم، وأن لا يلبس أحد من الحاشية أو الجُلساء مثل ما يلبسه إجلالاً وإفراداً بزيّه، فإنّ البهاء والعزّ في تفرّد الخاصّة عن العامّة، وبتفرّد الملوك والأمراء عن الخاصّة بالنّفائس والمحاسن[1].

لقد كانت أخلاق الأمراء والملوك تختلف في اللّباس والطّيب، فمنهم من كان لا يلبس القميص إلاّ يوماً واحداً، أو ساعة واحدة، فإذا نزعه لم يعد إلى لبسه، ومنهم من كان يلبس القميص والجبّة أياماً، فإذا ذهب رونقه رمي به، فلم يلبسه بعد[2]. إلاّ أنّ للمغيلي رُؤية خاصّة في ذلك، فلا يشترط على الأمير سوى أن يكون اللّباس من مباحٍ، خاصٍّ بالرّجال غير متشابه بالنّساء، حيث يقول في نُصحه لأمير كانو[3]: "تردّى برداء الهيبة في الحضرة، والغيبة(...)وزيّن جسمك وطيّب ريحك، وحسّن ثوبك بمباحٍ من زينة الرّجال، غير متشابه بالنّساء، فلا تتزيّن بذهب ولا فضّة، وحرير بحال، فإنّ ذلك قُبح ودناءة وضلال..."[4].

كما يجب على الأمير أن يكون معتدلاً في جميع أحواله؛ في مطعمه ومشربه، وملبسه، ونومه ويقظته وراحته وتعبه، وأحسن الأمور أوسطها، فينبغي للأمير أن يتوسّط في لباسه من لباس أجناسه حتّى يكون متواضعاً في جميع الحالات، وأن يقتصد في مأكله ومشربه، غير مُغالٍ ولا مُسرف[5]، قنوعاً لا يشتغل بالشّهوات، "فلا يجعل نفسه عبد ثوب، ولا حصان، ولا عبد بساط، ولا مكان..."[6]، وكما قيل: "لا عدل بلا قناعة".

2. <u>في أدب المجلس:</u>

لمجلس الأمير آداب يجب عليه مراعاتها، واحترامها، كهيأة الجُلوس، والاقتصاد في الكلام، وحُسن اختيار خُدّامه وجُلسائه، وممّا جاء في نصح

---

[1]- الثعالبي(أبو منصور)(ت:429هـ/1038م)، آداب الملوك، تحقيق: جليل العطية، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط01- سنة 1990م، ص: 206.

[2]- الجاحظ(عمرو بن محبوب)(ت:255هـ/869م)، التّاج في أخلاق المُلوك، تحقيق، عمر الطّبّاع، بيروت: شركة دار الأرقم ابن أبي الأرقم للطّباعة والنّشر والتّوزيع، ط01- سنة 2002م، ص ص: 226-227.

[3]- **كانو:** من أشهر إمارات بلاد الهوسا، يرجع تأسيسها إلى القرن العاشر الميلادي، وهي واقعة على طرق القوافل التّجارية، كان أوّل ملوكها "بغودة بن باو بن با يزيد"، وقد دامت أسرته "بغودة" على كانو نحو 140عاما، قبل أن تقوم بعد انقراضها أسرة "رنفا" في سنة 828هـ. **ينظر:** آدم عبد الله الألوري، موجز تاريخ نيجيريا، ص: 81 وما بعدها.

[4]- المغيلي، رسالة الإمارة، و: 1ظ.

[5]- المرادي(محمّد الحضرمي)(ت:575هـ/1179م)، السّياسة أو الإشارة في تدبير الإمارة، تحقيق: سامي النّشار، الدار البيضاء: دار الثقافة، ط01- سنة 1981م، ص ص: 67-68.

[6]- المغيلي، رسالة الإمارة، و: 2و.

المغيلي للأمير في أدب مجلسه قوله: "تربّع إن جلست واسكن ما استطعت، فلا تعبث ولو بيدك، واغضض من بصرك(...)، ولا تفتح فمك ولو لتثاؤب"، وحثّه على التّأدّب والاعتدال حتى في الابتسامة والضّحك، فقال له:

"وَلاَ تُقَهْقِـهْ أَبَـداً فَإِنَّمَـا يُقَهْقِهُ الأَعْمَى وَيَزْدَادُ عَمَى"[1].

ويقول المرادي[2] في هذا الباب: "اجعل جُلوسك للحاجة في غاية الانقباض والتّوقير، والصّمت والتجمل، وقلّة الضّحك والالتفات والتّمايل، وبسط الأرجل، والمشاورة والمُحاورة، والقيام والقُعود، ولا تتحوّل عن الحالة التّي يجدونك عليها(...)، ولا تُكثر الانشراح الدّال على الفرح، ولا الانقباض الدّال على الحُزن، ولتكن من التّوسّط على حال لا يدري معها ما في نفسك، ولا يُستدلّ بها على شيء من أمرك، واجعل جُلوسك للخاصّة أبسط منه للعامّة، وأنعمهم بالتّحيّة، وأظهر لهم المودّة، وعاشرهم بلين الكلمة، وترفيع المنزلة..."[3].

ومن الأمور الواجبة على كلّ أمير أن يُحسن اختيار ندمائه وخدّامه حتّى يأمن على نفسه وسرّه، يقول المغيلي في ذلك: "لا تُقرّب لخدمتك ومجلسك ناقصاً في أعين النّاس، فإنّ دائرة المرء لباسه، فاختر خير لباس"[4]، ويقول أيضاً: "لا يقرب يقرب من طعامك وشرابك وفراشك وثيابك إلاّ أقرب أحبابك"[5]، فينبغي أن يكون الخادم فاضلاً، حسن السّيرة، صبوح الوجه، كتوماً، طاهر المسلك، فكهاً، مؤنساً للسّلطان[6]..، وينبغي للأمير أن يُجالس أهل العقل، من ذوي الرّأي والتّجارب، وممّا يُكره للأمير مُخالطة الأنذال، والسُّوقة، والجُهّال "فإنّ سماع ألفاظهم السّاقطة ومعانيهم المرذولة، وعباراتهم الدّنيّة، ممّا يحُطّ الهمّة، ويضع المنزلة، ويُصدئ القلب، ويزري بالملك، ومُخالطة الأشراف ومُعاشرة أفاضل الرّجال ممّا يُعطي الهمّة(...)، ويفتق الذّهن، ويبسط اللّسان"[7]. ويقول المغيلي أيضاً: "على الأمير أن يبتعد عن أهل الشّر، وأن يُقرّب منه أهل الخير، لأنّ من الغالب على الإنسان التّأنّس بقرينه، والميل إلى طبعه، وتزيينه، فمن قرّبته من نفسك فقد مكّنته من أذنك، ومن مكّنته من أذنك فقد مكّنته من قلبك، لأنّ الأذن زمام القلب..."[8].

1- المصدر نفسه، و: 1ظ.

2- **المرادي(ت:489هـ/1094م):** هو أبو بكر محمّد بن الحسن الحضرمي، أهمّ مؤلّفاته: أرجوزة في الاعتقاد، كتاب الإشارة، مختصر في علم الكلام. **ينظر:** بلغيث(محمّد الأمين)، النّظريّة السّياسيّة عند المرادي وأثرها في المغرب والأندلس، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ط01- سنة 1989م، ص: 41 وما بعدها.

3- المرادي، المصدر السابق، ص: 89.

4- المغيلي، رسالة الإمارة، و: 1ظ.

5- المصدر نفسه، و: 2ظ

6- الطّوسي(نظام الملك)(ت:485هـ/1092م)، سياست نامه، ترجمة وتعليق: السيد محمد العزّاوي، القاهرة: دار الرائد العربي، دع س، ص: 122.

7- ابن طباطبا، المصدر السّابق، ص: 42.

8- المغيلي، أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، ص 24.

فالصّاحب السّوء يُؤثّر في جليسه بدناءة طبعه، فيُغيّر من طباعه، ويُفسد كلامه وآدابه، ويُذيع مكتوم الأسرار، وربّما وصل الأمر إلى إفساد دينه، فقد قيل: "إنّ دين المرء على دين خليله، وإنّ الشّكل منجذب إلى شكله"[1]. ويقول المغيلي:"على الإنسان أن لا يُقرّب كافراً من نفسه أو عياله أو يستعمله في أعماله، و يجعل بيده شيئاً من ماله إلاّ من لا دين له، ولا عقل ولا مروءة"، وصلاح أيّ إنسان عند المغيلي هو مرهون بقرينه، لذلك نجده ينصح بحسن إختيار الأصحاب الأخيار[2].

3. **الظّهور والحِجبة:**

"رأس كلّ بليّة احتجاب السُّلطان عن الرّعيّة"، لقد تكرّر ذكر هذه الحِكمة، أو القاعدة السُّلوكيّة السُّلطانيّة في رسالة الإمارة عند المغيلي سبع مرّات في نهاية كلّ باب من أبواب الكتاب الثّمانية، فكانت واسطةً لعقد النّصائح التّي سعى إليها المغيلي من أجل تثبيتها في وعي كلّ أمير، تهدف في الأساس إلى تنظيم علاقة الحاكم بالمحكوم على أساس التّواصل المباشر بينهما-أو على أساس الشّفافية بلغة اليوم- ، حتّى لا ينفصل الحاكم عن مواطنيه ويظلّ في قصره لا يعرف عن أحوالهم إلاّ ما تنقله القِلّة المُقرّبة منه -إن صدقت- وحتّى يطّلع أفراد الرّعيّة بأنفسهم على مقدار اهتمام الحاكم بأمورهم ومصالحهم[3].

وإذا كان المغيلي باعتباره واحداً من علماء الأدب السُّلطاني يرى ضرورة خُروج الأمير في كلّ يوم لمُقابلة الرّعيّة، والنّظر في قضاياهم ومُشاركتهم في انشغالاتهم ومشاكلهم بتخصيص وقت مُعيّن من يومه لذلك[4]، فإنّ لغيره رأياً آخر في هذه المسألة، حيث يرى أبو منصور الثّعالبي(350-429هـ/961-1037م) في كتابه "نصائح المُلوك": "أنّ كثرة ظهور الملك عليه مجلبة لابتذال العُيون إيّاه، فمن حقّه التّصوّن عن ذلك، وبناء أموره وأحواله كلّها على ما يزيد في هيبته، ويعوذ بعُلوّ شأنه، وجلالة سُلطانه، فلا يُمكّن النّاس من كثرة رُؤيتهم له فإنّ أجرأ النّاس على الأسد أكثرهم له رُؤية"[5]. أمّا المُرادي فيرى ضرورة الاعتدال في حِجبة الأمير، لأنّ دوامها من أهمّ أسباب فساد الرّعيّة، فهي تقطع جديد أحوالهم

---

[1]- المرادي، المصدر السّابق، ص 77.

[2]- جاء ذلك في قوله من هذه الأبيات الشّعرية:

إذَا قرَّبَ الِإنْسَانُ أخْيَارَ قَوْمِــهِ وَأَعْرَضَ عَنْ أشْرَارِهِمْ فَهُوَ صَالِح
وَإذَا قَرَّبَ الِإنْسَانُ أشْرَارَ قَوْمِـهِ وَأَعْرَضَ عَنْ أخْيَارِهِمْ فَهُوَ طَالِح
وَكُلّ امْرِئٍ يُنْبِيكَ عَنْ قَرِينِــهِ وَهَذَا أمْرٌ فِي البَرِيّــَةِ وَاضِـح

ينظر: المغيلي، رسالة إلى كلّ مسلم و مسلمة، و: 1ظ .

[3]- حسني الطّنطاوي، من روائع التّراث السّيّاسي الإسلامي(تاج الدين فيما يجب على الملوك والسّلاطين)، مجلّة المجتمع الإماراتيّة، تصدر بإمارة دبي، ع 1534، تاريخ العدد: 11-01-2003م، ص: 17.

[4]- المغيلي، رسالة الإمارة، و: 4و.

[5]- الثّعالبي، المصدر السابق، ص: 105.

وأخبارهم، وهي باب لظهور المُخالفين والمتمرّدين على الأمير، كما أنّ كثرة ظهوره بينهم مُسقط لهيبته ومخافته بين النّاس، وفُرص للمتربّصين به، ويشترط في أن يكون للأمير في أوقات حِجبته، من يُعلمه بجميع ما يجري في رعيّته، وبجميع من يقدم عليه بحاجته[1].

ب- الصدق وكتم الأسرار، وحكمة الصّمت والتّثبّت قبل الكلام:

1. الصدق وكتم الأسرار:

من الأخلاق الواجبة في الملوك والأمراء، بل وفي النّاس عامّة خصلة الصّدق، واجتناب الكذب لقوله تعالى: (إِنَّمَا يَفْتَرِي الكَذِبَ الذِّينَ لاَ يُومِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ، وَأُولَئِكَ هُمْ الكَاذِبُونَ)[2]، وقولهρ: «رَحِمَ اللهُ امْرأً أَصْلَحَ مِنْ لِسَانِهِ، وَأَقْصَرَ مِنْ عِنَانِهِ، وَأَلْزَمَ طَرِيقَ الحَقّ ِمِقْوَلَه، وَلَمْ يُعَوّدْ الخَطَلَ مِقْصَلَه»، فالكذب جماع كلّ شرّ، وأصل كلّ ذمّ، لسوء عواقبه، وخبث نتائجه، لأنّه يُنتج النّميمة، والنّميمة تُنتج البغضاء، والبغضاء يؤول إلى العداوة، وليس من العداوة أمن، ولذلك قيل: "من قلّ صِدقه، قلّ صديقُه"[3]، ويقول المغيلي:"قبح القبائح اثنان، كِبر الفقير، وكذِب السّلطان"[4]، فمهما كانت للأمير أو لغيره دواعٍ فيه تبقى دواعي الكذب عارضة ودواعي الصّدق لازمة "فالصّدق يدعو إليه عقل موجب وشرع مؤكّد، والكذب يمنع منه العقل، ويصدّ عنه الشّرع"[5]. والصّدق والوفاء متلازمين، لذلك نجد المغيلي يجمع بينهما في نصائحه، حيث يقول: "إذا تحدّثت فاصدق، وإذا وعدت فأوفِ"[6].

ومن الأخلاق الواجب توفّرها في الأمراء والسّلاطين، كتمان السّرّ لما في ذلك من الحزم والاحتياط على الملك، والأصل فيه قوله ρ: «اسْتَعِينُوا عَلَى حَوَائِجِكُمْ بِالكِتْمَانِ، فَإِنَّ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُود»، وقيل: "من وهن الأمر إعلانه قبل إحكامه، ومن ضاع قلبه اتّسع لسانه"[7]، وفي هذا المضمون يقول المغيلي:"اكتم سرّك من غيرك حتّى تتمكّن من أمرك"[8]، فكتمان أسرار الأمراء من أقوى أسباب أسباب نجاحهم، وهو من حقوقهم التّي لا يُشاركهم فيها حتّى الوالدين، والزّوجة، فقد ُقيل: "المُلك يحتمل كلّ منقوص ومأنوف إلاّ ثلاثة، صفة أحدهم أن يطعن في

---

[1]- المرادي، المصدر السابق، ص: 87.
[2]- سورة النحل، الآية: 105.
[3]- الماوردي(أبو الحسن)، أدب الدّنيا والدّين، تحقيق: محمد السيد ومحمد الشرفاوي، بيروت: مؤسسة الرسالة ناشرون، ط01- سنة 2004م، ص: 252.
[4]- المغيلي، رسالة الإمارة، و: 1ظ.
[5]- الماوردي، أدب الدّنيا والدّين، ص: 252.
[6]- المغيلي، رسالة الإمارة، و:1ظ.
[7]- الثّعالبي، المصدر السّابق، ص: 102.
[8]- المغيلي، رسالة الإمارة، و: 2ظ.

مُلكه، وصفة الآخر أن يُذيع أسراره، وصفة الآخر أن يخونه في حُرمه"[1]. كما نجد المغيلي يجمع في إحدى نصائحه لأمير كانو بين كتمان السرّ، والتّحذير من خطر النّمّامين[2]، وأخذ الحيطة منهم[3].

2. **حكمة الصّمت والتّثبّت قبل الكلام:**

على الأمير أن يحرص في أوقات اجتماعه مع العامّة من النّاس، وحتّى مع خاصّته على أدب الصّمت لما فيه من الهبة والوقار، فكما قيل: "إنّ في الصّمت لحكمة"، وقد جاء في الأثر: "الزم الصّمت تغدُ في عقلك فاضلاً، وفي جهلك عاقلاً، وفي قُدرتك حليماً، وفي عجزك حكيماً، والزم الصّمت يُكسبك صفو المحبّة، ويُؤمّنك سوء المغبّة، ويُلبسك ثوب الوقار، ويكفيك مُؤنة الاعتذار"[4].كما يجب على الأمير أن يحتاط في كلامه إذا تكلّم، فلا يكون كلامه إلاّ لداعٍ يدعو إليه، إمّا في اجتناب نفع أو دفع ضرر، وأن يسوق الكلام في موضعه ويتوخّى به إصابة ما في ذهنه، بتخيّر اللفظ الذّي يتكلّم به، وقد صدق النبي ρ إذ قال: «رَحِمَ اللهُ مَنْ قَالَ خَيْراً فَغَنِمَ، أَوْ سَكَتَ فَسَلِمَ»[5].كما يجب على الأمير أن يكون عذب اللّغة، فصيح اللّسان في كلامه، قليل الكلام بالجهارة إلاّ عند الضّرورة[6]، "لكي لا يُكثر على الأسماع، فتسكن النُّفوس إليه، وتألف حديثه، والأصلح له ألاّ يكلّم النّاس إلاّ جوابا"[7].

ويشترط المغيلي على الأمير أيضاً أن يكون متريّثاً متثبتا من الأمر قبل الخوض فيه، لأنّ من مغبّة تسرّعه في إصدار الأحكام، وسرعة كلامه قبل التّدقيق والتّدبّر فيه، أنّه يخرج عن باب الحكمة، والحِلم"فالعجلة من الطّيش، ومن كان عجولاً لا يتروّى في أمره ظلّ أخا ندم وغمّ، لأنّ العجلة سبب فساد الصّالح،

---

[1]- الجاحظ، المصدر السّابق، ص: 176.

[2]- المغيلي، رسالة الإمارة، و: 1ظ.

[3]- يقول المغيلي من الشّعر في هذا الباب:

كَمْ خَرَّبَ النَّمَّامُ مِنْ قَصْرٍ مُشَيَّدٍ ... بِشَفَتَيْهِ لاَ بِفَأْسٍ مِنْ حَدِيـدٍ

فَأَبْعِدِ النّمّامِينَ عَنْكَ مِنْ بَعِيدٍ ... كَمْ سَقَهَ النّمّامُ مِنْ عَقْلٍ رَشِيدٍ

ينظر: المغيلي، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، و: 6و.

[4]- الأهوازي(أبو الحسين)(ت:436هـ/1044م)، الفرائد والقلائد، دراسة وتحقيق: إحسان الثامري، بيروت: دار ابن حزم- دار الرازي، ط01- سنة 2006م، ص: 25.

[5]- الماوردي، أدب الدّنيا والدّين، ص ص: 265-266.

[6]- يقول المغيلي من الشعر في هذا المضمون:

وَكُنْ عَلَى الصَّمْتِ حَرِيصاً دَائِماً ... فَقَلَّمَا يَسْلَم مَنْ تَكَلَّـمَا

وَإِنْ يَكُنْ لاَ بُدّ فَاخْتَـرْ محكمـاً ... وَاخْفِضْ مِنَ الصَّمْتِ لِيَلاَ تَنْدَمَا

ينظر: المغيلي، رسالة الإمارة، و: 1ظ.

[7]- ابن رضوان، المصدر السّابق، ص ص: 306-307.

والعجول دائم اللّوم لنفسه، دائم التّوبة والاستغفار، دائم إلقاء المعاذير، وغرم المغارم"[1]؛ حيث يقول له: "إذا أمرت بأمرٍ، أو نهيت عن شيء فلا تغفل عنه حتّى تبلغ المقصد، وإيّاك أن تُقصّر خطوتك عن مقالك، فتذهب هيبتك من قُلوب رعيّتك وعُمّالك"[2]، وأن تكون أفعاله مُطابقة لأقواله،"فإنّ صيانة القول خير من سوء وضعه، وإنّ كلمة واحدة من الصّواب تُصيب موضعها خير من مائة كلمة تقولها في غير فُرصِها، ومواضعها، مع أنّ كلام العجلة والبدار موكّل به الزّلل، وسوء التّقدير، وإن ظنّ به صاحبه أنّه قد أتقن وأحكم"[3].

ج- تقديم العقل، الفراسة والفطنة، والشّجاعة والجبن:

1. **تقديم العقل:**

يتّفق الحُكماء والوُعّاظ في السّياسة الشّرعيّة، والأدب السّلطاني على أنّ العقل أرفع مكارم الأخلاق على الإطلاق لقوله ρ: «مَا اكْتَسَبَ المَرْءُ مِثْلَ عَقْلٍ يَهْدِي صَاحِبَهُ إِلَى هُدَىً، أَوْ يَرُدّهُ عَنْ رَدىً»[4]، فلا نجد كتاباً في هذا الفنّ إلاّ ومجّد ذكره، وقد جعل المغيلي العقل وسطاً بين القلب واللّسان، ويبدو أنّه من خلال ذلك استخدم إحدى النّظريّات الإغريقيّة الشّهيرة والتّي ترجع في أصلها للفيلسوف أرسطو، وهي نظريّتة الأخلاقية للفضيلة، وهي القاعدة المعروفة بقاعدة الحدّ الوسط، والتّي هي توسّط محمود بين خصلتين أو صفتين خلقيّتين[5]؛ فصواب الإنسان لا يستقيم إلاّ به؛ حيث يقول: "المرء بأصغريه قلبه ولسانه، فقدّم عقلك بين يدي لسانك، فإنّ لسانك مرآة قلبك، وقلبك مجمع شأنك"[6]، وأفضل الأمراء ما جمع بين العقل والتّقوى، والعدل والحقّ، "فالعقل أقوى أساس، والتقوى أفضل لباس، ولا سائس مثل العقل، ولا حارس مثل العدل، ولا سيف مثل الحقّ(...)، وأفضل ما منّ الله به على عباده علم وعقل، وملك وعدل(...)، ونظر العاقل بقلبه وخاطره، ونظر الجاهل بعينه وناظره"[7].

---

[1]- الطّوسي، المصدر السابق، ص: 174.

[2]- ويقول المغيلي من الشعر في هذا الباب:

"إذا أهمـل السُّلطـان شأن مقالـه   فقد بان منه الضّعف في كلّ حاله
وَأَمْسَى كَلِيلَ الأَمْرِ وَالنّهي فِي الوَرَى   وَأَرْمَى بِثَوْبِيْ عِـزّه وَجَمَالـه"

ينظر: المغيلي، رسالة الإمارة، و: 1ظ:

[3]- ابن المقفع(عبد الله)(ت:142هـ/759م)، الأدب الكبير، تحقيق: أحمد زكي باشا، بيروت: دار ابن حزم، ط01- 2003م، ص: 36.

[4]- الماوردي، أدب الدّنيا والدّين، ص 17.

[5]- عز الدين علام، المرجع السّابق، ص: 70 وما بعدها.

[6]- ويقول المغيلي من الشعر كذلك في فضل العقل:

أَقُولُ وَقَوْلِي لِي وَلِلنَّاس جُمْلَـة   مَقَامُ الفَتَى بِالعَقْلِ عَالٍ مِنْ سَافِلِ
وَأَنْوَار عَقْلِ المرءِ فِي علم نفسِه   وَمَرْءَات عِلْمِ النّفْسِ مَا هُوَ فَاعِلُ

ينظر: المغيلي، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، و: 9و.

[7]- الأهوازي، المصدر السّابق، ص: 12.

وقال الماوردي"اعلم أنّ لكلّ فضيلةٍ أسّاً، ولكلّ أدبٍ ينبوعاً، وأسّ الفضائل وينبوع الآداب هو العقل، الذّي جعله الله تعالى للدّين أصلاً، وللدّنيا عماداً، فأوجب التّكليف بكماله، وجعل الدّنيا مدبّرةً بأحكامه، وألّف به بين خلقه، مع اختلاف هممهم ومآربهم، وبيان أغراضهم، ومقاصدهم، وجعل ما تعبّدهم به قسمين: قسم وجب بالعقل فوكّده الشّرع، وقسم جاز في العقل فأوجبه الشّرع، وكان العقل عليهما عِياراً "[1]، لأنّ جميع محاسن الدّنيا في العقل، وسائر العُلوم والأعمال مرجعها إليه، "فالعقلُ أمير وله جنود، وجنوده التمييز والحفظ والفهم، وسرور الرّوح العقل لأنّ به ثبات الجسم..."، وسُئل أحد الحُكماء: هل العقل خير أم الأدب؟ فقال: العقل، لأنّ العقل من الله تعالى والأدب تكلّف من العبد[2].

2. **الفراسة والفطنة:**

الفراسة هي مَلكة يستطيع الأمير من خلالها أن ينفذ إلى خبايا النّفوس وخفاياها، فيُدرك حقيقة الأمور، وعدم الاكتفاء بظواهر الوُجوه والأفعال، وهي من القِوى النّفسيّة التّي لا تكون إلاّ من عند الله، لكنّ الأمير يكون مُتفرّساً إذا اكتسب بعض الصّفات والخبرات[3]. وقد أحصاها وأجملها المغيلي في بعض نصائحه للأمراء بالسّودان الغربي، حيث جاء في بعض أقواله إليهم: "أغضض من بصرك وليكن نظرك تفرّساً، وأطرافك تفكّراً، وإقبالك على الخلق بوجه أداء الحق"، وقوله أيضاً: "لا تغترّ بظواهر الرّجال، و كن كيّساً فطِناً في كلّ حال"[4].

من الصّفات التّي جاءت في هذه الأقوال: غضّ البصر والذّي يقصد به المغيلي التّغافل عن الأمور، حتّى يُظهر الحقّ من الباطل، ويتثبّت الشّكّ من اليقين، فمن الدّهاء والفراسة إظهار الغفلة مع شدّة الحذر، فكما يُقال: "العاقل يغفل غفلة الأمن، ويتحفّظ تحفّظ الخائف"[5]. ومن الصّفات المُجتمعة مع الفراسة العدل، العدل، والظّهور للرّعيّة، وكذلك التثبت من الأمور، ومن الفراسة أيضا الفطنة في كشف أمور العُمّال، وحتّى العدوّ، كما جاء في قول السّلطان أبي حمّو موسى الثّاني[6] لابنه: "ينبغي أن تكون فراستك في وزيرك، وكاتبك، وقاضيك، ومفتيك،

---

[1]- الماوردي، أدب الدّنيا والدّين، ص 17.

[2]- الغزالي(أبو حامد)، التّبر المسبوك في نصيحة الملوك، بيروت: دار الكتب العلمية، ط01- سنة 1988م،ص ص: 120-121.

[3]- وداد القاضي، النّظريّة السّياسية للسّلطان أبي حمّو الزّيّاني الثاني ومكانتها بين النّظريّات السّياسيّة المُعاصرة لها، مجلّة الأصالة- السّنة الرّابعة: رمضان- شوّال 1395هـ/ سبتمبر- أكتوبر1975م، ع 27، ص: 80.

[4]- المغيلي، رسالة الإمارة، و: 2ظ.

[5]- ابن رضوان، المصدر السّابق، ص: 485.

[6]- **أبو حمو(723-791هـ/1323-1389م):** هو موسى الثّاني بن يوسف أبو يعقوب بن عبد الرحمن بن يحي بن يغمراسن، هو مجدد الدولة العبد الوادية في تلمسان، وهو من سلاطينها العظام. **ينظر**: ابن الأحمر(إسماعيل)(ت:807هـ/1404م)، تاريخ الدولة الزّيّانية بتلمسان، تحقيق: هاني سلامة، القاهرة:

وصاحب شُرطتك، وعمّالك، وصاحب أشغالك، وقوّادك، وصاحب أجنادك، وعدوّك، والأرسال الواردة عليك من العدوّ وغيره..."[1].

3. **الشّجاعة والجبن:**

الشّجاعة من الصّفات المحمودة في الأمراء والملوك، وأصلها "الصّبر في المواقف، وربط الجأش عند المخاوف، ورأسها الحذر والتّوقي، وسياستها المُمارسة عند التّلقي"، وشجاعة الأمراء تحفظ لهم طاعة الرّعيّة، وهيبة الأعداء، وتُقوّي الجيوش في مواقع الحُروب، كما يجب أن تقترن دائماً بالحذر، وإعمال الرّأي بلا تفريط[2]، والأمير الشّجاع في رأي المغيلي هو الذّي يكون إقباله على الجهاد والحرب أكثر من إدباره عليها[3].

مكتبة الثقافة الدّينيّة، ط01- سنة 2001م، ص: 76.

[1]- عبد الحميد حاجيات، أبو حمّو موسى الزّيّاني حياته وآثاره، الجزائر: الشّركة الوطنيّة للنّشر و التّوزيع، ط01- سنة 1974م، ص: 76.

[2]- المرجع نفسه، ص: 270 وما بعدها.

[3]- يقول المغيلي مستشهدا بهذين البيتين:

أَلاَ قَبّحَ اللهُ الجَبَانَ مِنَ الوَرَى ... وَأَكْسَبَهُ ثَوْبَ الذّلّ فِي طَبَقِ الثّرى
أَ بِالجُبْنِ كَانَ المُلْكُ يُمْلَكُ قَبْلَنَا ... وَمَـا المُلْكُ إلاّ بِالشّجَاعَةِ يُشتَرى

ينظر: المغيلي، رسالة الإمارة، و: 2ظ.

د- التزام الحيطة والحذر:

من المسائل الهامّة التّي نبّه إليها المغيلي الأمراء والسّلاطين عامّة من خلال نصحه لأمير إمارة كانو ببلاد السّودان الغربي، وُجوب أخذ الحذر والاحتراس في الإقامة والسّفر. وقد خصّص لهذه النّصيحة الهامّة باباً كاملاً في رسالته في شؤون الإمارة، وذلك بتبيين الأساليب والخطط الوقائيّة من أجل سلامة الأمير، بادئاً كلامه بحكمةٍ جامعة تقول: "الإمارة غُرَرٌ جنّتها الحذر"[1]. ويقول الماوردي في باب الحذر: "ينبغي للسُّلطان أن لا يغفل عن الحذر والاحتراس، ليجعل التّوكّل على الأعذار، وما تجري به الأقدار طريقاً إلى إضافة الحزم، فيستسلم لنوائب الدّهر، فإنّ الله تعالى أمرنا بالتّوكّل بعد الإنذار، وندب إليه بعد الإعذار، بذلك أنزل كتابه، وأمضى سنّته"[2]، فقال عزّ وجلّ (يَا أَيُّهَا الذِّينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ اَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا)[3]، وقال أيضاً: (وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ الله وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُم إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا، اِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ)[4]، ومن إرشادات المغيلي في هذا الباب نذكر:

- على الأمير أن يُظهر قوّته بين الرّعيّة والأعداء باستظهار جُنده وماله من عُدّة حتّى يأمن شرّهم، ببث الرّعب والخوف في نُفوسهم، كما يجب عليه الزّهد في أمور الدّنيا، فقد قيل: "من زهد في الدّنيا صحّ يقينه، ومن أيقن بالجزاء قوي دينه"[5]، وهذا ما أوصى به المغيلي في قوله: "أظهر القُوّة والجلد، والزّهد في الصّاحبة والولد، والرّغبة في الأبطال و العدد"[6].

- لكي يتوقّى الأمير خطر أعدائه، والمُتربّصين به يجب عليه دائماً الأخذ بمبادرة الهُجوم والجهاد، لأنّ في مقام السُّلطان في داره بين رعيّته "رأس كلّ فتنة وضرر"،و"الملك بالسّيف لا بالتّسويف"، أي يجب أن يكون الأمير حازماً في آرائه، ذا عزمٍ في أفعاله، فلا يقول: سوف نخرج إليهم، سوف نفعل كذا..، فكما قيل:"الحزم أشدّ الآراء، والغفلة أضرّ الأعداء، ومن قعد عن حيلته أقامته الشّدائد، ومن نام عن عدوّه أنبهته المكائد"[7]، وقوله أيضا:"وهل يندفع الخوف إلاّ بالتّخويف"، أي أنّ كلّ من خوّفك لا سِلم معه إلاّ بتخويفك له، لا بالهروب منه، وطلب الصّلح معه[8].

1- المصدر نفسه، و: 2ظ.

2- الماوردي، تسهيل النظر وتعجيل الظّفر، ص: 127.

3- سورة النّساء، الآية: 71.

4- سورة البقرة، الآية: 195.

5- الأهوازي، المصدر السّابق، ص: 20.

6- المغيلي، رسالة الإمارة، و: 2ظ.

7- الأهوازي، المصدر السّابق، ص: 55.

8- آدم عبد الله الألوري، الإمام المغيلي وآثاره في الحكومة الإسلامية، ص: 52.

- من تدابير الحذر أن لا يُقرّب الأمير من طعامه وشرابه، وفراشه وثيابه، إلاّ اقرب النّاس إليه من أهل الأمانة والصّلاح، كما يجب عليه أن يكون دائماً متأهّباً للدفاع عن نفسه، بملازمته للسّلاح، ولبسه للأدرعة الواقية، وكذا الاحتراز دائما خلف حامية من الجُند المُقاتلين[1]؛ وهذا ما أوصى به السّلطان أبو حمّو ابنه في قوله له: "اعلم يا بُنيّ، أنّ الملك بلا جيش كالأرض لا نبات لها، وكالطّائر لا ريش له يُوشك أن يُؤخذ لحينه، يا بُنيّ إيّاك والمُخاطرة، فإنّها غير محمودة إلاّ في طلب الملك والسُّلطان..."[2].

- ومن تدابير احتراس الأمير ألاّ ينام إلاّ في الأماكن الآمنة، وألاّ يكون لمنامه في ليل ولا نهار موضع يُعرف به، "لأنّ أنفس المُلوك و الأمراء مطلوبة غرّتها في أحوال غفلتها"، ويُقال أنّ أكاسرة الفُرس لم يُعرف مبيت أحدهم قطّ ولا مقيله، وكانت الأعاجم تقول: "لا ينبغي للملك أن يطّلع على موضع منامه إلاّ الوالدين فقط"[3].

- يجب على الأمير تغيير زيّه المعهود في الأماكن غير الآمنة، حتّى يأمن على سلامة نفسه من أيّ خطر.

- على الأمير ألاّ يبوح بأسراره حتّى يتفادى الخيانة، وغيرها من عواقب الأمور، فكما قيل: "كتمان السّرّ يوجب السّلامة، وإفشاؤه يوجب النّدامة، وكلّما كثرت خزائن الأسرار ازدادت ضياعاً "[4].

- من باب حيطة الأمير وبلائه، أن يستبق أخبار أعدائه ببثّ العُيون، وإرسال السّفراء إليهم بالهدايا، فكما يقول الماوردي: "من حُقوق السّياسة أن يُراعي الأمير أخبار ما تاخمه من بلاد، وملوك يتّصل بهم خيرهم وشرّهم، ويعود عليه بنفعه وضرّهم، لأنّ الصّلاح والفساد يسريان فيما جاوراه..."[5].

- ومن تدابير الحيطة والحذر، أن يرفق الأمير برعيّته حتّى يضمن دوام الطّاعة والولاء، فقد جاء في الأثر: "من أعطى حظّه من الرّفق فقد أعطى حظّه من الخير كُلّه، وهو ما قصده المغيلي بقوله: "خُفّ من الحبل لِيَلاّ تلسعك الحيّة "[6].

هـ- في التّقرّب إلى العُلماء ومشورتهم، وفي الكرم والإحسان:

1. **في التّقرّب إلى العُلماء ومشورتهم:**

---

[1]- المغيلي، رسالة الإمارة، و: 2ظ.

[2]- عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزّيّاني حياته وآثاره، ص: 234.

[3]- الجاحظ، المصدر السّابق، ص ص: 201-202.

[4]- العاملي، المصدر السّابق، ص: 126.

[5]- الماوردي، تسهيل النظر وتعجيل الظّفر، ص: 251.

[6]- المغيلي، رسالة الإمارة، و: 2ظ.

من المسائل الهامّة التّي ارشد إليها المغيلي، ونصح بها الأسقيا محمّد الأوّل في جملة نصائحه له، ومن خلاله إلى جميع الأمراء والسّلاطين، مسألة ضرورة مراعاة العلم والعُلماء، والتّقرّب من أهله وأخياره في الاستفادة من نصحهم، وخبراتهم، وفي تقليدهم أمور الأمّة المُسلمة، حيث قال: "إنّ الله جعل العلماء للهداية، وإقامة الحُجّة في هذه الأمّة كالأنبياء في الأمم الماضية"[1]، لذلك توجّب على الأمير معرفة فضل العلم وأهله، لأنّهم للدّين أركان وللشّرع أعوان. والعلماء هم نواب الأمراء في حفظ الدّين، ولولاهم لما عُرف حقّ أمرٍ من باطله، ولا صحّة حُكم من فساده، فينبغي للأمير الحفاظ على مُلكه بمراعاتهم، والتّودّد إليهم؛ حيث"يجب عليه أن يصرف إليهم حظّاً من رعايته، ويعتمد أهل الكفاية منهم بالتّقريب والصّيانة، وأهل الخُلّة منهم بالبرّ والمعونة، ليكون العلم به أنشر، والتّوقّر عليه أكثر، والنّاس له أشكر، ففي ذلك بهاء الملك وإعزاز للدّين، وخُلود الذّكر، فقد قيل: إنّ من إجلال الشّريعة أن يُجلّ أهل الشّريعة"[2]. والغاية المُثلى من تقرّب الأمراء من العُلماء، تكون بالامتثال لمشورتهم، والأخذ بآرائهم، واستفتائهم فيما جهلوه من أحكام، "فالمشورة من قُوّة الرأي، وتمام العقل، وبعد النّظر(...)وكما أنّ العمل لا يُمكن أن يتمّ بدون رجل يفعله، فكذلك لا يصحّ الأمر دون مشورة فيه"[3]، وهو ما حثّ عليه المغيلي في نصيحته للأسقيا؛ حيث جاء في قوله له: "عليك أن تسأل أهل الذّكر عن كلّ مالا تعلم حُكمه من تصرّفاتك كلّها، لتحكم بما أنزل الله في كلّ ما حملك منها"، لقوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً يُوحَى إِلَيْهِمْ **فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ)**[4]، لأنّ بالعلم يُعرف الرّشد من الغيّ، وبالتّقوى يُؤمر بالرّشد، وينهى عن الغيّ[5]، وقد جاء في الأثر:"من حقّ العاقل أن يُضيف إلى رأيه رأي العُلماء، ويجمع إلى عقله عقول الحُكماء، ويُديم الاسترشاد، ويترك الاستبداد، فالرّأي الفرد ربّما زلّ، والعقل الفرد ربّما ضلّ..."[6]. كما يُضيف الماوردي في هذا الباب قائلاً: "لو كانت المُلوك المُلوك تعرف مقدار حاجتهم إلى ذوي الرّأي من النّاس مثل الذّي يعرف أهل الرّأي من حاجتهم إلى المُلوك لم أر عجباً أن ترى مواكب المُلوك على أبواب العُلماء، كما ترى مواكب العُلماء على أبواب المُلوك"[7].

---

[1]- المغيلي، أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، ص: 30.
[2]- الماوردي، تسهيل النظر وتعجيل الظّفر، ص: 274 وما بعدها.
[3]- الطوسي، المصدر السابق، ص ص: 125- 126.
[4]- سورة النحل، الآية: 43.
[5]- المغيلي، أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، ص: 26.
[6]- الأهوازي، المصدر السّابق، ص: 61.
[7]- الماوردي، تسهيل النّظر وتعجيل الظّفر، ص: 108.

2. في الكرم والإحسان:

من الأخلاق الفاضلة والكريمة التي نبّه إليها المغيلي، ودعا الأمراء إلى التّأدّب بها خصلة الكرم، فكما قال: "الكرم دوام المُلك، والبخل والتّبذير خرابه"[1]. ومن النّصوص الهامّة في الأدب السّلطاني، التّي تحدّثت عن ضرورة هذه الخصلة في الأمراء ما قاله الثّعالبي في نصائحه للمُلوك: "إنّ الجود من أخلاق المُلوك المحمودة، فالتّبذير من عاداتهم المذمومة، لأنّ المال للملوك فريضة، وللرّعيّة نافلة، وقوّة الملك بالجُند، وقُوّة الجند بالمال، ومن أعظم آفات الملك أن يُركب الهوى في الإطلاقات، والإنفاقات، وتوسعة الإقطاعات، وتحكيم السّكن في تفخيم الصّلات، والسّفر في إتلاف المال على البنيان، وبذل الرّغائب في أثمان القيان، فيتعذّر عليه أن يدّخر ذخيرة لنوابه، أو يستفضل شيئاً من ارتفاع مملكته، فلا تزول مؤونة تزيد..."[2]. ونجد كلام المغيلي يدور حول هذا المعنى، فكرم الأمير عنده هو ما بُذِل فيما يُحتاج إليه الخاصّة وهم نُواب الأمير في أعماله السّلطانيّة، وهذا البذل لا يكون إلاّ على حسب حاجتهم، وعلى حسب طاقة بيت مال المُسلمين، فمن تعدّى هذه الحُدود فقد خرج من الكرم إلى الظّلم، وهذا الظّلم إمّا بُخل أو تبذير في أرزاق بيت المال، وكلاً منهما خراب للمملكة[3].

أمّا الإحسان فهو أن يتفضّل الأمير بتقديم العطاء والهبة من حُرّ ماله لا من حُرّ مال المُسلمين إلى خاصّته من العُمّال وإلى سائر الرّعيّة[4]، فكما يقول الماوردي:"ليُحسن الأمير إلى رعيّته كإحسان من يُؤدّي حقّ الله فيهم، ويملك خالصة قلوبهم، فإنّه إن قدر على مَلَكة أجسامهم بسلطانه، فليس يقدر على ملكة قُلوبهم إلاّ بإحسانه"[5]. والإحسان وسيلة يتقرّب بها الأمير إلى رعيّته، ويكسب بها بها ولاءهم وطاعتهم وحُبّهم، ولا يكون بالمال فحسب، بل حتّى بلين الكلام والرّفق والعدل، "فالعدل والإحسان رجلان"[6]، و"أربعة أشياء إذا اجتمعت في السّلطان كثر صحبه ووجب حُبّه: العدل، والبذل، والتّحبّب، والرّفق والمروءة في الخلق السّجيح والكف عن القبيح"[7].

---

[1]- المغيلي، رسالة الإمارة، و: 5و.

[2]- الثّعالبي، المصدر السّابق، ص ص: 98-99.

[3]- المغيلي، رسالة الإمارة، و: 5ظ.

[4]- المصدر نفسه، و: 3و.

[5]- الماوردي، تسهيل النظر وتعجيل الظفر، ص: 283.

[6]- المغيلي، رسالة الإمارة، و: 3و.

[7]- المرادي، المصدر السّابق، ص: 153.

أ- حِفظ الدّيـن، وإقامة العُقوبات والحُدود:

1. حِفظ الدّيـن:

من أعظم الواجبات التّي كُلّف بها الإمام أو الأمير هي حفظ الدّين، وتكون بِمُحاربة المُفسدين عن طرق الدّنيا والدّين، ومن أعظم فساده ذلك الدّي يكون على يد عُلماء السُّوء، الدّين يأكلون أموال النّاس بالباطل ويصدُّون عن سبيل الله، فهم لُصوص الدّين وأضرّ على المُسلمين من جميع المُفسدين[1].

"المُلك والدّين أخوان" فما اضطرب الملك إلاّ اختلّ الدّين أيضاً، وظهر المارقون والمُفسدون في الأرض، وما اختلّ أمر الدّين إلاّ تزعزع الملك واشتدّ بأس المُفسدين، وضعُفت شوكة المُلوك، وفشت البدعة وتجبّر المرتدّون[2]، وبذلك يكون حفظ الدّين على رأس مُستلزمات السلطان على العامّة، ويكون بإظهاره للحُجّة وتبيين الصّواب للمبتدعين والمائلين عن طريق الحق، مع استلزام إقامة الحُدود"حتّى يكون الدّين محروساً من خلل، والأُمّة ممنوعة من زلل"[3]. وجاء في الأثر أن المَلك ثلاثة: "ملك دين، وملك حزم، وملك هوىً، فأمّا ملك الدّين فإنّه إذا قام للرّعيّة دينهم، وكان دينهم هو الدّي يُعطيهم الدّي لهم، ويُلحق بهم الدّي عليهم أرضاهم ذلك، وأمّا ملك الحزم فإنّه يقوم به الأمر ولا يسلم من الطّعن والسّخط، ولن يضرّ طعن الضّعيف مع حزم القويّ، وأمّا ملك الهوى فهو كلعِب ساعة ودمار دهر..."[4]. وحفظ الدّين حقّ من حقوق الله ورسوله، لا يجوز إهماله إجمالاً، كما لا يجوز أن يُترك مُفسِد على فساده مع إمكان ردعه بتأدية المقامع الشّرعيّة أو الحُدود بأقسامها، ومن أمثلة حفظ الإمام للدّين أن يمنع العامّة والخاصّة عن سوء الأدب بالأقوال والأفعال، ومنع جميع الرّعيّة عن أنواع الشّرك، والمُحرّمات ككشف العورة، وشرب الخمر، وأكل الحرام والظّلم..، وبمنع أهل الدّمّة[5] من إظهار أنواع المُحرّمات بين المُسلمين كالإفطار في رمضان، وغيرها من المُنكرات وأنواع ضلالهم[6].

---

[1]- المغيلي، أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، ص: 28.

[2]- الطّوسي، المصدر السابق، ص: 91.

[3]- الماوردي، الأحكام السّلطانية والولايات الدّينيّة، ص: 25.

[4]- ابن المُقفّع، الأدب الكبير، ص: 22.

[5]- **أهل الدّمّـة:** هم أهل الكتاب من اليهود والنّصارى الدّين يعيشون في بلاد الإسلام، وقد ألحق بهم عمر τ المجوس (الزرادشتيون)، وفي زمن المأمون الصّابئة(عبدة النجوم). **ينظر:** أنور الرفاعي، النظم الإسلامية، دمشق: دار الفكر، ط01، سنة 1973، ص: 210./ وسُمّوا بذلك لأنّ لهم عهد الله، وعهد رسوله، وعهد جماعة المسلمين على أن يعيشوا في حماية الإسلام، وعقد الدّمّة يُعطي لأهلها من غير المُسلمين ما يُشبه في عصرنا الحالي "الجنسية السّياسية" التّي تعطيها الدّولة لرعاياها. **ينظر:** يوسف القرضاوي، غير المسلمين في المُجتمع الإسلامي، بيروت: مؤسسة الرّسالة: ط06- سنة 1994م، ص: 07.

[6]- المغيلي(محمد بن عبد الكريم)، جملة مختصرة فيما يجوز للحُكّام من ردع النّاس عن الحرام، ضمن كتاب: آدم عبد الله الألوري، موجز تاريخ نيجيريا، بيروت: دار مكتبة الحياة، دع- سنة 1965م، ص: 143.

يجب على الأمير بذل كلّ ما بوسعه من أجل حفظ الدّين، حتى وإن أدّى به ذلك إلى الدّفع بِملكه، فكيف يرجو من تظاهر بإهمال الدّين استقامة مُلكه وصلاح حاله، فقد قال أرسطو أحد حُكماء الإغريق قديما للحاكم: "ادفع عن دينك بمُلكك، ولا تدفع بدينك عن مُلكك، وصيّر دُنياك وقاية لآخرتك، ولا تُصيّر آخرتك وقايةً لدينك"[1].

2. إقامة العُقوبات والحُدود:

إنّ الغاية من العقاب في الشّريعة الإسلامية أمران أساسيان، أوّلهما حماية الفضيلة وحماية المُجتمع من أن تتحكّم الرّذيلة فيه، وثانيهما المنفعة أو المصلحة العامّة، فما من حُكم في الإسلام إلاّ وكان فيه مصلحة للنّاس[2]. وقد وضع الشّارع الحكيم قواعد أساسيّة يجب مراعاتها في الرّوادع والعُقوبات، أجمل بعضها المغيلي في "جملته المُختصرة فيما يجوز للحُكّام في ردع النّاس عن الحرام" منها: أنّ المقصد الأوّل للشّارع الإسلامي في الرّوادع هو درء المفاسد وجلب المصالح بحسب الإمكان، فلا بدّ من ردع المفاسد الدّينيّة والدّنيويّة بالمقامع الشّرعيّة على حسب الطّاقة البشريّة[3]؛حيث تنقسم العُقوبات في الإسلام إلى قسمين: عُقوبات محدّدة بنصّ شرعي من الكتاب أو السنة كعُقوبة شرب الخمر، والزّنا والرّدّة عن الإسلام، وكالقِصاص والدّيات بكلّ أنواعها، والكفّارات..، وإلى عُقوبة غير محددة وهي التّي لم يرد نصّ من الشّارع ببيانها، وهي للرّدع ولشفاء غيظ المجني عليه في جرائم الاعتداء على الأشخاص أو على النّظام الاجتماعي كالتّحريض على الفسق[4]. وأنّ إقامة الحُدود حقّ من حُقوق الله تعالى ورسوله، لا لا يجوز تركها أو التّخفيف منها، أو إلغائها، أو تعويضها بِعُقوبة أخرى، حيث أنّ"الله سُبحانه وتعالى جعل إقامة الحُدود من حُقوقه لتُصان محارمه عن الانتهاك، وتُحفظ حُقوق عباده من الإتلاف"[5]، قال رسول الله ρ: «حَدٌّ يُعْمَلُ بِهِ فِي الأَرْضِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يُمْطَرُوا ثَلاَثِينَ صَبَاحاً»، فعلى الإمام أو من بيده الأمر أن يعدل في إقامة الحُدود، على جميع عباد الله، فالنّاس في حُكم الله ورسوله سواء، فلا يحلّ للإمام أن يُحابي في الحدّ أحداً ولا تزيله عنه شفاعة، ولا ينبغي له أن يخاف في ذلك لومة لائم، إلاّ أن يكون حدّ فيه شُبهة وجب درؤه، فالخطأ في العفو خير من الخطأ في العُقوبة[6]. ومن أكبر الفساد في أمور النّاس إنّما يقع وراء وراء تعطيل حُدود الله إمّا بالمال أو الجاه وغيره، وهو سبب في سقوط هيبة

---

[1]- الماوردي، تسهيل النظر وتعجيل الظفر، ص: 150.
[2]- محمّد أبو زهرة، الجريمة والعُقوبة في الفقه الإسلامي، القاهرة: دار الفكر العربي، دع س، ص: 27.
[3]- المغيلي، جملة مختصرة فيما يجوز للحكام من ردع النّاس عن الحرام، ص : 134.
[4]- محمد أبو زهرة، المرجع السّابق، ص: 58.
[5]- الماوردي، الأحكام السّلطانية والولايات الدّينيّة، ص: 25.
[6]- أبو يوسف(يعقوب بن إبراهيم)(ت:182هـ/798م)، كتاب الخراج، تحقيق: طه سعد- سعد محمد، القاهرة: المكتبة الأزهريّة للتراث، د ع- سنة 1999م، ص: 165.

الإمام وقدره في قُلوب النّاس[1]. وأمّا في مسألة المعاصي التّي لم تُحدّد عُقوبتها بمقدار ثابت من الشّرع كالغشّ في المُعاملات ونحوها، فهؤلاء يُؤدّبهم وليّ الأمر ويُعزّرهم بقدر ما يراه ومن غير تغييرٍ لحكم الله[2]، على حسب كثرة ذلك الذّنب في النّاس وقلّته، فإذا كان من المُدمنين على الفُجور زيد في عُقوبته بخلاف المُقلّ من ذلك، وعلى حسب كِبر المفسدة وصِغرها[3]. وهذا النّوع من العُقوبات هو ما اصطلح عليه الفقهاء بالتّعزير، وتقديرها يرجع لوليّ الأمر أو القاضي المُجتهد، وهو ما يُعرف في اليوم الحاضر بالجنايات[4]، ومن صُور هذا العقاب في بعض الأحيان سلب ما بيد المُفسد من مال وغيره، وجعله في مصالح المُسلمين، كما للإمام أن يُعاقب أهل الذّمّة ويردعهم إذا أساؤوا إلى المُسلمين بإظهار مظاهر الكُفر و الضّلال[5].

ب- في طاعة الأمراء والسّلاطين، وإعانتهم ونُصرتهم:

أهمّ واجبات الرّعيّة اتّجاه السلطان أو الأمير هي تقديم الطّاعة والولاء له، لما ورد في ذلك من آيات كريمة و أحاديث شريفة، قال الله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الذِّينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ**، فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُومِنُونَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَاوِيلاً)[6]، وقد نبّه المغيلي على أنّ "من أهان سلطان الله في أرضه أهانه الله، ومن ومن أكرم سلطان الله أكرمه الله"[7]، فإنّ "من إجلال الله إجلال السّلطان عدلا، كان كان أو فاجراً، ومرضاة السّلطان لا تغلو بثمن من الأثمان، ولا ببذل الرّوح والجثمان"[8]، وقيل: "سعادة الرّعيّة في طاعة الملوك، وسعادة المُلوك في طاعة المالك"[9].

من الحقّ الواجب لولي الأمر معونته على إقامة العدل والانقياد إلى ما يُؤمّن به البلاد، ويدفع به عن الحريم، كما يجب تعريفه بالأمور التّي تخفى عليه من

1- ابن تيمية (تقي الدين أحمد)(ت:728هـ/1327م)، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ط 01- سنة 2002م، ص: 49.

2- المغيلي، جملة مختصرة فيما يجب للحُكّام من ردع النّاس عن الحرام، ص: 135.

3- ابن تيمية، المصدر السّابق، ص: 79.

4- أبو زهرة، المرجع السّابق، ص: 69.

5- المغيلي، جملة مختصرة فيما يجوز للحُكّام من ردع النّاس عن الحرام، ص: 134.

6- سورة النّساء، الآية: 59.

7- وقال المغيلي أيضاً مُستشهدا بهذه الأبيات:

عَلَيْكَ بِطَاعَـةِ السُّلْطَانِ سِرّاً ... وَجَهْراً مَا بَقِيتَ مِنَ الزَّمَانِ
فَطَاعَـةُ مَنْ لَهُ أَمْرٌ وَنَهْـيٌ ... أَمَـانٌ فِي أَمَانٍ فِي أَمَـانِ

وقال أيضاً:

أَطِعْ إِلَهَ العَالَمِينَ وَالرّسُـولِ ... ثمّ أُولِي الأَمْرِ وَدَعْ رَأْيَ الجَهُولِ
طَاعَةُ ذِي الأَمْرِ أَمَـانٌ وَقُبُولٌ ... فِي الدِّيـنِ وَالدُّنْيَا وَعِزّ وَوُصُولُ

ينظر: المغيلي، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، و: 9و.

8- ابن رضوان، المصدر السّابق، ص ص:246-247.

9- الجاحظ، المصدر السّابق، ص: 89.

مصالح الرّعيّة، وطاعته فيما أمر به، ودعا إليه من غزو عدوّ، أو عمارة بلد، أو استصلاح فساد[1]، ويُشترط في هذه الطّاعة أن تكون فيما أحلّه الله، وفي غير ما نهى عنه،"فيجب اختيار الأمير في كلّ زمان، ثمّ يُطاع في غير معصية الله تعالى، ويُعان بالأنفس و الأموال في سبيل الله"[2]. كما أنّ "من خرج من الطّاعة، وفارق الجماعة، مات ميتة جاهليّة، ومن أطاع السّلطان فقد أطاع الرّحمن، ومن عصى السّلطان، فقد أطاع الشّيطان، وإذا مددت يدك بالمُبايعة فاعقد عقيدتك بالمُتابعة"[3].

ومن واجبات الأمير أن يُجيب مُبايعة النّاس إليه، ويقبل دُخولهم تحت طاعته، ويتعلّق هذا الحُكم خاصّة بأهل الأرض المُهملة، أو السّائبة التّي ليس لجماعتها أمير، لأنّ ذلك من الضّرورات الواجبة، فلا يحلّ لطائفة من المُسلمين أن يكونوا هُمْلاً[4]، قال رسول الله ρ: "مَنْ خَلَعَ يَداً مِنْ طَاعَةٍ لَقِيَ اللهَ يَوْمَ القِيَامَةِ لاَ حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مَيْتَةً جَاهِلِيَّةً". ومن أعظم واجبات الرّعيّة على وليّ أمرهم أو أميرهم إعانته بأموالهم وأنفسهم، في حالة ما إذا وقع بالناس مُصيبة تفتقر لمال ولا شيء مُدّخر في بيت مال المسلمين، ولا يُمكن دفع ضررها عنهم إلاّ من أموالهم وجبت الإعانة عليهم، وعلى حسب قُدرة كلّ واحد منهم إلى أن تنجلي تلك المُصيبة والضّرر، لكن من غير إفراطٍ عليهم، أو دوام ذلك عليهم، ومن أمثلة ذلك؛ سقوط حصن بإحدى الثّغور المُتاخمة للأعداء، أو في حالة غزوٍ خارجي قد يفقد السُّلطان من خلاله مُلكه، خاصّة إذا كان عادلاً في رعيّته، أمّا إن كان ظالماً فيهم فلا يستحقّ منهم الإعانة على قول الشّيخ المغيلي، "لعلّ الله يُريد بذلك انتقاماً من الظّالم بظالم مثله ثمّ ينتقم من كليهما"، حيث استدلّ بقوله هذا عمّا رُوي عن الإمام مالك بن أنس[5]، أنّه سُئل عن الوليّ إذا قام عليه قائم يطلب إزالة ما بيده، هل يجب على الرّعيّة أن تدفع عنه أم لا ؟ قال: ما مثل الخُلفاء العادلين كعمر بن عبد العزيز[6] فنعم، و أمّا غيرُهم فلا[7].

---

[1]- العاملي، المصدر السّابق، ص: 34.

[2]- المغيلي، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، و: 8ظ .

[3]- الثّعالبي، المصدر السّابق، ص ص: 42-43.

[4]- المغيلي، أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، ص ص: 49-50.

[5]- **مالك بن أنس(ت:179هـ):** من أصحاب المذاهب السنية الأربعة، وهو إمام دار الهجرة، عاش نحو تسعين سنة وكانت مدّة عطائه العلمي نحو سبعين سنة. **ينظر:** ابن القنفذ(أحمد القسنطيني)(ت:809هـ/1406م)، شرف الطالب في أسنى المطالب، (ضمن كتاب ألف سنة من الوفيات)، ص: 35.

[6]- **عمر بن عبد العزيز(63-101هـ):** هو عمر بن عبد العزيز بن مروان، الخليفة الأموي، يُنعت بخامس الخلفاء الرّاشدين لعدله و صلاحه، تولّى الخلافة بعهد من سليمان بن عبد الملك سنة 99هـ، ومكث فيها سنتين وخمسة أشهر، ويقال أنّه مات مسموماً. **ينظر:** السيوطي(جلال الدّين)(ت:911هـ/1505م)، تاريخ الخلفاء، تحقيق: جمال محمود، القاهرة: دار الفجر للتراث، ط02- سنة 2004م، ص: 182 وما بعدها.

[7]- المغيلي، رسالة الإمارة، و: 4ظ.

ج- العدل، والمـال:

1. إقامة العدل:

العدل هو حكم الله في أرضه، وهو أساس الملك، ونظراً لمكانته في الدّولة وفي حياة الناس، خصّه المغيلي بباب مستقلّ في"رسالة الإمارة"، وجعله من واجبات الأمير، وأساساً للأحكام السّلطانيّة، فبه تكثر العمارة، ويدوم الملك، عرّفه قائلا: "العدل أن يُوفّى كلّ ذي حقّ حقّه من نفسه وغيره"[1]. والعدل هو قوام الدّنيا والدّين، فكلّ الأمم وحكمائها تتّفق على شرف منزلته، رغم اختلاف مذاهبهم ومعتقداتهم، فقد قيل: "الملك بناء، والجند أساسه، فإذا قوي الأساس دام البناء، وإذا ضعف الأساس انهار البناء، فلا سلطان إلاّ بجند، ولا جند إلاّ بمال، ولا مال إلاّ بجباية، ولا جباية إلاّ بعمارة، ولا عمارة إلاّ بالعدل، فصار العدل أساس الجميع"[2].

في أصول العدل والإنصاف الّتي تحدد العلاقة بين الأمير والرّعيّة، نجد المغيلي متأثراً بما وضعه الغزالي[3]، ومن هذه الأصول أن يعرف الأمير قدر ولايته، ويعلم خطرها، وذلك لأنّ الولاية نعمة من الله عزّ وجلّ، من قام بحقّها نال السّعادة كلّها، ولاشكّ أنّه تأثر بالحديث القائل: «أحبّ النّاس إلى الله تعالى، وأقربهم إليه السّلطان العادل، وابغضهم إليه وأبعدهم منه السّلطان الجائر»[4]،"فما أعظم فضلها وما أثقل حملها، إن عدل الأمير ذبحته التّقوى بقطع أوداج الهوى، وإن جار ذبحه الهوى بقطع أوداج التّقوى..."[5].

ومن أصول العدل أن يكون الأمير دائم الاشتياق إلى رؤية العُلماء النّاصحين بالعدل المُصلحين، "فكما أظهر الله تعالى صدق أنبيائه بخوارق العادات، فإنّه ميّز أهل الذّكر من العلماء بالأعمال الصّالحات"[6]. ولا يقتصر عدل الأمراء برفع الظّلم عن يدهم، بل يجب عليهم أن يُهذّبوا عُمّالهم، ونوابهم فلا يرض لهم بظلم الرّعيّة، فهو مسؤول عن ظلمهم بقدر مسؤوليّته عن ظلمه[7]، وهذا لا يتمّ في رأي المغيلي إلاّ بملاقاة الأمير لرعيّته"فلا بدّ للأمير الأعظم أن يجلس في كلّ يوم للنّاس من حيث يصله النّساء والأطفال، ولا يكفيه ما نصّبه من القضاة، وغيرهم من العُمّال لأنّ شكوى الرّعيّة قد تكون منهم، وواجب عليه أن يزجرهم وإلاّ فهو كسلّم الدّار لأربابها..."[8]، وإنّ قضاء حوائج المسلمين لأفضل من نوافل

---

[1]- المصدر نفسه، و: 3و.

[2]- ابن رضوان، المصدر السّابق، ص: 272.

[3]- الغزالي، التّبر المسبوك في نصيحة الملوك، ص: 14 وما بعدها./ محمّد جلال شرف، نشأة الفكر السّياسي وتطوّره في الإسلام، بيروت: دار النّهضة العربية، دع- سنة 1982م، ص: 288 وما بعدها.

[4]- الغزالي، التّبر المسبوك في نصيحة الملوك، ص ص: 14- 15.

[5]- المغيلي، رسالة الإمارة، و: 1و.

[6]- المغيلي، أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، ص: 30.

[7]- محمد جلال شرف، المرجع السّابق، ص: 289.

[8]- المغيلي، رسالة الإمارة، و: 4و.

العبادات[1]، ومن العدل أن يستمع السّلطان إلى رعيّته دون وساطة، كما يجب أن تُعرض عليه بعض المظالم ذات الشّأن الكبير يضرب في كلّ مرّة منها مثلاً وعبرة، حتّى إذا فشا في المملكة كبر ذلك في الظّلمة وخافوا، ولم يستطع أحد أن يقترف الظّلم خشية عقابه[2]. ومن أصول العدل أن ينظر للسّلطان إلى رعيّته على أنّه واحد منهم، يشعر بمشاعرهم، ويفرح لفرحهم، فكل مالا يرضاه لنفسه لا يرضى به لأحد من المسلمين، وإن فعل نقيض ذلك فقد خان رعيّته، وغشّ أهل ولايته، قال رسول الله ρ:«من أصبح في قلبه همّة سوى الله، فليس من الله في شيء، ومن لم يُشفق على المسلمين فليس منهم»[3]، والله سبحانه ولّى على المسلمين الأنبياء ثمّ من بعدهم خلفاءهم لسياستهم، والعدل فيهم، لا لقهرهم واستعبادهم بالجور،

ومن"يُصلِح لهم دينهم ودنياهم، لا من يحلبهم ولا يرعاهم"[4].

يُعطي المغيلي للأمير المسلم قمّة المثالية في صور العدل التي نادى بها الإسلام في مبادئه، والتّي تكون في أبسط المسائل، حيث يقول: "من العدل أن يُسوّي الأمير بين الخصمين في دخولهما، وجلوسهما، والنّظر إليهما، والكلام معهما(...)من غير قبض ينفر، ولا بسط يجسر، فلا يردّ على من سلّم عليه غير السّلام، ولا يبسط إليه ببشاشة، ولا كلام حتّى يتبيّن له أنّه ليس من أهل خصام، وأن لا ذريعة فيه لحرام". ومن آداب الحكم بين النّاس، والنّظر في الخصومات أن يتثبت الأمير من أقوال الخصمين، وأن يُعطي لكليهما نوبته من الكلام، وألاّ يقبل من الشّهود إلاّ عدْلاً، وأمثلهم في الصّدق، ويرجع ذلك إلى فراسة الأمير واستبصاره،"فعلى الشّهادة مداراة الأمور"، ولا يكون حكمه إلاّ بعد المشاورة، وتقصّي الحكم قبل إصداره، خاصّة فيما تعلّق بالحدود، فدعوى المظلوم، ويمينه وحدها لا تكفي، فإنها تحتاج دائماً إلى بيّنة وإقرار[5].

من عدل الأمير أن يكون مقسِطاً في عطاياه، وفي صرفه لأموال المسلمين، ومن الظّلم أن يجبي غير ما أحلّه الله وشرعَه، كأخذه الرّشوة من أجل تخفيف الأحكام، أو إبطال الحدود، وسائر العقوبات على المفسدين. ويجب على الأمير ونوابه على سائر الولايات ألاّ يقبلوا الهدايا من الرّعيّة فإنّها باب كلّ بليّة،"فإذا دخلت الهديّة على ذي سلطان خرج عنه العدل والإحسان"[6]، وإن قبلها وتعذّر عليه ردّها كان بيت المال أحقّ بها[7].

[1]- الغزالي، التّبر المسبوك في نصيحة الملوك، ص: 28.
[2]- الطوسي، المصدر السابق، ص: 39.
[3]- الغزالي، التّبر المسبوك في نصيحة الملوك، ص :27.

[4]- المغيلي، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، و: 9و.
[5]- المغيلي، رسالة الإمارة، و: 3و- 3ظ.
[6]- المصدر نفسه، و: 4ظ.
[7]- الماوردي، الأحكام السّلطانية والولايات الدينية، ص: 93.

2. المــال (جبايته ومصارفه):

يتّفق معظم علماء الأدب السّلطاني على أنّ المال ركن أساسي من أركان الدّولة السّلطانيّة؛ فبالمال تستمدّ الدّولة قوّتها وتستقرّ السّلطة فيها، ممّا يستوجب رضا الرّعيّة، وإخلاص الحاشية والعمّال، وولاء الجند، والانتصار في الحرب ومواجهة الأزمات[1].

عالج المغيلي موضوع المال في بابين كاملين في رسالته في شؤون الإمارة، والتّي وجّه النّصح فيها إلى سلطان كانو، ومن خلاله إلى بقيّة الأمراء والسّلاطين في بلاد السّودان الغربي والتّكرور، "فالمال هو قوّة السّلطان، وعمارة المملكة، لقاحه الأمن، ونتاجه العدل، وهو حصن السّلطان ومادّة ملكه"[2]. ومن الأقوال المأثورة عن السّلطان أبي حمّو موسى الثّاني في باب المال قوله: "بالمال تستعبد الرّجال، وتبلغ الآمال، وتذلّ به الرّقاب، وتستفتح به الأبواب، وتستهلّ الأمور والصّعاب، وتنال به الرّغائب، ويُنجى به من كلّ المصائب "[3].

يقسّم المغيلي الأموال إلى قسمين رئيسيين: قسم أباحه الله، ومنه يجب على كلّ أمير أن يجتبي أموال دولته، ويجمعها ثمّ يصرفها، ومصادرها من زكاة العين، والحرث، والماشية، وزكاة المعدن، وزكاة الفطر، وخمس الرّكاز[4] والغنيمة[5]، وأموال الجزية، والصّلح، وما يُؤخذ من تجّار أهل الذّمة، وتركة لا وارث لها، وما أفاء الله من أموال أهل الحرب بلا حرب[6]. وأمّا القسم الثّاني فهو ما حرّمه الله من الأموال على الأمراء وغيرهم، كأخذ المال على ولاية القضاء، "فهو حرام بإجماع المسلمين، وذريعة لإفساد الدّين، وفتح أبواب الرشاوى وقهر المساكين"[7]، المساكين"[7]، يقول ابن تيمية: " لا يجوز أن يؤخذ من الزّاني، أو السّارق، أو الشّارب، أو قاطع الطّريق، ونحوهم مال تُعطّل به الحدود لا لبيت المال ولا لغيره، وهذا المال المأخوذ لتعطيل الحدّ لسحت خبيث، وإذا فعل ولي الأمر ذلك فقد جمع فسادين عظيمين، أحدهما تعطيل الحدّ والثّاني أكل السّحت"[8]. ومن الأموال الحرام الرّشوة، وهي حرام بإجماع، فلا يجوز للسّلطان ولا لغيره من

---

[1]- عز الدين علام، المرجع السّابق، ص ص: 146- 147.

[2]- ابن رضوان، المصدر السّابق، ص: 573.

[3]- وداد القاضي، المقال السّابق، ص: 64.

[4]- **الرّكـاز:** هو الذّهب و الفضّة الذّي خلقة الله عزّ و جلّ في الأرض يوم خُلقت. فمن أصاب كنزاً عاديا في غير ملك أحدٍ فيه ذهب أو فضّة أو جوهر فإنّ في ذلك الخمس، وأربعة أخماس للذّي وجده. **ينظر:** أبو يوسف، المصدر السّابق، ص: 32.

[5]- **الغنيمـة:** هي الأموال التّي تؤخذ بعد الانتصار على العدوّ، لقوله تعالى: (واعلموا أنّما غنمتم من شيء فأنّ فلله خمسُه وللرّسول ولِذي القربى واليتامى والمساكين وابن السّبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان) (سورة الأنفال، الآية: 41). **ينظر:** أبو يوسف، المصدر السّابق، ص: 28.

[6]- المغيلي، رسالة الإمارة، و: 4و.

[7]- المصدر نفسه، و: 4ظ.

[8]- ابن تيمية، المصدر السّابق، ص: 48.

القضاة والعمّال أن يأخذوا من أحد الخصمين ولا من كليهما[1]،"فإذا دخلت الرّشوة من باب خرجت الأمانة من الكوة "[2]. ومن الأموال التّي ذكر المغيلي تحريمها كذلك أخذ أموال المكس، وهي جباية ليس لها أصل في الشّرع، وهو أخذ الصّدقة على غير حقّها[3]. ومن الأموال المحرّمة كذلك، أخذ العُشُر أو غيره من أرباب الحقوق، أو التّركات، وهو حرام بإجماع المسلمين.

أمّا في مسألة جمع الأموال الحلال كزكاة العين، فإنّها موكولة لأمانة أصحابها، فليس للأمير أن يفتّش في ديار النّاس، ولا أن يُحلِّفهم. وينبّه المغيلي الأمير إلى وُجوب تصديقه لأصحابها "كمسافرٍ زعم أنّ قبل قُدومه أخِذت منه، أو أنّ عليه ديناً يُسقِط عنه الزّكاة "[4]، معتمداً في ذلك على قول النّبيّ ρ: «إنّ حَقّاً عَلَى النّاسِ إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِمْ المُصَدِّق أَنْ يُرَحِّبُوا بِهِ، وَيُخْبِرُوهُ بِأَمْوَالِهِم كُلّها، وَلاَ يُخْفُوا عَنْهُ شَيْئاً، فَإِنَّ عَدلَ فَسَبِيلُ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ غَير ذَلك، وَاعْتَدَى لَمْ يَضُرُّ إِلاَّ نَفْسَه، وَسَيخلفُ اللهُ لَهُمْ»[5]. كما ينبغي للمتصدّقين من الرّعيّة عدم التّحايل في إسقاط الزّكاة عنهم، أو في جزءٍ منها،"فلا يحِلّ لرجُلٍ يؤمن بالله واليوم الآخر منع الصّدقة، ولا إخراجها من ملكه إلى ملك جماعةٍ غيره ليفرّقها بذلك، فتبطِل الصّدقة عنها بأن لا يصير لكلّ واحدٍ منهم من الإبل والبقر والغنم ما لا يجب فيه الصّدقة ولا يحتاج في إبطال الصّدقة بوجهٍ ولا سبب"[6]. كما يجب على من بيدِه شيء من زكاة العين أن يدفعه للأمير-إذا كان عادِلاً في جمع وفي صرف الأموال- فهو أدرى بتصريفها، وأحقّ بذلك من غيره[7].

إنّ القاعدة الأولى والأساسيّة التّي يضعها المغيلي في تصريف الأمير أو وليّ الأمر لأموال الله، هي أن تكون وجوه هذه المصارف فيما شرعه الله[8]، استناداً لقوله تعالى: (وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنّفْسِ وَالعَيْنَ بِالعَيْنِ وَالاَنْفَ بِالاَنْفِ وَالاُذْنَ بِالاُذْنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالجُرُوحَ قِصَاصٌ، فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ، **وَمَنْ لَمْ يَحْكُم بِمَا أَنْزَلَ الله فأولئِكَ هُمْ الظّالمون)**[9]. وتنقسم مصارف الأموال إلى قسمين أساسيين:

<u>القسم الأوّل:</u> وهو القسم الخاص بتصريف الأصناف المعيّنة بالشّرع؛ من زكاة عين، وحرث،

---

[1]- المغيلي، رسالة الإمارة، و: 4ظ.
[2]- ابن تيمية، المصدر السّابق، ص: 50.

[3]- أبو عبيد (القاسم بن سلام)(ت:224هـ/838م)، كتاب الأموال، بيروت: دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، ط01- سنة1988، ص: 493.
[4]- المغيلي، رسالة الإمارة، و: 4و - 4ظ.
[5]- أبو عبيد، المصدر السابق، ص: 392.
[6]- أبو يوسف، المصدر السّابق، ص: 93.
[7]- المغيلي، رسالة الإمارة، و: 4و.
[8]- المصدر نفسه، و: 5و.
[9]- سورة المائدة، الآية: 45.

وماشية، وزكاة معدن -غير زكاة الفطر- إلى من تجب فيهم الزّكاة[1]؛ وقد حدّدهم الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللهِ، وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[2]. والمؤلّفة قلوبهم هم الذّين يُرجى إسلامهم بتليين نفوسهم بالأموال، وهذا الصّنف قد ذهب، أمّا العاملين عليها فيعطيهم الإمام ما يكفيهم وللأمير تقدير ذلك من غير إسراف ولا تقتير، وقسمة بقيّة الصّدقات بينهم، فللفقراء والمساكين سهم، وللغارمين وهم الذّين لا يقدرون على قضاء ديونهم سهم كذلك، وفي أبناء السّبيل المُنقطع بهم يعانون بسهم، وفي الرّقاب أي في عتق العبيد والأيامى سهم، وللفقراء والمساكين من صدقة ما حول كلّ مدينة في أهلها[3].
أهلها[3]. ويجب صرف هذه الأموال في أصحابها على الفور، إن توفّرت فيهم شروط الاستحقاق، وإلاّ نُقلت إلى أقرب مكان فيه مستحقّ، حتّى وإن وُجدت في البلد الأوّل بعض أصناف المستحقّين دون غيرهم، يُنقل الباقي إلى جهة البلد الآخر. ويُصرف على نقلها من الأموال الآتية من الفيء لا من أموال هذه الصّدقات، وتكون قسمة هذه الأموال وصرفها في الأهمّ فالأهمّ، والأحوج فالأحوج، كما يُفضّل بعضهم على بعض بقدر الحاجة، ولا تكون زكاة الفطر إلاّ في صنفي الفقراء والمساكين[4].

<u>**القسم الثّاني:**</u> ويكون في مصارف أموال الفيء، والتّي مصدرها خمس الرّكاز والمعادن، وخُمس الغنيمة، وما يُؤخذ من أهل الذّمّة وأهل الصّلح، وما يؤخذ من تجّارها، وخراج الأرض، وتركة لا وارث لها، وما أفاء الله به من أموال أهل الحرب بلا حرب.

أمّا صرف هذه الأموال فبحسب اجتهاد الأمير، يصرفه"بالتّقوى لا بالهوى على الأهمّ فالأهمّ"، وهو من "الواجب أن يبتدئ في القسمة بالأهمّ فالأهمّ من مصالح المسلمين العامّة، كعطاء من يحصّل للمسلمين به منفعة عامّة "[5]. فيُذكر عن عمر بن الخطّاب τ أنّه نصح لولاّته وعماله على مال المُسلمين: " أيّها النّاس إنّه لم يبلغ ذو حقّ في حقّه أن يُطاع في معصية الله، وإنّي لا أجِد هذا المال لا يُصلحه إلاّ ثلاث، أن يُؤخذ بالحقّ، ويُعطى في الحقّ، ويمنع من الباطل..."[6].

رتّب المغيلي المستحقّين للعطاء السّلطاني من مال الفيء إلى:

- يُفضّل آل النّبيّ ρ في "قسمة الأموال وجميع الأحوال" مُستدِلاّ بما كان يفعلُه الخلفاء الرّاشدون

1- المغيلي، رسالة الإمارة، و: 5و.
2- سورة التّوبة، الآية: 60.
3- أبو يوسف، المصدر السّابق، ص 94.
4- المغيلي، رسالة الإمارة، و: 5و.
5- ابن تيمية، المصدر السّابق، ص: 37.
6- أبو يوسف، المصدر السّابق، ص: 128.

ومن بعدهم عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه؛ حيث كان يخُصّ أولاد السّيّدة فاطمة الزّهراء رضي الله عنها بنت النّبيّ ρ كلّ عام باثني عشرة ألف دينار[1].

- الجُند والمُقاتلين في سبيل الله "وهم أهل النّصرة و الجهاد، وأحقّ النّاس بالفيء، لأنّه لا يحصل إلاّ بهم، حتّى اختلف الفقهاء في مال الفيء هل هو مختصّ بهم، أو مشترك في جميع المصالح..."[2].

- ذوو الولايات وحماة الدّين، كالوزراء والولاّة والقضاة والعلماء.

- السُّعاة على الأموال جمعاً وحفظاً وقسمة، وأئمّة الصّلاة، والمؤذّنين ثمّ الفقراء؛ على قاعدة الأحوج فالأحوج، حتّى يعُمّ العطاء جميع الرّعيّة من ذكرٍ وأنثى بحسب الاحتياج، وأنواعه، ولا يُستثنى غنيّ ولا غريب. وأهل كلّ بلدٍ أحقّ بماله من غيره إلاّ إذا اقتضت الضّرورة والحاجة، فيُنقل منها إلى غيرهم بعد إعطاء أهلها ما يُغنيهم، وللأمير النّظر في هذه المسائل.

ومن حُسن تدبير وسياسة الأمراء في صرف أموال الفيء أن يبادروا بسدّ ما لا غنى عن سدّه كبناء الحصون، وتجهيز الجُيوش بالسّلاح وغيره..، والأمير الحكيم في رأي الشّيخ المغيلي هو الذّي يدّخر من مال الفيء للنّوائب "بنيّة صادقة، ونظرٍ ثاقب" يُبقيه في بيت المال[3]، "فمن سلامة الملك واستقامة التّقدير أن يكون فاضل الدّخل، مُعِدّاً لوجوه النّوائب، ومستحدثات العوارض، فتأمن الرّعيّة عواقب حاجته، ويثِق الجُند بظهور مَكنته، ويكون الملك قادرا على دفع ما درأ من خطبٍ، أو حدثٍ من خرق، فإنّ للملك فنوناً لا تُرتقب وللزّمان حوادث لا تحتسب"[4]. ومن سوء تدبير الأمير في أموال المسلمين أن يكون بخيلا في تصريفها، أو مُبذّراً مُسرفاً، فلا يكتمل الانتفاع بها ولا يصل الحقُّ إلى مستحِقه، ونجد المغيلي في ذلك ينصح الأمير إلى استنابة العُمّال ذوي الأمانة والكفاءة والصّلاح في عطايا مملكته. "فالبُخل في الجملة اسم لا يليق بالملوك، ولا يقترن بالمملكة، ومتى كان في جبلة ملكٍ من الملوك، فواجب أن يسلّم عطايا مملكته إلى ثقةٍ يرتضيه من خاصّته"[5]. وهذا القول سبق وأن ذكره الفيلسوف الإغريقي "أرسطو" ممّا يجعلنا نتصوّر أنّ المغيلي كان على اطّلاع على الفلسفة اليونانية.

---

[1]- المغيلي، رسالة الإمارة، و: 5ظ.

[2]- ابن تيمية، المصدر السّابق، ص: 37.

[3]- المغيلي، رسالة الإمارة، و: 5ظ.

[4]- الماوردي، تسهيل النّظر وتعجيل الظّفر، ص: 179.

[5]- المغيلي، رسالة الإمارة، و: 5و./ ابن رضوان، المصدر السّابق، ص: 574.

د- في اختيار العمّال، وترتيب المملكة، والكشف عن أمورها:

1. في اختيار العُمّال:

إذا كانت الإمارة أصل المصالح كلّها؛ إذ لا يصلح شيء من أمور الدّين والدّنيا إلاّ بها[1]، فإنّ عمارتها وصلاح رعيّتها لا تستقيم للأمير إلاّ بتولية من يُساعده في سياستها، ورعايتها، وترتيب نظامها[2]، "حيث أنّ الله سبحانه وتعالى يُظهر قوّته في كلّ حينٍ وزمان، ووقت وأوان، ويصطفي جماعة يختارهم من عباده مثل السّلاطين، والوزراء، وأكابر العُلماء ليُعمّر بهم الدّنيا"[3]. ومن الشّروط التّي وضعها المغيلي في نواب الأمير وعمّاله: أن يكونوا من أهل الصّلاح والخير، ويكون اختيارهم على أساس الأمثل فالأمثل، والأصلح فالأصلح، ونجده يُكرّر هذه الشّروط في رسالة الإمارة، وفي مصباح الأرواح؛ حيث يحثّ الأمير على أن يُولّي على الرّعيّة من"يصلح لهم دينهم ودنياهم لا من يحلبهم ولا يرعاهم، فلا الولد يرضع، ولا الأسد يردع، فعامِل الأمير هو عملُه، إن أحسن فالثواب لهما، وإن أساء فالعقاب عليهما"[4].

إنّ اختيار العُمّال من الأولويّات الواجبة على الأمير، باعتباره وليّ أمر المسلمين جميعاً، فعليه أن يبحث عن المستحقّين للولايات من وزراء، وولاّة على الأمصار، وقضاة، وأمراء أجناد، ومقدّمي عساكر، وكتّاب، وسعاة على الخراج والأموال[5]، وغير ذلك..، وإذا حسُن اختيار الأمير لأحدٍ من عمّاله"فإنّه قد اختار ألفاً، لأنّه من كان من العمّال خِياراً فسيختار كما اختير، ولعلّ عُمّال العامل، وعمّال عمّاله يبلغون عددا كثيرا، فمن تبيّن التّخيّر فقد أخذ بسبب وثيق، ومن أسّس أمره على غير ذلك لم يجد لبنائه قِواما"[6].

لقد استدلّ المغيلي في ضرورة حسن اختيار الأمير لعمّاله ونوابه على سائر الولايات والمراتب السلطانية بحديث رسول الله ρ الذي يقول فيه: «مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ، وَلاَ اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ، إلاَّ كَانَتْ لَهُ بِطَانَتَانِ، بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالمَعْرُوفِ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، فَالمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللهُ تَعَالَى»[7]،"فإذا علم الأمير ذلك وجب عليه أن يُبعد عنه أهل الشّر، وأن يقرّب منه

---

[1]- المغيلي، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، و: 2و.

[2]- المغيلي، رسالة الإمارة، و: 2و.

[3]- الغزالي، التبر المسبوك في نصيحة الملوك، ص: 87.

[4]- نجد المغيلي في هذا المعنى يستشهد بهذه الأبيات:

إِذَا كُنْتَ فِي أَمْرٍ فَقُمْ فِيهِ نَاصِحاً ... وَإِنْ تَسْتَنِبْ فَاخْتَرْ خِيَاراً لِأَهْلِهِ

وَمَنْ يَأْتِ بِالكَلْبِ العَقُورِ لِبَابِـهِ ... فَعقرُ جَمِيعِ النّاسِ مِنْ سُوءِ فِعْلِهِ

ينظر: المغيلي، رسالة الإمارة، و: 3و./ مصباح الأرواح في أصول الفلاح، و: 9و.

[5]- ابن تيميّة، المصدر السّابق، ص: 07./ محمد عزيز نظمي، المرجع السابق، ص: 186.

[6]- ابن المقفّع(عبد الله)، الأدب الصّغير، تحقيق: أحمد زكي باشا، بيروت: دار ابن حزم، ط01- 2003م، ص: 97.

[7]- رواه البخاري في صحيحه، باب بطانة الإمام وأهل مشورته، رقم الحديث: 7198، ص: 1374.

منه أهل الخير، لانّ من الغالب على الإنسان التآنس بقرينه، وقد قال بعض الحكماء:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكلّ قرين بالمقــارن يقتدي"[1].

كما يجب على الأمير ألاّ يكتفي في اختياره لنوابه وعمّاله بالاقتصار على النّظر إلى صلاحهم وتقواهم، بل يجب عليه أن يبني قاعدة أمره في اختياره لهم باختبارهم، قال الماوردي: "على الأمير أن يختبر أهل مملكته ويسبر جميع حاشيته بتصفّح عقولهم وآرائهم، ومعرفة هممهم، وأخلاقهم، حتى يعرف به باطن سرائرهم، وما يُلائم كامن شيمهم، فإنّه سيجد طباعهم مختلفة وهممهم متباينة، ومننهم متفاضلة"[2]، أو كما قال الثعالبي في "نصائح الملوك": "إذا تصفح الملك وجوه عماله، وتفحّص عن الأصلح لإعماله فلا يقَعنّ اختياره إلاّ على من سبق له اختباره، ولا يتوجّهن اعتماده إلاّ إلى من تقدّم له إحماده، ولا يكوننّ من ثقاته إلا من يتـّق الله حق تقاته"[3]، وهذا ما أشار إليه الشيخ المغيلي؛ لكن على جهة الحذر والتبصر والتفرس. ومن الأساليب التي وجّه إليها المغيلي الأمير كي يختبر بها عُمّاله، أن يبعث بالهدايا إليهم بواسطةٍ، حيث تكون فخّاً للإيقاع بمن في نفسه فساد أو جشع أو ظلم، وتكون غايته الأولى في ذلك الإصلاح، حيث يقول له: "احذر من أعوانك بالكلّية فكم حوّلت الهديّة من ناسك لليهوديّة، والنصرانية"[4]، فكلّ سلطان لا يستطيع أن يُصلح خاصّته، أن يعلم أنّه لا يستطيع في الرّعيّة إلاّ الظّلم، ولا يقدر في جمع المال إلاّ على الباطل[5].

وجاء في إحدى الوصايا المأثورة عن السّلطان أبي حمّو موسى الثّاني لابنه، يُوجّهه فيها إلى كيفية اختبار عمّاله عن طريق التّفرّس بقوله: "اعلم يا بنيّ أنّه ينبغي لك أن تتفرّس في وزيرك الذّي اتّخذته لرأيك وتدبيرك، وشاركته في قليلك وكثيرك؛ بالنّظر لأقواله وأفعاله، وكافّة أحواله(...)، وأمّا جُلساؤك فينبغي لك أن تختبرهم، وتنظر في طباعهم لتعتبرهم، من هو المحبّ إلى جانبك، اللاّئذ ببابك المسرع لقضاء آرائك، والمحافظ على أخبارك، ومن اختبارهم أنّه إذا ورد عليك سرور على غفلة، وأتاك بشير وارد بعجلة أن تنظر إلى وُجوههم في الحين فتتبيّن منهم أحوال المُحبّين من غيرهم..."[6].

1- المغيلي، أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، ص ص: 24-25.
2- الماوردي، تسهيل النّظر وتعجيل الظّفر، ص: 194.
3- الثّعالبي، المصدر السّابق، ص: 136.
4- المغيلي، رسالة الإمارة، و: 3و.
5- الطّوسي، المصدر السابق، ص: 91.

6- عبد الحميد حاجيات، أبو حمّو موسى الزياني حياته وآثاره، ص: 278 وما بعدها.

2. **في ترتيب المملكة:**

من واجبات الأمير أن يرتّب نظام مملكته على ما يتمكّن به صلاح رعيّته، لأنّه المسؤول عنهم[1]، فكما قال النّبي ρ: «ألا كُلُّكُم رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعيّتِه، فَالإِمَامُ الذِي عَلَى النّاسِ راعٍ وَهُوَ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ...»[2].

- **الوزارة:**

هي أولى هذه المراتب، "وهي أمّ الخطط السّلطانية والرّتب المُلوكيّة لأنّ اسمها يدلّ على مُطلق الإعانة، فإنّ الوزارة مأخوذة إمّا من المؤازرة، وهي المُعاونة، أو من الوزر وهو الثّقل"[3]، وهي قسمين: وزارة تفويض، ووزارة تنفيذ، فأمّا وزارة التّفويض، فهي أن يستوزر الأمير من يُفوّض إليه تدبّر الأمور برأيه، وإمضائها على اجتهاده، قال الله تعالى: (وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي، هَارُونَ أَخِي، اِشْدُدْ بِهِ أَزْرِي، وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي)[4]. وأمّا وزارة التّنفيذ فحكمها أضعف و و شروطها اقلّ، لأنّ النّظر فيها مقصور على رأي الإمام وتدبّره[5]. والوزير أجدر أجدر أن يكون أوّل نواب الأمير، لأنّه عونه في سياسة الدّولة، وفي حمل أعباء ومسؤوليات الإمارة في أيّام السّلم والحرب، وهو النّاصح وكاتم الأسرار، ولسان الأمير ويده التّي تباشر الأعمال، فيجب على كلّ أمير أن يكون له وزراء"لا يخشون إلاّ الله" في عملهم، ومسؤولياتهم تجاه الأمير والرّعيّة، ووزراء يكونون له سنداً في أيّام السّلم وحتى الحرب "يجمعون الرّجال، ويُخففون الأثقال، ويحملون على الحذر، وحمل السّلاح، ويرتّبون الجيش للكفاح..."[6]، «فإذَا أرادَ اللّهُ بالأَمِيرِ خَيراً، جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ صِدْقٍ؛ إنْ نَسِيَ ذَكَّرهُ، وإنْ ذَكَرَ أعانَهُ، وإذَا أرَادَ اللهُ بِهِ غَيرَ ذَلِكَ، جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ سُوءٍ، إنْ نَسِيَ لَمْ يُذَكِّرْهُ، وإنْ ذَكَرَ لَم يُعِنْهُ»، وقد قيل: "أشرف منازل الآدميّين النّبوءة، ثمّ الخلافة، ثمّ الوزارة"[7].

- **الولاية على الأمصار:**

لمّا كانت أرض الإمارة واسعة، كان لابدّ من أن يُعين الأمير من ينوب عنه في إمارة البلاد البعيدة، يجمعون له النّاس حين يحتاج إليهم ويقيم بهم الصّلاة، ويخلفون الأمير في إقامة الحدود، والعقوبات على العُصاة، ويجمعون له الخراج و الصدقات[8].

- **الولاية على القضاء:**

1- المغيلي، رسالة الإمارة، و: 2و.

2- رواه البخاري، باب قول الله تعالى: (أطيعوا الله وأطيعوا الرّسول وأولي الأمر منكم)(سورة النساء، الآية 59)، رقم الحديث: 7137، ص: 1362.

3- ابن خلدون، المقدّمة، ص: 261.

4- سورة طـه، الآية: 29..32.

5- الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدّينية، ص: 33 وما بعدها.

6- المغيلي، رسالة الإمارة، و: 2و.

7- ابن رضوان، المصدر السابق، ص: 398.

8- آدم عبد الله الألوري، الإمام المغيلي وآثاره في الحكومة الإسلامية، ص: 50.

القاضي هو من نواب الأمير على منزلة الحكم بين النّاس، في الأموال والدّماء، وغيرها من الخصومات، وهي من الخطط السّلطانية العظيمة والشّريفة التّي لا يستطيع الأمير مباشرتها بنفسه، مع ما يباشره من أمور المملكة[1].

لقد شنّ المغيلي حرباً شديدةً على قُضاة زمانه، لما رآه فيهم من ظلم، وحكمهم بالباطل، إذ يقول: "وهل أفسد الدّين إلاّ الملوك، وأحبار سوء، ورهبانها"[2]. "فمن غيّر حُكم الله فقد كفر، ومن تغيير حكم الله، ودينه أن يكون الظّالم قاضياً، لأنّه يحكم بالظّلم، وهو يقول هذا هو الشّرع، ومن فعل ذلك فهو كافر لأنّه صيّر الباطل حقاً والحقّ باطلاً". ونصح أمراء عهده، إن اقتضى الأمر أن يُولّوا بعض الظّالمين في إماراتهم فيجب عليهم ألاّ يجعلوهم باسم القضاء لأنّ "القضاء من صفات رسول الله ρ، لا يوصف به إلاّ عالم تقيّ، لا يأخذ الرّشا، ولا يحكم بالهوى"[3]. ومن الأمور الهامّة التّي نبّه إليها المغيلي في مسألة القضاء، أن يحكم القاضي بمشهور المذهب، لأنّ الحكم بغيره هو "جور وضلال"[4].

وقد خصّ الماوردي القاضي بسبعة شروط هي: أن يكون رجلاً، عاقلاً، حُرّاً، مسلماً، عادلاً،
سليم السّمع والبصر، عالماً بالأحكام الشّرعيّة[5]، وإلى جانب هذه الشروط المعتبرة المعتبرة فيهم بالشّرع هناك شروط أخرى تقتضيها السّياسة في اختيارهم، كأن يكون القاضي"حسن العلانية، مأمون السّريرة، كثير الجدّ، قليل الهزل، شديد الورع، قليل الطّمع، قد صرفته القناعة عن الضّراعة، ومنعته النّزاهة من الشّره، وكفّه الصّبر عن الضّجر، وصدّه العدل عن الميل، يستعين بدرسه على علمه(...) لطيف الفطنة، جيّد التّصوّر(...) يُشارك فيما أشكل، ويتأنّى فيما أعظل..."[6].

- <u>الولاية على الحسبة</u>:

الحسبة هي واسطة بين أحكام القضاء، وأحكام المظالم، ومن شروط المحتسب: العدالة، النّزاهة، ومعرفة فقه الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، ومعرفة الحساب لاختبار قيم المبيعات، ونسب الأسعار، والتّيقظ لإقامة الموازين بالقسط، والشّعور بغشّ المُحتالين، والصّرامة في الحكم، وعدم والالتفات إلى الشفاعات، لأنّ نظره منوط بحقوق عامّة المسلمين..."[7].

---

[1]- العاملي، المصدر السّابق، ص: 57.

[2]- وفي هذا المعنى يقول المغيلي من الشّعر:

قُضَاةُ زَمَانِنَا أَضْحَوا لُصُوصـاً ... عُموماً فِي البَريّة لا خُصُوصًا

فَلَوْ عِنْـدَ التّحِيَّـةِ صَافَحُونَا ... لَسَلُّوا مِنْ خَوَاتِمِنَا الفُصُوصَا

ينظر: المغيلي، أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، ص ص: 28- 29.

[3]- المغيلي، رسالة مختصرة فيما يجوز للأمير من ردع النّاس عن الحرام، ص: 136.

[4]- المغيلي، رسالة الإمارة، و: 3ظ.

[5]- الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ص ص: 81- 82.

[6]- الماوردي، تسهيل النّظر وتعجيل الظفر، ص ص: 204- 205.

[7]- ابن رضوان، المصدر السّابق، ص: 528.

والحسبة هي"أمر بالمعروف إذا ظهر تركه، كترك الجمعة في وطن مسكون، ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله كالغش في الموازين"[1]، قال عز وجلّ: (وَلْتَكُنْ مِنْكُمُ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيامُرُونَ
بِالمَعْرُوف وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ، وَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ)[2]، ولمّا كانت مهمّة الإصلاح والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر من صلاحيّات الأمير، كان واجباً عليه أن يجتهد في منع الغشّ، والفساد كلّه بتولية الأمناء على الحسبة"يكشفون، ويُصلحون"[3]، فيكون عملهم ليلاً ونهاراً، سرّاً وجهاراً، "فمهمّة المحتسبين ليست من باب التّجسّس على المسلمين، إنّما ذلك من حُسن الرّعي، وردع المُجرمين، لا سيما إذا شاع الفساد في البلاد"[4].

ومن المهام الرّئيسية لعامل الحسبة، أن ينظر في الأسواق، ويُصلح موازين كلّ بلد، على نسبة واحدةٍ، ولا بدّ من عرض الموازين والمكاييل على التّغيير في كلّ حين. ويحثّ الشّيخ المغيلي القائمين على هذه الولاية بالصّرامة والتّشدّد في إقامة العُقوبات على من تبث فيهم الخيانة في الوزن

والكيل، وجميع أنواع الغشّ، حتّى يكونوا عبرة لغيرهم من النّاس[5].

- **الشّرطة:**

هم الأعوان في تنفيذ الأحكام، وحفظ الأمن والاستقرار، وقد وُضع هذا المنصب لمعُونة الحُكّام وأصحاب المظالم والدّواوين، في حبس من أمروه بحبسه، وإطلاق من أمروه بإطلاقه، والنّظر في الجنايات، وتنفيذ الحدود والعُقوبات، والفحص عن أهل الرّيب والمنكرات، وتعزير من يجب تعزيره[6].

لقد كان جهاز الشّرطة من الأولويات التّي سعى المغيلي لإقامتها في إمارته بتوات، خاصّة بعد ثورته الأولى على اليهود وأنصارهم، غير أنّه لم يكن في مُستوى القوّة والمنعة التّي أرادها، حيث فشل في أوّل مواجهة له من أجل إقامة الأمن والاستقرار، خاصّة بعد عمليّة الاغتيال التّي تعرّض لها ابنه عبد الجبّار، والذّي كان على رأس هذا الجهاز، وبمثابة النائب الأول لأبيه بتوات بعد رحلته إلى بلاد السّودان الغربي والتّكرور[7].

- **خدّام الحَضرة:**

هم المُتصرّفون في حوائج الأمير، وهم خدمه وندماؤه؛ ويشترط فيهم الشّيخ المغيلي الطّاعة، والأمانة، والصّلاح، وكتم الأسرار، حيث جاء في نُصحه لأمير

---

[1]- الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ص: 260 وما بعدها.
[2]- سورة آل عمران، الآية: 104.
[3]- المغيلي، رسالة الإمارة، و: 2و.
[4]- المغيلي، أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي،ص ص: 67- 68.
[5]- المغيلي، أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، ص: 64 وما بعدها.
[6]- العاملي، المصدر السّابق، ص: 67.
[7]- أحمد الحمدي، محمد بن عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكرية بتوات، ص: 116 وما بعدها.

كانو ببلاد السّودان الغربي: "لا تُقرّب لخدمتك ومجلسك ناقصاً في أعين النّاس، فإنّ دائرة المرء لباسه"[1].

- **الأمناء والعُمّال:**

الأمناء هم عُمّال الأموال، المكلّفون بجمعها، وصرفها على الرّعيّة، كلّ حسب حاجته. ومن شروط من يتولّى مال المسلمين"أن يكون من أهل الصّلاح والدين والأمانة، فقيهاً عالماً مشاوراً لأهل الرّأي، عفيفاً، لا يطّلع النّاس منه على عورة، ولا يخاف في الله لومة لائم، عارفاً لجباية
الأموال، وأخذها من حِلّها، وتجنّب ما حُرّم منها.."[2].

- **الكتّاب والحسّاب الحافظين:**

الكتابة من الخطط السّلطانية الهامّة في الدّولة، وهي من المناصب الشّريفة التّي لا يستأثر فـي
العمل بها إلاّ المُقرّبون من السّلطان من نسبه أو عصبيّته، كما كان الحال مع الخلفاء الرّاشدين والصّحابة، لعظم أمانتهم وتمكّنهم من حفظ أسرارهم[3]، وكاتب السّلطان هو"لسانه الذّي ينطق به"، ومن شروطه: فصاحة اللّسان، وحسن الخطّ، ومعرفة الآداب، وكتمان السّر، والأمانة، ومعرفة وجوه الجباية، والحساب[4].

يرى الغزالي بألاّ شيء أفضل من القلم، لأنّ به يُمكن إعادة السّالف والماضي ومن شرف القلم أن الله سبحانه وتعالى أقسم به[5]، فقال:(نٌّ، وَالقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ)[6]. و"الدّنيا تحت شيئين، السّيف والقلم، والسّيف تحت القلم، والقلم أدب المتعلّمين وبضاعتهم، وبه يُعرف رأي كلّ إنسان، من قريب وبعيد". والكتّاب أربعة أصناف: كاتب تدبير وهو كاتب السّلطان أو وزير دولته، وكاتب الخطّ وهو النّاسخ الورّاق، وكاتب الحساب وهو المختصّ بالكتابة في الدّواوين والأموال والجيش، ولا غنى للأمير عن أحدهم[7].

- **الرّسل والجواسيس:**

فأمّا الرّسل فهم بريد الأمير في داخل مملكته، وخارجها، ينقلون له رسائله إلى نوّابه، وولاته، وخطاباته وهداياه إلى غيره من الأمراء والملوك. والرّسول هو عين الأمير فيما لا يرى وأذنه فيما لا يسمع، ولسانه عندما يغيب عنه، لذلك وجب على الأمير"أن يختار أرفع من بحضرته عقلاً، وبصيرة، وهيأة، ومنظراً، وأمانةً لهذا المنصب"[8]، ولا يليق للسّفارة إلاّ رجلاً خدم الأمراء والملوك، يكون متروّيا إذا تكلّم، مقلاً إذا قال، كثير التّرحال، ملمّاً من كلّ فنّ بطرف، حافظاً،

1- المغيلي، رسالة الإمارة، و: 1ظ.
2- أبو يوسف، المصدر السّابق، ص: 120.
3- ابن خلدون، المقدّمة، ص: 272.
4- المرادي، المصدر السّابق، ص: 83.
5- الغزالي، التّبر المسبوك في نصيحة الملوك، ص: 89.
6- سورة القلم، الآية: 01.
7- العاملي، المصدر السّابق، ص: 40 وما بعدها.
8- المرادي، المصدر السّابق، ص: 76.

بعيد النّظر، حسن القدّ، فإذا كان رجلاً شيخاً، وعالماً كان أفضل، فسيرة الرّسول، ورأيه دليل على سيرة الملك وعقله"[1]، وكما قيل:"اختر رسولك في الحروب والمُسالمة، فإنّ الرّسول يُليّن القلوب، ويُخشّنها ويبعد الأمور ويقربها، ويُصلح الوِدّ ويُفسِدُه"[2].

ومن دواعي استقرار الملك والإمارة، أن يحرص السّلطان على معرفة أخباء أعدائه، ومراعاة أخبار البلاد المُتاخمة لمملكته، وهذا لا يتأتّى إلاّ بنظام العُيون والجواسيس، الذّي يُولّي عليه الأمير الأكفّاء والأمناء في كلّ أوان أيّام السّلم والحرب، حتّى يبقى دائماً على علم ويقظة، وقد شبّه المغيلي الأمير بدون جواسيس بالجاهل الأعمى،"وبصير واحد يغلب ألف أعمى"[3]. و"إنّ الغفلات هي فُرص ينتهزها المستيقظ من اللاّهي، ويُدركها المُتحفّظ من السّاهي، فليستدفع الأمير بوادر الغفلة بالاستخبار، ويتحذّر منها بالاستبصار..."[4].

- **الحَفظة والعُسّاس:**

فالحفظة هم حُماة الأمير نهاراً، والعُسّاس هم حفظته ليلاً، وكلاهما حماة الأمير وأنصاره لا يُفارقونه في أيّ وقت، فيجب على الأمير أن "يُدير لحماه في كلّ أوان عصمة من أمناء الشّجعان، عُسّاس، ورماة، ورجال وفرسان، فليس وقت الخوف كوقت الأمان"[5]. ويكون ترتيبهم على ميمنة وميسرة، ومقدّمة ومؤخّرة. ويجب اختيارهم من أصحاب الثبات في الشّدائد، وهم من أكثر النّاس موالاة للأمير، واستعداداً لنصرته في حال الحاجة، كأوقات انقسام حاشية الأمير عليه، فيكونون دائماً على استعداد لضرب المُخالفين منهم[6].

- **العُلماء الثّقاة المرشدون:**

هم من صفوة الرّعيّة، وظيفتهم نُصح الأمير، وبذل المشورة إليه في كبير الأمور وصغيرها، وهي من الوظائف التّي شغلها المغيلي عند أمراء السّودان الغربي والتّكرور، وكما قيل:«السّعيد من وُعِظ بغيره»، والمشورة من أدب الأنبياء والمرسلين، قال تعالى:(...وشَاوِرْهُم في الأمرِ...)[7]، فمن واجبات الأمير أن يُقرّب العُلماء وذوي الرّأي منه، لكي يزداد رأيه صواباً، ويتّسع إدراكه للأحكام، ومعرفة الحلال من الحرام، والمشتبهات، كما يحتاج الأمير إلى أهل الحنكة والتّجارب، والرّأي في أيّام الفتن والحروب،"فعُرفاء الحروب برأيهم تنكشف الكروب"[8]،"والمشورة مع السداد والسّخافة مع الاستبداد"[9].

1- الطّوسي، المصدر السابق، ص: 133.
2- ابن رضوان، المصدر السّابق، ص: 546.
3- المغيلي، رسالة الإمارة، و: 3و.
4- الماوردي، تسهيل النّظر وتعجيل الظّفر، ص: 251.
5- المغيلي، رسالة الإمارة، و: 2ظ.
6- وداد القاضي، المقال السّابق، ص: 67.
7- سورة آل عمران، الآية: 159.
8- المغيلي، رسالة الإمارة، و: 2و.
9- ابن رضوان، المصدر السّابق، ص: 340.

3. الكشف عن أمور الإمارة:

خصّص المغيلي الباب الخامس في "رسالة الإمارة" في الحديث "عمّا يجب على الأمير من الكشف عن أمور الإمارة"، بادئاً نصائحه وتوجيهاته بحكمة جامعة يقول فيها: "الإمارة حيلة في حيوان الحيلة"، وقد قسّم نصائحه هذه إلى قسمين: القسم الأوّل يختصّ بتفقد الأمير لأحوال العامّة من أفراد الرّعيّة، والقسم الثاني بتفقد الأمير لأحوال خاصّته من عمّاله، ونوابه في السلطنة[1]. فعلى كلّ أمير أن يكشف عن بعض الأمور بحسب المقدور "فلجدير به أن لا يذهب عليه صغير، ولا كبير من أخبار رعيّته، وأمور حاشيته، وسير خُلفائه، والنّائبين عنه في أعماله بمداومة الاستخبار عنهم، وبثّ أصحاب الأخبار فيهم سرّاً و جهراً"[2].

أ- تفقّد أحوال العامّة(الرّعيّة):

يجب على الأمير أو السّلطان أن ينظر إلى رعيّته على أنّه واحد منهم، يشعر بمشاعرهم، و يحسّ بآلامهم ويفرح لفرحهم، فكلّ ما لا يرضاه لنفسه، لا يرضى به لأحدٍ من المسلمين، وإن رضي لهم بما لا يرضاه لنفسه، فقد خان رعيّته، لذلك وجب عليه أن يتفقّد أحوالهم ويستطلع أخبارهم، ومن صور تفقّد الأمير لرعيّته أن يسأل عن كلّ ما جهله من الأمناء والعدول، كأمور المحبوسين، والأوصياء على الأيتام، وحجر المهمل من يتيم وسفيه، وكأمور المتغيّبين، والأموات، وأمور بيت المال،وغيرها من الأمور. فالمطلوب من قيام المُلوك والأمراء تفقد أحوال البلاد والرّعايا بالنّظر التّام، بالفحص الصّحيح، ومراعاة أمور الشّريعة، والأحكام الواجبة، والسّياسة المُحكمة في تعديل الممالك، وعمارة البلاد، بإزالة أسباب الفساد، وقطع أصول المُفسدين، وفروعهم[3]. ومن الأمور الواجبة في تفقد الأمير لأحوال الرّعية: الورع، والرّحمة، وحسن السّلوك واللّين، والخفّ من الشّدّة والغِلظة في التّعامل حتّى يضمن ودّهم، ودوام ولائهم له، وهذا ما كان ينصح به المغيلي دائما، كما في قوله لأمير كانو: "خفّ من الحبل ليلاً تلسعك الحيّة"[4].

ب- تفقّد أحوال العُمّال:

لا يستقيم للأمير سلطانه إلاّ بعُمّاله، ونوّابه، كما لا تستقيم أحوالهم إلاّ بتقرّب الأمير إليهم، وتفقّدهم بين الحين والآخر، مع دوام نُصحِهم، فأعمال الأمراء والسّلاطين كثيرة، وقليلاً ما تُستجمع الخصال المحمودة عند أحدٍ من عمّالهم،

1- المغيلي، رسالة الإمارة، و: 2ظ.

2- أحمد وهبان، الماوردي رائد الفكر السّياسي الإسلامي، الإسكندرية: دار الجامعة الجديدة، دع- سنة 2001، ص: 98.

3- الأسدي(محمّد بن خليل)، التّيسير والاعتبار والتّحرير والاختبار فيما يجب من حسن التّدبير والتّصرّف والاختيار، تحقيق: عبد القادر أحمد طليمات، بيروت: دار الفكر العربي، ط01- سنة 1968م، ص: 85.

4- المغيلي، رسالة الإمارة، و: 2ظ.

لذلك توجّب أن يكون الأمير عالماً بأمور من يُريد الاستعانة به، وطبيعة العُيوب والنّقائص التّي قد توجد في أحدهم، حتّى يتسنّى له بعد ذلك تفقّدهم ومُحاسبتهم، وحتّى"لا يخفى عليه إحسان محسن، وإساءة مُسيء"[1]، فعلى الأمير تدبّر أقوال عمّاله، واختبار أحوالهم أثناء عملهم، ومحاسبتهم بعد إنهاء خدمتهم. فأمّا اختبار أحوالهم أثناء عملهم، فيكون بدوام متابعتهم، من قريب أو بعيد بإرسال من يكشف عن أخبارهم، أو حتّى بمباشرة الأمير ذلك بنفسه على حين غفلة، فكلّ من ظهر منه تقصير زجره، وعاقبه على حسب سوء فعله، ولا عقاب أحسن من عزل العمّال الظّالمين، إذا تبث فيهم ذلك، واستبدال الولاة على الأمصار إذا تكرّرت الشّكوى في أحدهم، "وليكن عليهم كراعي الماشية بين الأسد الضّارية".

ومن المسائل الهامّة التّي حثّ عليها المغيلي في محاسبة الأمير لعمّاله بعد إنهاء مهامهم، إحصاء أموالهم وممتلكاتهم، "بعدما أحصى قبل الولاية أموالهم، فمن زاد له مال على ما يُعطى، أخذه وجعله في مصالح المسلمين". كما يجب على الأمير أن يكشف الفساد في عمّاله، إن بدت عليهم علاماته، فلا يتوانى عن ذلك أبداً إن أراد إقامة العدل والحقّ في بلاده، وضمان دوام ملكه، فإن تبث في أحدٍ منهم نكّل به، وإن استدعى العقاب إقامة عليه الحدّ أقامه، كتورّطه في جريمة زناً، أو شرب خمرٍ.كما يجب عليه تقصّي أخبار عمّاله المُوالين لطاعته، من غيرهم، بكشف ذممهم، ونميمتهم من مدحهم وثنائهم فلا يكون "كسلّم الدّار لصاحبها، أو كماسك قرون البقرة لحالبها"، "فإذا كان الأمير متفقداً لأحوال أعوانه، عالماً بما يتجدّد ويطرأ على رعيّته، لزم كلّ أحدٍ منهم مكانه، ولم يتعدّ حدوده، ورهب مقام سلطانه، وخشي على نفسه الانتقام، وتسحّبَ
ذوو الفساد، وخاف الظّلمة ومُستحِلّوا الحرام"[2].

هـ- <u>في تدبير الجيش وسياسة الحروب</u>:

إنّ الجيش من أركان الملك وقِوامه، فكما جاء في توصية السّلطان أبي حمّو موسى الثّاني لابنه
في حفظ الجيش والأجناد والقوّاد؛ "أنّ الجيش أنصار، وبهم تُستفتح الأمصار"، فمن الواجب على الأمراء تقوية جيوشهم بالمال والسّلاح، فإنّ العدوّ يقوى دائماً بضعف جيش الخصم، "فبالجيش تُنال المقاصد، وتستجلب الفوائد، ويُكبت العدوّ والمُعاند، والجيش أبّهة الخلافة، وحصن منيع من المخافة، وهم سُيوف الإرهاب، وحماة الطِّعان والضِّراب(...) ومن فرّط في جيشه، سقط عن عرشه، وأعان على نفسه أعداءه..."[3].

يُقسّم المغيلي جيش الإمارة إلى قسمين: قسم خاص بحراسة وحماية الأمير وكبار دولته، وهي الفئة القليلة من الجيش، تضلّ محيطة بالأمير لا يُفارقونه ليلاً

---
[1]- ابن المقفّع، الأدب الصّغير، ص 98.
[2]- المغيلي، رسالة الإمارة، و: 2ظ- 3و.
[3]- عبد الحميد حاجيات، أبو حمّو موسى الزّيّاني حياته وآثاره، ص: 233.

ولا نهاراً، وهم أكثر الجند موالاة، وأمانةً وشجاعةً، وهو ما نجده في وصيّته لأمير كانو: "أدر لحماك في كلّ أوانٍ عصمةً من أمناء الشّجعان، عسّاس ورماة، ورجال و فرسان..."[1]، وهم ما يُسمّون بالمفردين أو المُختارين، "وهم أفراد يمتازون بحسن طلعتهم، وجمال قدّهم، وتمام رجولتهم، وكمال شجاعتهم(...)، وينبغي أن، يكونوا جميعاً فرساناً، لهم العُدّة الكاملة.. "[2]. أمّا القسم الثّاني فيضمّ الفئة الأكبر من الجيش، ووظيفته الدّفاع عن أمن الإمارة، وصدّ أيّ خطر خارجي، كما يتولّى عمليّة الفتوحات وجهاد الكفّار.

ينصح المغيلي إلى إنشاء الجيوش القويّة، المجهّزة بمختلف الأسلحة والعتاد الحربي، فيقول بأن أحق الأمور بالنّفقة من أموال الإمارة هي الجيش وعُدّته[3].كما جعل ترتيب الجيش من حُسن ترتيب الإمارة، فهو يُدرك أنّ قوّة أيّ دولةٍ، أو إمارةٍ رهن قوّة و بسالة جيشها، لذلك نجده يشير إلى توفير كلّ ما من شأنه أن يزيد في قوّة وتماسك الجيش، وأولى هذه الأمور هي تولية قادة جيوش أكفاء يعرفون خبايا الحروب، ومكائد الأعداء، يُحسنون ترتيب الجيش في المعارك ما بين فرسان ومشاة ورماة، وخبراء حروب يُشيرون بتجاربهم وآرائهم ومكائدهم، وإلى اختيار أحسن البُلغاء والخُطباء حتّى يوقدوا في الجنود الهمم العالية، والبلاء الحسن، والثبات ساعة المِحن، ولكي يكون الجيش خفيفاً في تنقّلاته سريعاً في تحرّكاته، وجب تزويده بالخيل والجياد القويّة. ومن المسائل الهامّة في تدبير الجيش، وسياسة الحروب إقامة الحُصون لتكون حاجزاً مانعاً في صدّ الأعداء، وخزائن للسّلاح والعُدّة، والمؤونة في الوقت نفسه، وأيّ حصن لا يقدر الأمير على تجهيزه
وجب عليه إزالته، لكي لا يستند الأعداء إليه، فتنقسم الرّعيّة إلى شطرين بينه وبين عدوّه[4].

إذا كان المغيلي يُرشد إلى ضرورة تقوية جيش الإمارة بمختلف الوسائل المُمكنة، فإنّه يحرص في الوقت نفسه على سلامة الجنود باعتبارهم أفراداً مُخلصين من الرّعيّة، وذلك بتوفير الرّعاية الصّحّية داخل الجيش المتمثّلة في تولية "الأطبّاء العُرفاء الأمناء"، تقتصر وظيفتهم على خدمة الجيش في السّلم والحرب[5].

كما اهتمّ المغيلي بالمكانة التّي يجب أن يحض بها أفراد الجيش داخل الإمارة "إذ أنّ بيدهم مصالح المسلمين"، فرأى أن يكونوا على رأس المستحقّين للعطاء السّلطاني، وبأكبر حصّة من أموال الفيء[6]، رغم اختلاف بعض الفقهاء في هذا

---

[1]- المغيلي، رسالة الإمارة، و: 2ظ.
[2]- الطّوسي، المصدر السّابق، ص: 127.
[3]- المغيلي، رسالة الإمارة، و: 5ظ.
[4]- المغيلي، رسالة الإمارة، و: 3ظ.
[5]- المصدر نفسه، و: 2و.
[6]- المصدر نفسه، و: 5ظ.

المال، هل هو مختصّ بالجند والمقاتلين في سبيل الله، أم هو مشترك في جميع المصالح[1].

يجب على الأمراء في سياسة الحروب أن يُتوِّجوا انتصاراتهم بالحيلة والمكر والخديعة، "فالحرب خُدعة ليست بالكثرة، ولا بالسّرعة"[2]،"فينبغي للملك السّعيد أن يجعل المُحاربة آخِر حِيله، فإنّ النّفقة في كلّ شيء إنّما هي من الأموال، والنّفقة في الحُروب إنّما هي من الأنفس، فإن كان للحيل محمود عاقبة، فذلك بسعادة المَلك، إذ ربح ماله وحقن دماء جيوشه.."[3]. وإذا كان الأمير بالقرب من العدوّ واحتاج إلى مُحاربته وجب عليه ترك لهوه، وساعات أنسه، ويجعل كلّ وقته لتدبير المكائد لعدوّه، وتجهيز جيوشه، ويصرف إليه جميع همّه وفكره، وأن يُكثر من مُشاورة ثقاته، ولا يجعل التّسويف والتّمنّي، وحُسن الظّنّ بالأيّام نصيباً من قلبه، فإنّ ذلك ضعف من الرّأي، ووهن في الملك والإمارة[4]، لذلك وجب عليه عليه أن يكون حازماً متأهّباً للحرب في كلّ الأوقات[5].

ومن حُسن التّدبير في سياسة الحُروب أن يكشف الأمير عن أخبار أعدائه بدسّ الجواسيس

الأمناء في كلّ لحظة، وفي كلّ الظروف أيّام الحرب وحتّى السّلم، حتّى لا يغفل عن حركاتهم وسكناتهم، فكما يُكرّر المغيلي دائماً "الجاهل أعمى، وبصير واحد يغلب ألف أعمى"[6]، فينبغي أن تذهب العُيون إلى كلّ الأطراف، في هيأة التّجّار، والسّيّاح، والمُتصوّفة والدّراويش..[7]، فإذا اخترق الجاسوس صفوف الأعداء، استعلم عن رؤسائهم وقادتهم، وذوي الشّجاعة منهم، ويمكر بينهم بضروب الخدع، ويُقوّي أطماعهم في أن ينالوا ما عنده من الهبات الفاخرة، فإذا رأى فيهم ضعاف النّفوس اشترى ذممهم بالهدايا، وكلّفهم إمّا بالغدر، وإمّا بالتّخلّف عن المواجهة والحرب[8].كما يجب على الأمير أن يتدبّر أقوال سفراء غيره من الأمراء والمُلوك، سواءً كانوا أعداءً له أم حُلفاء، وأن يكون كيّساً فطناً، خاصّة مع الرّسل المُرافقين للهدايا لأنّ حقيقة أغلبهم جواسيس وعيون، "فإنّ صرفهم كيس، وإمساكهم جنون"[9].

---

[1]- ابن تيمية، المصدر السّابق، ص:37.

[2]- المغيلي، رسالة الإمارة، و: 2و.

[3]- الجاحظ، المصدر السّابق، ص: 244.

[4]- الثّعالبي، المصدر السّابق، ص: 186.

[5]- في هذا المعنى يستشهد المغيلي بهذا البيت:

"أخو الحرب إن عضّت به الحرب عضّها وإن شمّرت عن ساقها الحرب شمّرا"

ينظر: المغيلي، رسالة الإمارة، و: 2ظ.

[6]- المغيلي، رسالة الإمارة، و: 3و.

[7]- الطّوسي، المصدر السّابق، ص: 107.

[8]- ابن رضوان، المصدر السّابق، ص: 598.

[9]- المغيلي، رسالة الإمارة، و: 2ظ.

أهمّ النّتائج التّي يُمكننا أن نخرج بها من هذا الفصل هي:
- ساهم المغيلي من خلال بعض مؤلّفاته في المُشاركة في مجال السّياسة الشّرعية، والأدب السّلطاني الإسلامي؛ حيث حوت مصنّفاته: رسالة في شؤون الإمارة، أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، وجملة مختصرة فيما يجوز للحكام من ردع النّاس عن الحرام، على العديد من أفكاره وآرائه السّياسية.
- المفهوم العام الذّي استطاع المغيلي أن يُضفيه على جوانب العلاقة السّياسية(الحاكم والرّعيّة)، هو مفهوم المصلحة الشّرعية، والتّي تهتمّ بإصلاح أحوال الدّولة، وما يضمن لها القوّة، وانتظام
مصالح الرّعيّة والأمير معاً.
- في مُعالجة المغيلي لقضيّة "الإصلاح" في كتاباته في السّياسة الشّرعية نجده يخرج عن هذه المسألة الكُبرى بقضايا فرعيّة، يُمكن استخلاصها في جملة من المفاهيم، أو الكلمات المفتاحية، أهمّها: قضيّة العدل ونقيضها الظّلم، وقضيّة الصّلاح ونقيضها الفساد، وقضيّة النّظام ونقيضها الفوضى، وقضيّة القوّة ونقيضها الضّعف، وقضيّة السّلم ونقيضها الحرب، وقضيّة الولاء والطّاعة ونقيضها التّمرّد والعصيان.
- الجديد في فكر المغيلي السّياسي، أنّه يجعل دائماً قاعدة إصلاح أحوال الرّعيّة من مُنطلق الحاكم، ثمّ عمّاله ونوابه على أجهزة الدّولة، وكأنّ فسادها وصلاحها هو دائماً مرهون بفسادهم، وجُورهم. ونصائحه التّي يُوجّهها إلى الأمراء والسّلاطين، كأنّها موجّهة إلى أيّ فردٍ عادٍ من أفراد الدّولة؛ حيث نُلاحظ حرصه الشّديد في ألاّ ينساق للحاكم بعبارات المدح والإطراء ، بالرّغم من أنّه يكتب في فنّ الأدب السّلطاني، وهو يُخاطب بنصوصه مباشرة كلاّ من أميري كانو وكاغو ببلاد السّودان الغربي والتّكرور، ويبدو أنّه من خلال ذلك يُساهم في خلق نمط جديد في هذا الفنّ الذّي يمزج بين الأدب السّلطاني والتّنظير السّياسي؛ حيث يخرج عن النّسق التّقليدي لهذا الفنّ بإضفائه على نُصوصه الطّابع الاجتماعي، الذّي يخضع للواقع المُعاش، ومبدأ العُرف والأخلاق، كما نلمس في الكثير من

نُصوصه أطراف العلاقة السّياسية المُتمثّلة في الحاكم والرّعيّة، وواسطتهما المُتمثّلة في العُلماء، ونوّاب السّلطان وعُمّاله في الدّولة، والوعظ السّلطاني يدور حول ما فيه صلاحهم جميعاً.

- يُصنَّف المغيلي من خلال فكره السّياسي، وآرائه في السّلطة والأخلاق، ضمن الصّنف الثّالث من روّاد الفكر السّياسي الإسلامي[1]، والذّي يضمّ مجموعة من العلماء الذّين تشبّثوا بأصالة هذا الفكر المُستمدّ من الكتاب والسّنّة، ونُدرج المغيلي ضمن المجموعة الأولى من هذا الصّنف، التّي اعتمد أصحابها على المنهج الاستنباطي كون أصحابها فقهاء بالدّرجة الأولى، ومن روّادها البارزين نجد: ابن أبي الرّبيع في مؤلّفه"سلوك المالك"، والماوردي في جملة من المُصنّفات منها"الأحكام السّلطانية"، و"تسهيل النّظر". ونضع المغيلي ضمن هذا الصّنف، وهذه المجموعة لعددٍ من الاعتبارات؛ حيث لا نستطيع إدراجه ضمن الصّنف الأوّل؛ إذ لم يتأثّر كثيراً بالفكر الإغريقي في معالجة قضايا السّياسة والأدب السّلطاني، رغم شهرته الواسعة باستخدام المنطق اليوناني. كما لا نستطيع إدراجه ضمن الصّنف الثّاني، الذّي كتب روّاده كتبهم السّياسية إمّا مداراة للحُكّام أو تقرّباً منهم بالنّصح والوعظ، والمغيلي هو بخلاف ذلك؛ حيث أنّ كتاباته السّياسية لم تأت من أجل مصلحة خاصّة يجنيها من وراء تقرّبه من أمراء عصره، بل كان يُنشد الإصلاح دائماً، كما أنّه لم يتعرّض إلى مسألة خُروج الرّعيّة عن الحاكم، حتّى نأخذ رأيه الكامل منها. والاعتبار الأساسي في تصنيفنا له يعود إلى كونه لم يخرج في مؤلّفاته، وأفكاره السّياسية عن مضمون النّصيحة، والإصلاح السّياسي عنده هو من منطلق الدّين والأخلاق حتّى يظلّ مرتبطاً بمرجعيّة الإسلام ومبادئه، ومقاصد شريعته، فهو فقيه وعالم دين قبل أن يكون منظّراً سياسياً.

- آراء المغيلي وأفكاره السّياسية جاءت لتخدم متطلّبات عصره، وبيئته التّي تحتاج إلى الإصلاح في نُظمها، بالعودة على تعاليم الدّين الصّحيحة، كالحُكم بما أنزل الله، والعدل في جميع القضايا، سواء ما تعلّق بمسائل القضاء، أو ما تعلّق بتقسيم مهامّ العُمّال على أجهزة وخطط الدّولة، أو حتّى في توزيع الأموال على مصالح الرّعيّة بحسب نوع الحاجة، وأولويّتها. وقد كانت آراؤه في السّياسة الشّرعية والأدب السّلطاني حوصلة لتجاربه التّي عاشها، ومرّ بها، وخُلاصة لآثار وأفكار من سبقه من المُفكّرين السّياسيين والفلاسفة.

- كان المغيلي يبحث عن مُجتمع مستقرّ وأمير صالح، لذلك كانت هجرته من توات إلى السّودان الغربي؛ حيث اتّصل بخيرة أمرائها؛ إذ وجد أغلبهم على استعداد لتقبّل نصائحه في السّياسة والإصلاح، فألّف لهم ثلاثة كتب جاءت على شكل رسائل موجزة، هي رسالته في شؤون الإمارة، أجوبته على أسئلة الأسقيا حاج محمّد، وجُملته المُختصرة فيما يجب على الحكام من ردع النّاس عن الحرام، وكان يهدف من ذلك كلّه إلى طرح أفكاره حول الحُكم الصّالح، وواجبات

---

[1]- سبق الإشارة إلى هذا التّصنيف في المدخل، ص: 07.

الأمير المُسلم الحقيقي بعيداً عن الهوى وزيغ القلب، مع حُسن النّيّة للإمارة وضرورة مراعاة الحلال والحرام في كافّة الأحكام والمُعاملات، والمصلحة العامّة الّتي من أجلها تُقام الدّولة، ويُنصّب من خلالها الأمير وأعوانه الذّين من صفاتهم الصّلاح والأمانة وحُسن التّصرّف في تدبير مصالح النّاس، ولا يتمّ اختيارهم إلاّ على نمط الأمثل فالأمثل والأصلح فالاصلح، واجباتهم الضّروريّة حفظ الدّين من المبتدعين وعُلماء السّوء وسائر الضّلالات، وإقامة الحُدود والعُقوبات الّتي تثبّت الأمن العام للدّولة، وتحفظ للأمّة المُسلمة مبادئها، وتضمن بدورها ولاء وحبّ الرّعيّة، فتنصر بذلك أولي أمرها، وتعينهم على أداء مهامهم على أحسن حال، فيُقام العدل الذّي جعله المغيلي على رأس مقوّمات الدّولة السّلطانيّة، فتُجمع الأموال من وُجوهها الحلال لتُصرف في خدمة مصالح الدّولة والرّعيّة معا، وتحسن بذلك سياسة القائمين على شؤونهم في اختيار الأنسب لتمثيلهم وسياستهم، ومن حُسن هذه السّياسة الّتي أشار إليها المغيلي، تدبير الجيوش الّتي تحفظ سلامة الدّولة من أيّ خطر خارجي، أو فتنة داخليّة قد تُصيب البلاد، لذلك كانت الإمارة أو الخلافة من الضّروريّات في فكر المغيلي، وقد قدّم بنصحه أهمّ الآداب والأخلاق لأمراء عصره كي يتحلّوا بها لتُحفظ هيبتهم وسط الرّعيّة.

كان المغيلي يطمح بعدما أنهى رحلته العلميّة الّتي قادته إلى بجاية، والجزائر أن يعيش حياةً مستقرّة بتلمسان يُكرّس فيها حياته للعلم وأهله، غير أنّ أوضاعها المُضطربة المشحونة بالقلاقل وتسلّط اليهود فرضت عليه الارتحال إلى الصّحراء ليعيش حياةً إسلاميّة نقيّة على نهج السّلف الصّالح في الواحات الصّحراويّة بعيداً عن فساد المدن والحواضر الكبرى، فالصّحراء بالنّسبة للشّيخ المغيلي كانت رمزاً للطّهارة والنّقاوة الفطريّة وحُلماً لطالما تمنّى خوضه، كما كان يرى في الصّحراء التّواتيّة ملجأً لتواطأ بعض المسلمين مع اليهود، الذّين كانوا يدعّمون نفوذهم يوماً بعد يوم، لكنّ صدمته كانت كبيرة عندما اكتشف بأنّ وضع المسلمين في واحات توات إزاء تزايد النّفوذ اليهودي كان أسوأ ممّا تصوّره، وأخطر ممّا كان عليه في تلمسان، الشيء الذّي دفعه إلى تحمّل مسؤوليّة تغيير هذا الواقع، بإصلاح المنكرات الّتي أحدثها اليهود. وقد مهّدته تجربته الإصلاحيّة بتوات وأهّلته لخوض غمار الدّعوة والإصلاح في السّودان الغربي الّتي استقبلت أخباره وانتصاراته قبل مجيئه إليها، في وقت كان يسعى فيه أمراؤها إلى مُحاولة إصلاح الأوضاع بمُحاربة أوجه الفساد والبدع...

أ- <u>توات</u> <u>وأوضاعها</u> <u>قبل</u> <u>انتقال</u> <u>المغيلي</u> <u>إليها</u>:

توات هي مجموعة من واحات الصّحراء بالمغرب الأوسط (الجزائر) تقع في الجهة الجنوبية الغربيّة، تُؤلّف في مجموعها إقليم عبور ما بين سفوح الأطلس الجنوبيّة وبلاد السّودان. ويحدّ إقليم توات شمالاً العِرق الكبير، ومنطقة تيكورارين[1]، وكذا وادي السّاورة، وعرق الرّاوي، وغرباً وادي مسعود، ومن النّاحية الجنوبية الغربية عرق شاش، وشرقاً هضبة تادميت، ومنطقة تيدكلت[2]، ومن النّاحية الجنوبية الشّرقية سبخة مكرغان وصحراء تنزروفت[3].

ينقسم إقليم توات إلى ثلاث مناطق رئيسية هي:

- تيدكلت: من فقّارة الزوي شرق عين صالح إلى تيمقطن.
- المنطقة الوسطى: من عريان الرّاس (تسابيت) إلى انتهنت (رقّان).
- منطقة قورارة: (تيميمون) إلى تبلكوزة[4].

---

[1]- **تيكورارين:** معناها بالبربريّة (المعسكرات)، بها ما يقرب عن خمسين قصراً، تقع في صحراء نوميديا بعيدة بنحو 120 ميلاً عن شرق تسابيت، وهي آهلة بالسّكّان، وسكنتها جاليّة من اليهود قبل إجلائها من المنطقة. **ينظر:** الوزان، المصدر السّابق، ج02، ص ص: 133- 134.

[2]- **تيدكلت:** اسم يطلق على المنطقة الواقعة بين وادي الساورة والهقار(بلاد التّوارق)، وهي منطقة شاسعة تنتشر فوقها غابات النّخيل التي تتخللها الديار أو تحيط بها، وسكانها فقراء بسبب ضعف مواردهم أهم قصورها أولف الشرفاء، زاوية مولاي هبة، قصبة سيدي ملوك...**ينظر:** تقييد ما اشتمل عليه إقليم توات، المصدر السّابق، ص: 09.

[3]- عبد الحميد بكري، النبذة في تاريخ توات وأعلامها (ق 09- ق 14هـ)، عين مليلة (الجزائر): شركة دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، ط01- سنة 2005م، ص: 17.

[4]- محمّد باي بلعالم، الرّحلة العليّة إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات، وما يربط توات من الجهات، الجزائر: دار هومة: ط01- سنة 2005، ج01، ص: 09.

هناك العديد من الرّوايات التّي تحكي سبب تسمية توات بهذا الاسم، ولعلّ أشهرها أنّها اسم مشتقّ من الإتاوات، وهي المغارم التّي كان يدفعها سكان الإقليم للأمراء الموحّدين[1]، وقُصور توات ومدنها ممّا أختطّه المُسلمون؛ أي أنّها من بناء وإنشاء المُسلمين، وهي بذلك لم تُفتح صُلحاً أو عُنوةً كبعض أراضي وأقاليم المغرب الإسلامي[2].

دخل الإسلام إلى إقليم توات في منتصف القرن الرّابع الهجري(10م)[3]، فالفتوحات الإسلامية الأولى للشّمال الإفريقي وعلى الأخصّ لبلاد المغرب الإسلامي لم تكن كافية ليصل تيّار النّفوذ الإسلامي إلى الجنوب، فكان العامل الأساسي في انتشار الإسلام في الصّحراء راجعاً بالدّرجة الأولى إلى البربر الرّحّل الذّين تسبّبوا في تقلّص الممالك الوثنيّة التّي أقامها السّود على الضّفاف الجنوبية للصّحراء، كما كان لقيام دولة المُرابطين اللّمتونيين الذّين هم من بطون قبيلة صنهاجة البربريّة، وتوسّعاتهم الكبيرة في القرن الخامس الهجري (11م) دور عظيم في تثبيت الإسلام بإقليم توات، كما كان لتوغّل القبائل العربيّة إلى المنطقة دور بارز في نشر اللغة العربيّة وتعاليم الديّن الإسلامي[4].

كانت توات خاضعة لسلطة عرب المعقل[5] قبل مجيء المرينيين أي في حدود القرن السّابع الهجري (13م)، وقد ملك هؤلاء العرب قصور زناتة بالصّحراء مثل قصور السّوس[6] غرباً، ثمّ توات وتسابيت[7] شرقاً، وقد فرضوا عليهم الإتاوات الإتاوات والضّرائب[8]. وصارت خاضعة للدّولة المرينيّة منذ تأسيسها سنة 668هـ/1269م؛ كإقليم تابع لولاية سجلمّاسة[9] منذ سنة 714هـ/1314م، وجعل

---

[1]- الصّدّيق حاج أحمد، التّاريخ الثّقافي لإقليم توات(ق11- ق 14هـ)، أدرار: مديريّة الثّقافة، ط01- سنة 2003م، ص: 26 وما بعدها.

[2]- الونشريسي، المعيار المُعرب، ج02، ص: 227.

[3]-Echallier (J.C), Village désertés et Structures agraires anciennes du Touat, Gourara Algérien, Paris: AMG, S.D 1972, P:16.

[4]- إسماعيل العربي، الصّحراء الكبرى وشواطئها، ص ص: 216- 217.

[5]- **عرب المعقل:** ينتسبون إلى عرب اليمن، انتقلوا إلى المغرب رفقة الهلاليين، وموطنهم في بلاد المغرب مجاورين لبني عامر بن زغبة، المستقرّين بقبلة تلمسان شرقاً. وينتهون إلى البحر المحيط غرباً. وهم ثلاثة بطون: ذوي عبيد الله، وذوي منصور، وذوي حسّان. **ينظر:** ابن خلدون، كتاب العبر، ج06، ص: 69.

[6]- **السّوس:** منطقة واقعة وراء الأطلس، إلى جهة الجنوب المقابلة لبلاد حاحا؛ أي في أقصى إفريقيا. تبدأ غرباً من المحيط، وتنتهي جنوباً في رمال الصّحراء، وشمالاً في الأطلس عند حدود حاحا، وشرقاً عند نهر سوس. **ينظر:** الوزان، المصدر السّابق، ج01، ص: 113.

[7]- **تسابيت:** إقليم مأهول في صحراء نوميديا على بعد نحو 250ميلا شرق سجلمّاسة، و100 ميل من الأطلس. يضمّ أربعة قصور والعدّيد من القرى في تخوم ليبيا، سكّانه فقراء جدّاً و بشرتهم سوداء. **ينظر:** الوزان، المصدر السّابق، ج01، ص 133.

[8]- مصطفى أبو ضيف، القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبني مرين، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، دع- سنة 1982م، ص: 235.

[9]- **سجلمّاسة:** مدينة أسّسها بنو مدرار الخوارج في أواسط القرن 02هـ، ويقال أنّها من تأسيس المسلمين المسلمين الفاتحين عام 40هـ، ثمّ وسّعها بنو مدرار، فكانت عاصمة لهم، إلى أن استولى عليها

المرينيّون الحكم الفعلي في القصور التّواتيّة في يد رؤساء قبائلها، واكتفت بفرض ضرائب سنويّة على الأسواق التّجاريّة، والأراضي الفلاحيّة، والصّناعات والحرف اليدويّة. وبذلك كانت توات مورداً اقتصاديا هامّاً للمرينيين[1].

بعد سقوط دولة بني مرين عام 869هـ/1464م، وجد أهل توات أنفسهم مضطرّين إلى البحث عن مخرج للمشاكل التّي كانت تعيشها بلادهم كاختلال الموازين التّي كانت تحتاج إلى ضبط شرعي، فوجدوا الحل لمشاكلهم في توسيع سلطة القُضاة، وجعل رؤساء القبائل أهلاً للحلّ والرّبط، فحكموا البلاد بنصوص شرعيّة ثابتة، كما كانت مُعظم أحكامهم مبنيّة على أحكام الأعراف والتّقاليد التّي تميّزت بها المنطقة[2]. وكان قاضي الجماعة في هذه الفترة المدروسة هو الشّيخ يحي بن يدير الدّي جاء إلى توات عام 845هـ/1441م[3]؛ حيث تولىّ إدارة الشّؤون العامّة للبلاد من مقرّه بتمنتيط بمساعدة جماعة المسلمين.

لقد خضعت توات للدّولة الوطّاسيّة وارثة المرينيين باعتبارها كانت إقليماً تابعاً للمرينيين من قبل، غير أنّ الوطّاسيين قليلاً ما كانوا يتدخّلون في شؤون توات، نظراً لكثرة مسؤوليّاتهم سواء في الدّاخل في مجابهة الفتن الدّاخلية، أو في مواجهة خطر النّصارى المحدق بسواحلهم[4]، وكان الوطّاسيّون إلى جانب المُعارضين للمغيلي منذ بداية حملته ضدّ اليهود لأنّ موقفه هذا كان يُعارض مصالحهم الاقتصادية في توات[5]، التّي كانت في هذه الفترة مركزاً تجارياً هاماً، ومعبراً استراتيجيّاً لقوافل التّجارة نحو السّودان الغربي، وحلقة وصل بين تجارة الجنوب وأوربّا بفضل موانئ تلمسان، وقد كان يهود توات وتلمسان هم المحرّك الأساسي لهذه المبادلات التّجاريّة[6].

لقد برع التّواتيون في الميدان التّجاري نتيجة لموقعهم الجغرافي براعةً كبيرة؛ إذ كان لهم أحياء خاصّة بهم في مدن السّودان الغربي، وكان لهم وُكلاء تجاريين في كلّ مراكز ومعابر التّجارة الشّهيرة بالقارّة، كما كانت لتجارة القوافل التواتيّة أهمّية اقتصادية كُبرى لإمارات الغرب الإفريقي ووسطه[7] بعدما انتقل خطّ التّجارة إليهم منذ القرن الثّامن الهجري (14م)، حيث أهمِل الطّريق القديم والدّي

الفاطميّون. وهي مركز تجاري هام في طريق القوافل المتّجرة في السّودان. وخرّبت قبيل قيام السّعديين.
ينظر: الوزان، المصدر السّابق، ج02، هامش ص: 125.

1- عبد الحميد بكري، المرجع السّابق، ص: 27.

2- أحمد الحمدي، محمد بن عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكرية بتوات، ص: 50 وما بعدها.

3- **ابن** عبد الرّحيم، المصدر السابق، ص: 31.

4- عبد الكريم كريّم، المرجع السّابق، ص: 06 وما بعدها.

5- أحمد الحمدي، محمّد بن عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكريّة بتوات، ص ص: 55- 56.

6- Jacob Oilil, Les Juifs au Sahara(Le Touat au Moyen Age), Paris : Edition (CNRS Histoire) -1994, PP :50-51.

7- عبد القادر زبايدية، الشّيخ محمّد بن عبد الكريم المغيلي جهوده و شهرته خارج الجزائر، من أعمال المهرجان الثقافي الأول للتعريف بمنطقة أدرار (13- 14 شعبان/03- 04 ماي1985م)، الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، دع- سنة 1988م، ص: 80.

كان ممتدّاً من ناحية بلاد السّوس إلى ولاتة[1] لإغارة الأعراب على القوافل التّجاريّة التّي كانت تسلكه[2].وكان امتناع التّجّار التواتيين من التّعامل مع بعض مناطق السّودان الغربي يُؤدّي في كثير من الأحيان إلى خلق أزمات اقتصادية حقيقيّة لها، الشّيء الذّي دفع أمير مملكة بورنو[3] في سنة 843هـ/1440م إلى مراسلة عُلماء توات يشكو لهم فيها أوضاع بلاده المزرية، ويترجّاهم في العمل على حثّ التّجّار التواتيين للمُتاجرة في بلاده[4]. ومن المدن التجاريّة الهامّة بإقليم تـوات في هذه الفترة مدينة تمنتيـط، التّي"اجتمع فيها العلم والعمارة، والولاية، والدّيانة،
والرّياسة، وانتصبت بها الأسواق والصّنائع، والتجارات والبضائع"[5]، وكانت منطقة قُصور بودة[6] مخزناً كبيراً للبضائع بإقليم توات، تستقبلها من أسواق أوربيّة أوربيّة عن طريق تلمسان وتمنتيط ثمّ توجّهها نحو بلاد السّودان الغربي عبر ولاّتة. ومع ضخامة النّشاط التّجاري الذّي عُرف به التّواتيون اضطرّوا لصكّ عملة خاصّة بهم، فوضعوا المثقال الذّهبي، وهو يُقابل أربع غرامات ونصف من الذّهب[7]، وكانت مدينة تمنتيط هي دار ضرب السّكّة[8].

يضمّ المُجتمع التّواتي في تركيبته البشريّة: البربر والعرب واليهود والحراثين أو(الحراطين)، والعبيد، أمّا البربر فهم السّكّان الأصليين للإقليم كباقي أقاليم بلاد المغرب الإسلامي، لذلك نجد أغلب تسميات القصور التواتية جاءت بلغتهم الزّناتيّة البربريّة.

---

[1]- **ولاتـة:** تقع حالياً في موريتانيا الشرقية، كانت مملكة صغيرة من ممالك السود، تتكون من ثلاث قرى صغيرة ، تبدأ جنوب نون على نحو 300ميل، و حوالي 500 ميل في شمال تنبكتو، و حوالي 100ميل من المحيط الأطلسي. **ينظر:** إسماعيل العربي، تاريخ الرّحلة والاستكشاف في البر والبحر، الجزائر: المؤسسة الوطنيّة للكتاب، دع- سنة 1986م، ص: 174.

[2]- الأمين عوض الله، تجارة القوافل بين المغرب والسّودان الغربي وآثارها الحضارية حتى نهاية القرن19م، مجلّة البحوث والدراسات العربية(تصدرها المنظّمة العربية للتّربية والثّقافة والعلوم)- عدد خاص بتجارة القوافل- بغداد، سنة 1984م، ص: 77.

[3]- **بورنو:** مملكة تتاخم وانقرة غرباً، و تمتدّ شرقاً على نحو 500 ميل، و تبعد بنحو 150 ميلا عن منبع النيجر، كما تتاخم جنوباً صحراء ساو، وشمالاً الفلوات المقابلة لبرقة، واستمرّ تواجد هذه المملكة إلى غاية سنة 1311هـ/1893م. **ينظر:** الوزان، المصدر السابق، ج02، ص: 175 وما بعدها.

[4]- Jacob Oilil, Op, Cit, P: 104.

[5]- ابن عبد الرحيم، المصدر السابق، ص: 14.

[6]- **بـودة:** هي أكبر قرى توات، وأرضها رمال وسباخ، وثمرها كثير ليس بطيّب. وهي أوّل المناطق المأهولة التّي تواجه الخارج من توات، وأهم قصورها المنصور وهو القصر الرئيسي بها، بالإضافة إلى قصر غرام علي، وزاوية سيدي حيدة، و قصر بن دراع، وهذه القصور متاخمة لمنطقة تيمي. **ينظر:** ابن بطوطة، المصدر السّابق، ج02، ص: 381./
A-G-P.Martin, Quatre Siècles D'histoire Marocaine (au Sahara de 1504 à 1902-au Maroc de 1894 à 1912), Paris: Librairie Filix Alcan-1923, P : 08.

[7]- عبد الحميد بكري، المرجع السّابق، ص: 38.

[8]- ابن عبد الكريم، المصدر السابق، ص: 157.

والعرب ينتمون في أصولهم إلى سبعة عشر قبيلة عربيّة هاجرت إلى توات بدءاً من سنة 501هـ/1117م، كانت أوّلها قبيلة أولاد عبد الجليل[1]، وقد كان لبعض القبائل العربية الكبيرة دور هامّ في مُجريات الأوضاع السّياسية والحضارية بإقليم توات كقبائل عرب المعقل، وقبيلة أولاد علي بن موسى[2]، والكنتيّون[3] الذّين استقرّوا عند قدومهم إلى توات بمواطن تُعرف "بعزى" بجانب قصور تمنتيط[4].

أمّ الحراثين فهم فئة في المُجتمع التواتي أصلهم من السّودان الغربي، وهم سمر الوُجوه، يأتون في مرتبة بعد الأشراف والمرابطين، وطبقة عوام السّكّان من البربر والعرب، ويأتي بعدهم العبيد، والمماليك، من السُّود والزّنوج[5]، ويُقال أنّهم أنّهم من المولّدين من الجواري وكلمة "حرثانيين" تعني أنّهم من صنف ثاني بعد الأحرار. وقد كان العبيد يجلبون من بلاد السودان الغربي، وكلّ من كان يقع في الأسر أو يختطف يباع إلى التجّار فيُؤتى بهم إلى بلاد المغرب، وكانت توات تموّل أسواق فيجيج بالعبيد والإماء، وكانوا يستخدمون في خدمة الأرض مع قساوة الطّبيعة التواتيّة الصّحراويّة، فيحفرون الفقّارات[6]ويغرسون الأرض، وباقي وباقي الأعمال الشّاقة[7].

أمّا اليهود فقد ارتبط تواجدهم بتوات كباقي مناطق بلاد المغرب الإسلامي، فقد وُجدوا في المنطقة قبل دُخول الإسلام إليها، واستوطنوا البلاد عبر عدّة هجرات تاريخيّة[8]، وقد تكاثر عددهم بعد توالي سقوط المدن الإسلامية في الأندلس حيث اضطهدهم الإسبان، كما اضطهد المُسلمين باعتبارهم جميعاً

1- محمّد باي بلعالم، التّعريف ببعض الجوانب من منطقة توات الجزائريّة وحضارتها، من أعمال المهرجان الثّقافي الأول للتعريف بمنطقة أدرار (13- 14 شعبان/03- 04 ماي1985م)، ص ص: 43-44.

2- **أولاد علي بن موسى:** من القبائل العربية، كان أوّل نزولهم بقصور بصلاح بتمنتيط، وهم ينتسبون إلى الأدارسة العلويين،"حالتهم وهمّتهم ومروءتهم تدل على نسبهم، فهم من أكابر الناس، دلّت على ذلك حالتهم وسيرتهم، فهم أهل سنّة ومروءة ورياسة، كان أول رؤسائهم الشيخ عمر بن عبد الرحمن، وآخرهم الشيخ بحم بن الحاج محمد. **ينظر:** ابن عبد الرحيم، المصدر السابق، ص ص: 23- 24.

3- **الكنتيون:** قبيلة عربية تتواجد في الصّحراء الكبرى من موريتانيا الحالية إلى النيجر إلى جنوب الجزائر، ينتسبون إلى عقبة بن نافع الفهري، لها عدّة بطون أهمّها: أولاد الوافي، أولاد سيدي بوبكر، وبدورها تنقسم إلى أفخاذ وعشائر. واسم كنتة نسبة إلى جد القبيلة لأمّها محمد بن زم من قبيلة إيدوكال التارقية. **ينظر:** بهيّة بن عبد المومن، الحياة الاجتماعية بإقليم توات خلال القرنين18و19م، مذكّرة ماجستير في التّاريخ والحضارة الإسلاميّة، بإشراف: د.محمد بن معمر(نوقشت بكلّية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية- جامعة وهران، الموسم الجامعي: 2005-2006م)، ص: 38.

4- محمد حوتية، المرجع السّابق، ص: 18.

5- عبد العزيز بن عبد الله، المرجع السابق، ج1، ص: 86.

6- **الفقاقير:** هي قنوات جوفية أو آبار متّصلة فيما بينها تنقل الماء من المناطق المُرتفعة إلى المناطق المُنخفضة، وتتفرّق بين القُصور والواحات. **ينظر:** إسماعيل العربي، الصّحراء الكبرى وشواطئها، ص: 22.

7- فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب وديوان المطبوعات الجامعيّة، دع- سنة 1977م، ص ص: 34- 35.

8- عطا علي ريّة، المرجع السّابق، ص: 23 وما بعدها. / Jacob Oilil, Op, Cit, PP : 14-15

خارجين عن الدّيانة المسيحيّة، فكانت موجات الهجرات من الأندلس باتّجاه سواحل المغرب الإسلامي، واستقرّوا في سائر البلاد من الشّمال إلى تُخوم الصّحراء واستوطنوا بالأخصّ في المراكز التّجاريّة التّي تمرّ منها أو تنتهي إليها قوافل التّجارة[1].

ويذهب المستشرق إيشاليي(Echallier -J.C) بالقول أنّ أغلب يهود توات ذوي أصول بربريّة، اعتنقت الدّيانة اليهوديّة دون تعلّم اللّغة العبريّة، كما ينفي تواجدهم الكبير في إقليم توات[2]، ويفسّر قوله الأوّل بأنّ معظم الوثائق المخطوطة التّي وُجدت بقصور توات إنّما هي مكتوبة بالعربيّة، وأنّ النّقوش الأثريّة هي مكتوبة باللّيبيّة البربريّة القديمة، وهذا رأي يبدو أنّه يحتاج إلى المزيد من البحث والتّمحيص، فكما نعلم أنّ اليهود عبر تاريخهم الطّويل كانوا يندمجون مع ثقافات الشّعوب التّي عاشوا إلى جوارها كما هو الحال مع يهود شبه الجزيرة العربية، الذّين كانوا يتكلّمون العربية، كما أنّ جُلّ المصادر التّاريخيّة القديمة والحديثة تشير إلى الهجرات اليهودية بين حقبة تاريخية وأخرى إلى بلاد المغرب الإسلامي[3]. كما يبدو أنّ نفيه لتواجد اليهود الكبير في إقليم توات في العُصور الوُسطى هو بعيد عن الصّحّة، فقد أحصى المستشرق اليهودي يعقوب أوليل (Jacob Oilil) في كتابه"يهود الصّحراء، توات في العصور الوسطى" عدد المناطق السّكنية والقرى التي يقطنها اليهود بتوات قبل مجيء الشّيخ المغيلي إليها بحوالي ثلاثين قرية يهودية تبدأ من تبلكوزة[4] شمالاً إلى تاورير[5]جنوباً، وأكثر المناطق التواتية كثافة باليهود هي في وسط إقليم توات[6]، وبالأخص في تمنتيط والتّي كان بها لوحدها ما يفوق عن ثلاثمائة وستّين صائغاً يهوديّاً يُتاجرون في الذّهب والفِضّة[7].

وقد كان يهود توات يُشكّلون الفئة الغنيّة بين السّكّان بهذا الإقليم، كوّنت ثراءها الفاحش عن طريق المُعاملات الرّبوية والتّجارة غير المشروعة عن طريق استغلال الضّعفاء واحتكار السلع، فطغت وتجبّرت على الأهالي، وتحكّمت في رؤساء القبائل والقادة، وهيمنت على كلّ حياة القُصور التواتية، فنجد الرّحّالة الإيطالي"مالفانت الجنوي" الذّي زار المنطقة في سنة 851هـ/1447م أثناء رحلته في اكتشاف طريق الذّهب الآتي من السّودان الغربي يصفهم بقوله: "يتكاثر اليهود

---

[1]- محمد حجّي، المرجع السابق، ج01، ص: 267.

[2]- Echallier (J.C), Op, Cit, PP: 15-16.

[3] -Jacob Oilil, Op, Cit, PP :14- 15.

[4]- **تبلكوزة:** هي أهمّ قرى ناحية تينركوك من منطقة قورارة، وتمتدّ هذه النّاحية 50كم شرقي وادي السّاورة، وجنوبي العرق الكبير، وتضم حوالي 13 قصراً. **ينظر:** تقييد ما اشتمل عليه إقليم توات، المصدر السابق، ص: 04.

[5]- **تاورير:** حاليا هي قرية تقع بين سالي ورقان، وهي اسم بربري يعني الحجارة المستديرة. **ينظر:** محمّد باي بلعالم، الرحلة العلية، ج 01، ص: 22.

[6]-Jacob Oilil, Op, Cit, P: 140.

[7]- ابن عبد الرّحيم، المصدر السّابق، ص: 14.

هنا، وتسير حياتهم في سلم تحت ظلّ الرّؤساء الذّين يُدافع كلّ منهم عن أتباعه ولهذا يتمتّع اليهود بحياة سهلة وتسير التّجارة بواسطتهم، وهناك الكثير هنا يضعون ثقتهم فيهم..."[1].

ب- **بلاد السّودان الغربي وأوضاعها قبل انتقال المغيلي إليها:**

كان العرب أوّل من أطلق كلمة السّودان على الشّعوب التّي تسكن جنوب الصّحراء الكبرى،
وسمّوا بلادهم بلاد السّودان، واستوحوا هذه التّسمية من لون بشرتهم السّوداء[2]. ولفظ "السّودان" ينطبق بصفة عامّة على المنطقة الممتدّة من البحر الأحمر، والمحيط الهندي شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً[3]، وتنقسم بلاد السّودان إلى ثلاثة أقسام رئيسيّة[4]، تقتسمها أزيد من خمسة عشر مملكة وسلطنة إسلاميّة، وكان وكان على رأس كلّ مملكةٍ منها ملك مستقلّ[5]، وقد كان لها دور هام وبارز في عالم القارّة الإفريقيّة.

لقد انتشرت في القرن التّاسع الهجري(15م) في السّودان الغربي والتّكرور، عدّة إمارات وسلطنات، بلغت درجة عاليّة من الرّقي والتّقدّم، وقامت بينها وبين البلاد الإسلاميّة علاقات وصلات وطيدة[6]. وقد استطاع الإسلام التّدفّق إلى غرب غرب إفريقيا على نطاق واسع، منذ القرن الخامس الهجري(11م)، فكانت الثّقافة الإسلاميّة في غرب إفريقيا ذات صبغة مغربيّة في أرض سودانيّة، وكان فقهاؤهم مالكيّون في حياتهم، وتقاليدهم، وإنتاجهم الفكري[7]. وكان الإسلام هو الدّين الرّسمي لمعظم ممالك وسلطنات السّودان الغربي في هذا القرن، وكانت معظم توسّعات هذه الممالك تتمّ عن طريق الجهاد، ومحاربة الوثنيّين. ومن هذه الإمارات والممالك الإسلاميّة في بلاد السّودان الغربي نجد:

- **إمارات بلاد الهوسا:**

---

[1]- عبد القادر زبايدية، التلمساني محمد بن عبد الكريم المغيلي، ص: 211.

[2]- عبد القادر زبايدية، الحضارة العربيّة والتّأثير الأوربّي في إفريقيا الغربية جنوب الصّحراء -دراسات ونصوص- الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، دع- سنة 1985م، ص: 11.

[3]- عبد الفتّاح الغنيمي، حركة المد الإسلامي في غرب إفريقيا، القاهرة: مكتبة نهضة الشّرق، دع س، ص: 62.

[4]- **وهذه الأقسام هي:** السّودان الغربي، الذّي يشمل حوض السّنقال الآن وغينيا وبوركينافاسو، والنّيجر الأوسط. والسّودان الأوسط: الذّي يشمل المناطق المحيطة ببحيرة تشاد، والسّودان الشّرقي: ويشمل مناطق النيل وروافده وجنوب بلاد النّوبة. **ينظر:** عبد القادر زبايدية، الحضارة العربيّة والتّأثير الأوربّي في إفريقيا الغربية جنوب الصّحراء، ص: 11.

[5]- الوزّان، المصدر السّابق، ج01، ص: 33.

[6]- عبد الفتّاح الغنيمي، المرجع السّابق، ص: 62.

[7]- حسن أحمد محمود، الإسلام والثّقافة العربيّة في إفريقيا، القاهرة، دارالفكر العربي، دع- سنة1998م، ص: 207 وما بعدها.

إمارات الهوسا[1]تشمل ما يُعرف حالياً "بنيجيريا" الشّمالية، وجزءاً من جمهورية "النيجر"، كانت تقع في القرون الوسطى في المنطقة المحصورة بين سلطنتي "مالي"[2] و"سنغاي" غرباً، وسلطنة "البرنو" شرقاً، يحُدّها من الشّمال إقليم "أهير"[3]، والصّحراء الكُبرى، ومن الجنوب ما يُعرف اليوم بنيجيريا الجنوبية.

و"الهوسا" (أو الحُوصا) مُصطلح يُطلق على الذّين يتكلّمون بلغة الهوسا، ولذلك فليس هناك جنس يمكن أن يتسمّى بهذا الاسم؛ إذ أنّ (الهوسيين) لا ينحدرون من أصل واحد، بل جاء أغلبهم نتيجة امتزاج حدث بين جماعات قبليّة وعرقيّة كثيرة، أهمّها: السّودانيون أهل البلاد الأصليين، بعض قبائل البربر من التّوارق[4]، وجماعات من الزّنوج ببلاد أهير...، وكان استقرارهم الأوّل- شمال نيجيريا الحالية- حيث كوّنوا سبع إمارات صغيرة، وكانت هذه الشّعوب وثنيّة مع القرن الثّامن الهجري (14م)، وبدأ الإسلام يدخل إليها من الغرب، عن طريق بعض الفقهاء، كما كان للتّأثيرات الإسلاميّة من جهة الشّرق صدىً كبيراً في إسلامها، خاصّةً تلك الجهود التّي بذلها الشيخ المغيلي وطلبته[5].

كان لإمارات الهوسا دور هام لا يقلّ عن الدّور الذّي قامت به مراكز الحضارة الإسلاميّة الأخرى في غرب إفريقيا كتنبكتو[6]، وغاو[7]، وقد استفادت هذه هذه الإمارات من الظّروف السّيّاسيّة التّي كانت سائدة في السّودان الغربي، رغم أنّها كانت أرضاً ومسرحاً للصّراع الدّائر في تلك الأنحاء بين القوى العظمى،

---

[1]- **إمارات الهوسا هي:** دورة، كانو، رانو، زكزك، كشنة(كاتسينا)، زنفرة، غوبر. **ينظر:** آدم عبد الله الألوري، موجز تاريخ نيجيريا، ص: 126.

[2]- **مالي:** سلطنة تمتدّ على طول أحد فروع نهر النيجر على مسافة نحو 300 ميل، وهي تجاوز المملكة من الشّمال، و الصّحراء من الجنوب، وتجاورها في الغرب غابات وأحراش وحشيّة تمتدّ حتّى المحيط الأطلسي، وفي الشّرق تجاورها مملكة غاو. **ينظر:** إسماعيل العربي، تاريخ الرّحلة والاستكشاف في البر والبحر، ص ص: 176- 177.

[3]- **أهير:** إقليم ذو مكانة إستراتيجية لموقعه الجغرافي في الصّحراء، فهو ملتقى شبكة من طرق القوافل، تمتدّ بين سكوتو وأقاليم النّيجر جنوباً، وتوات وغات وغدامس وملاّحات بلمية من الشّمال والشّرق، وسكّان هذا الإقليم من التّوارق والسّود. **ينظر:** إسماعيل العربي، الصّحراء الكبرى وشواطئها، ص: 192.

[4]- **التوارق:** أراضيهم حتّى شمال ورجلة وراء خطّ يسير من أولف إلى تنبكتو غرباً، وجنوباً حتّى منعطف نهر النّيجر وحدود نيجيريا الشّماليّة، يتمتّعون بخصائص أصيلة تميزهم عم جميع القبائل الصّحراويّة ولباسهم من القطن، وهم مُلثّمون وينقسمون إلى ثلاثة فروع، هي: توارق تاسيلي ناجّار، وأهجّار، وأدرار ينفوغاس. **ينظر:** إسماعيل العربي، الصّحراء الكبرى وشواطئها، ص: 174 وما بعدها.

[5]- حسن أحمد محمود، المرجع السّابق، ص ص: 197- 198.

[6]- **تنبكتو:** اسم هذه المملكة حديث، و تنبكتو اسم مدينة بناها ملك يُدعى منسي سليمان عام 610هـ، على بعد نحو 12 ميلاً عن أحد فروع النّيجر. **ينظر:** الوزّان، المصدر السّابق، ج02، ص: 165.

[7]- **غاو:** مدينة كبيرة، لا يحيط بها سور، تبعد من تنبكتو بنحو 450 ميلاً، وهي أكثر تحضّراً منها، وسكّانها من التّجّار الأثريّاء، ويقصدها عدد كبير من السّود الذّين يحملون معهم كمّيات كبيرة من الذّهب الخالص، ليشتروا بها المنتجات المغربيّة، والأوربيّة. ينظر: إسماعيل العربي، تاريخ الرّحلة والاستكشاف في البر والبحر، ص: 180.

كالسّنغاي وبرنو، من أجل إخضاعها. كما استفادت كثيراً من مملكة مالي التّي كانت تسعى إلى إرسال العُلماء والفقهاء إلى إمارات الهوسا من أجل فرض تقارب روحي بينهما[1]. وقد عُرف شعب الهوسا بممارسة الزّراعة والتّجارة، بالإضافة إلى مهاراتهم في صناعة النّسيج، والصّباغة ودبغ الجلود، وكانت معظم معاملاتهم التّجارية تتمّ مع تجّار البربر من الشّمال الذّين كانوا يفدون إلى كبريات مدنهم، كما عُرفوا بمسالمتهم واشتغالهم فقط بالنّشاط الاقتصادي، الشّيء الذّي جعل بلادهم تحت أطماع الممالك والسّلطنات المجاورة[2].

لقد عرف القرن التّاسع الهجري(15م) حركة إصلاح لا مثيل لها، قام بها بعض الأمراء والسّلاطين في إمارات الهوسا، وعلى رأسهم أمير كانو، عبد الله محمّد بن يعقوب، الشّهير بمحمّد رنفا[3]، والذّي كان رجلاً متديّناً ملتزماً بأمور الشّريعة الإسلامية، حاول خلق مدينة إسلاميّة فاضلة في بلاد الهوسا؛ حيث كان على اتّصال كبير ودائم بالعُلماء[4]. وكان من أهمّ أعماله بناء القصور، والحصون، والحصون، والأسوار، وتجدّيد بناء المساجد؛ حتّى أنّه وسّع رحاب جامعها فأصبح يضمّ نحو خمسة آلاف مصلٍّ[5].

- **مملكة السّنغاي:**

يرجع تاريخ تأسيس هذه المملكة إلى القرن السّابع الميلادي، بعد نزوح بعض قبائل البربر إلى ضفّة النّيجر الأوسط، واختلاطهم بقبيلة "سنغاي" القاطنة بها. حيث بدأت بوادر الدّولة الجديدة في الظّهور، والتّي يمثّل القرن الخامس الهجري(11م) نقطة تحوّل في تاريخها؛ إذ وصلها المدّ الإسلامي المتدفّق من المغرب الإسلامي، وكانت غاو-عاصمتهم الأولى- والبلاد التّابعة لها تشكّل جزءاً من سلطنة مالي، عندما تحرّك زعماء سنغاي، واستردّوا استقلالهم منتهزين فرصة الضّعف الذّي أخذ يظهر في تلك السّلطنة منذ ذلك الوقت[6]. وقد استطاعت التّحرّر منها في عهد "سني علي" (866-895هـ/1464-1493م)، الذّي يُعدّ المؤسّس الحقيقي لمملكة السّنغاي، حيث كوّن جيشاً كبيراً سار به إلى الغرب، واستولى على مدينة تنبكتو سنة 870هـ/1468م، وغيرها من الممالك الصّغيرة والمُدن، وتقدّم شرقا فهاجم بعض إمارات الهوسا وأخضع بعضها، كما استطاع إخضاع ما تبقى من دولة مالي، واتّجه شمالاً حتّى مواطن التّوارق[7].

---

[1]- عبد الفتاح الغنيمي، المرجع السّابق، ص: 151.

[2]- إسماعيل العربي، الصّحراء الكبرى وشواطئها، ص: 324.

[3]- **محمّد رنفا:** هو مؤسّس الأسرة الرّنفاويّة التّي حكمت كانو ابتداءً سنة 828هـ/1425م، وبلغ عدد ملوكها تسعة، حكموا أزيد من قرن وأربعين سنة، وكان هو أولهم، وخلفت هذه الأسرة في الحكم الأسرة الألويّة ثمّ الفلانيّة. **ينظر:** آدم عبد الله الألوري، موجز تاريخ نيجيريا، ص ص: 80- 81.

[4]- الهادي المبروك الدّالي، التاريخ الحضاري لإفريقيا فيما وراء الصحراء(من نهاية القرن15إلى بداية القرن 18م)، طرابلس: مطابع الوحدة العربية، ط01- سنة 2000م، ص: 130.

[5]- آدم عبد الله الألوري، موجز تاريخ نيجيريا، ص: 82 .

[6]- حسن أحمد محمود، المرجع السّابق، ص: 192.

[7]- عبد الفتاح الغنيمي، المرجع السّابق، ص: 111.

لقد عرفت مملكة سنغاي أزهى عصورها عهد الأمير محمّد توري الذّي تولّى الحكم ابتداءً من سنة 895هـ/1493م؛ حيث أسّس أسرة حاكمة جديدة تعرف باسم "الأسقيا"[1]، بعدما أنهى حكم أسرة "آل سني" بثورة قام بها عليهم عقب وفاة سني علي مباشرة[2]؛ حيث كان ضابطاً عسكريّاً في جيشه، وعرفت فترة حكمه العديد من الإصلاحات، واتّخذت حركته مظهراً إسلامياً واضحًا نتيجة لعدّة عوامل، نذكر منها: اهتمامه الكبير بالشّؤون الدّينية من خلال مُراعاته للعُلماء وحرصه على الظّهور بينهم، وبترضيته لرعيّته[3]. وكذا قيامه بالحجّ إلى البيت الحرام سنة 900هـ/1495م، ولقاؤه بكبار العلماء في مصر والحجاز، ونفقاته الخاصّة على طلبة العلم والحجّاج من السّودانيين هناك، وجهاده الكبير الذّي قام به بغرض توسيع رقعة بلاده، ونشر الإسلام بين الوثنيين من جيرانه[4].

يُعطي لنا كتاب "أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي" قيمةً تاريخيّة هامّة لما كانت عليه أوضاع بلاد السّنغاي، وبلاد السّودان الغربي عامّة، وممّا جاء في المسألة السّابعة من جملة المسائل التّي تطرّق إليها الأسقيا محمد الأوّل في الاستفسار عنها، هي تلك الضّلالات والمناكر التّي استحكمت في شعوب هذه البلاد، منها انتشار الشّعوذة والسّحر، حيث أصبح"فيهم من يزعم أنّه يعلم شيئاً من الغيب بخطّ الرّمل ونحوه، أو بأحوال النّجوم أو بأخبار الجنّ، أو بشيء من أصوات الطّير أو حركاتها، ومنهم من يزعم أنّه يكتب لجلب المصالح كسعة الرّزق والمحبّة، وكهزم الأعداء في الحرب". ومن أنواع هذه الضّلالات أيضاً التّطفيف في المكاييل والموازين بالزّيادة والنّقصان، وغشّ الذّهب بالفضّة والنّحاس. وكان اختلاط النّساء بالرّجال في الأسواق والطّرقات، وظاهرة العري من أكبر المناكر التّي عرفتها تلك المجتمعات؛ حيث كانت بعض النّساء لا تستر شيئاً من عورتها مادامت بِكراً، ولو بلغت خمسين سنة حتّى تتزوّج، وحتّى لو كانت بنت السّلطان أو القاضي، وكانت هذه العادة مشهورة بينهم[5]. ويذكر ابن بطّوطة الذّي زار بلاد السّودان الغربي في أواسط القرن الثّامن الهجري، بعضاً ممّا استحسنه أو استقبحه من أخلاق سكّان تلك البلاد، ويقول: "هم أبعد النّاس عن الظّلم، وسلطانهم لا يُسامح أحداً في شيء منه، ومنها شمول الأمن في بلادهم، فلا يخاف المُسافر فيها، ولا المُقيم من سارق أو غاصب"، كما يروي لنا حكاية تدلّ على حرص بعض أهالي بلاد السّودان الغربي على تلقين أبنائهم تعاليم الدّين الإسلامي، كتحفيظهم إيّاهم للقرآن الكريم، والتّشدّد في ذلك؛ حيث يقول: "دخلت على أحد

---

[1]- **الأسقيا:** من أصل ساراكولي، فرّوا أمام الفتح المرابطي في القرن الحادي عشر الميلادي من جنوب موريتانيا الحاليّة(منطقة الحوض)، ثمّ تفرّقوا في جهات عديدة من السّودان الغربي على أنّ جلّهم استقرّ حول نهر النيجر واختلطوا بقبائله. **ينظر:** عبد القادر زبادية، مملكة سنقاي في عهد الأسيقيين-1493م..1591م- الجزائر: الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، دع س، هامش ص: 28.

[2]- جوان جوزيف، المرجع السّابق، ص: 85.

[3]- عبد القادر زبايدية، مملكة سنقاي في عهد الأسيقيين، ص ص: 33.

[4]- أبو بكر إسماعيل ميقا، المرجع السّابق، ص: 88 وما بعدها.

[5]- المغيلي، أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، ص ص: 62- 63.

القضاة يوم العيد، وأولاده مُقيّدون، فقلت له: ألا تُسرّحهم؟ فقال: لا أفعل حتّى يحفظوا القرآن"[1].

---

[1]- ابن بطّوطة، المصدر السابق، ج02، ص: 376.

اتّخذ المغيلي من توات مقرّاً دائماً له، وذلك منذ انتقاله إليها سنة 870هـ/1465م، فكانت مُنطلقاً لأسفاره ورحلته باتّجاه السّودان الغربي، وقد انتشر فيها صيته، وكثرت جماعته، وزاد أنصاره بها؛ حيث يذْكُر أنّه قال: "دخلنا توات فوجدناها ديار علم ومقرّ أكابر وأعلام، فانتفعنا بهم وانتفعوا بنا لولا ما ابتلينا به من محنة أخباث اليهود لعنهم الله، وقد حمدنا الله جلّ جلاله على أن أهلكهم على أيدينا"[1].

نستطيع تقسيم أعمال الدّعوة والإصلاح التّي قام بها المغيلي بإقليم توات إلى قسمين أساسيين، يتمثّل القسم الأوّل في موقفه من اليهود والذّي انتهى بمُحاربتهم، أمّا القسم الثّاني فيتمثّل في نشره للطّريقة القادريّة بإنشاء زاويته بمنطقة بوعلي وفي إصلاحه الدّيني المتمثّل في محاربته لأدعياء العلم والولاية من الملبّسين في الدّين والمتصوّفة المزيّفين.

أ- <u>قضيّة يهود توات:</u>

تتلخّص المحاور الأساسيّة التي دارت عليها قضيّة يهود توات وشغلت فكر المغيلي في أربع مسائل وإشكالات أساسيّة حاول الإجابة عليها في كتابيه"رسالة إلى كلّ مسلم ومسلمة"، و"عما يجب على المسلمين من اجتناب الكفّار.."[2]، وفي مناظراته ومراسلاته مع عُلماء عصره، وهي: هل تهدم بيع يهود توات أم لا؟ وما حكم أنصار اليهود ومُسانديهم(الغلايف)؟ وهل تجوز خِدمة المُسلمين لأهل الذّمّة خاصّة اليهود منهم؟ وهل يُلغى عقد ذمّة يهود توات، فتحِلّ دِماؤهم وأموالهم؟

1. <u>مسألة بناء بيع يهود توات:</u>

كان لبعض رُؤساء القبائل في مدينة تمنتيط أثره في تشجيع يهودها على بناء بيعة كبيرة لهم تجاوزت في ضخامتها تلك الحُدود التّي قد يُمكن للمسلمين أن يسمحوا لهم بها[3]، كما بنوا بيعاً أخرى في غيرها من واحات توات التّي يتواجدون فيها، حتّى بدا إقليم توات كأنّه مملكة يهوديّة لهم، وليس أرضاً إسلاميّة. وقد اعتبر المغيلي ذلك مساساً بالشّعور الإسلامي، وتطاولاً على كرامة المُسلمين الدّينيّة، فما كان منه إلاّ أن حمل على عاتقه مسؤوليّة مُقاومة ووضع حدّ لهذا التّطاول والاستعلاء اليهودي، فيُعيد اليهود إلى مكانهم الطبيعي كجالية يهوديّة في بلاد إسلاميّة[4]، حيث ظهرت عليه في ذلك حماسة وجرأة وإصرار إلى درجة

1- مولاي التّهامي، المرجع السّابق، ص: 41.

2- نسختان مصوّرتان عن هذين المخطوطين موجودتان بخزانة كوسام بأدرار، تقع الأولى في 17 ورقة، بخط مغربي صغير، تقع كل ورقة منها في 19 سطرا. وتقع الثانية في 42 ورقة، تمّ نسخها سنة 1208هـ على يد الناسخ محمد بن عبد الرحمن بن عمر، بخط مغربي كبير، تقع كل ورقة منها في 19 سطرا).

3- عبد القادر زبايدية، التلمساني محمد بن عبد الكريم المغيلي، ص: 212.

4- يحيى بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج02، ص: 147.

الاعتقاد بأنّ حركته اتجاه اليهود نابعة ليس فقط من موقف ديني شرعي، بل أيضاً من كراهية شخصيّة وحقد ذاتي على اليهود[1].

تُجهَل الأسباب التي جعلت المغيلي ينتظر مرور عدّة سنوات من قُدومه لتوات حتّى يُعلن عن حربه ضدّ اليهود، ويبدو أنّه كان يخشى أن يقع مع شيخه يحي بن يدير في خلاف كبير بسبب اليهود، والذّي يبدو أنّه كان مُتعاطفاً معهم؛ حيث لم يرد أنّه نقم عليهم أفعالهم، خاصّة وأنّه قاضي توات وصاحب الكلمة الأولى والأخيرة بها في تلك الفترة، والمغيلي لم يُقبِل على مناوأته لليهود إلاّ بعد وفاة شيخه. كما يبدو أنّ المغيلي قد استغلّ هذه الفترة في تكوين أنصارٍ له يكونون سنداً له في مُجابهة قوّة اليهود وأنصارهم، وكان يرى في فقهاء زمانه أنهم غير جديرين بأن يكونوا مثالاً وقدوة للمسلمين لسكوتهم على الباطل، وقلّة جرأتهم على تغيير المنكر؛ حيث كان يذكر"أنّ الأمر-في ذلك الزّمان- كان بيد أرباب الهوى لا بيد أرباب التّقوى"[2]، وهو بذلك يقصد العُلماء[3].

تزعّم الرّأي المُخالف للمغيلي في مسألة هدم البيع التّي أحدثها اليهود الشّيخ العصنوني[4] قاضي توات، وقد أنكر المغيلي عليه موقفه السّلبي المُعارض، وتشدّد في عتابه له إلى درجة أنّه نعته بالدّجّال وبالشّيطان[5]، ووصل الخلاف بين الشّيخين إلى مُراسلة عُلماء فاس، وتونس، وتلمسان[6] للاستفتاء من جهة، وكسب التّأييد والنّصرة من جهة أخرى، حيث انقسموا في هذه المسألة إلى قسمين رئيسيين:

---

[1]- فوزي سعد الله، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، الجزائر: شركة دار الأمّة، دع- سنة 1996م، ص: 61.

[2]- المغيلي، عما يجب على المسلمين من اجتناب الكفّار، و: 6ظ.

[3]- في هذا المعنى يقول المغيلي في بعض الأبيات المُتفرّقة من إحدى قصائده:

صِفَـةُ الجَهْلِ فِـي هَـذَا الزّمَان التّرْكُ لِلْحَقّ وَقِلّـةُ الأمَـانِ
وَالأمْرُ بِالمَعْرُوفِ عِنْدَهُم غَرِيبٌ وَاتّبَاعُ السّنّة عِنْدَهُـمْ صَعِيبُ
قُلُوبُهُـمْ قَاسِيَـةٌ وَغَافِلَـةٌ عُقُولُـهُمْ ذَاهِبَـة وَذَاهِلَـة
قُضَاتُهُمْ عَلَى الهَـوَاءِ وَالطّمَـعِ تُجّارُهُمْ عَلَى الكَذِبِ وَالبِدَعِ
قُرّاؤُهُمْ عَقَارِبُ إذَايَـةٍ لَيْسَ لَهُمْ دِينٌ وَلاَ هِدَايَـة

ينظر: مولاي التهامي، المرجع السابق، ص: 55.

[4]- **العصنوني(ت:927هـ/1521م):** هو عبد الله بن أبي بكر العصنوني، من الأسر العريقة في توات التّي توارثت العلم والقضاء منذ أيّام المرينيين، وهو فقيه متمكّن مارس التّدريس والإفتاء والقضاء بتوات بعد وفاة الشّيخ يحي بن يدير. **ينظر:** محمد حجي، المرجع السابق، ج02، ص: 631.

[5]- جاء في أحد أقوال المغيلي عن العصنوني:"قد خالف هذا الدّجّال نصّ كتاب الله ونصّ أحاديث رسول الله ρ، ونصوص العُلماء فضلّ عن سبيل الله ضلالاً بعيداً، وانقلب بطمعه وجهله على المُسلمين شيطاناً مريداً، فيا ليته لم تلده أمّه، وإذا ولدته يا ليته مات وليداً ". **ينظر:** المغيلي، عما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار، و: 15و.

[6]- التنبكتي، نيل الابتهاج، ج02، ص: 264.

- **القسم الأوّل:** يتزعّمه المغيلي، والذّي يقول بوُجوب هدم بيع اليهود، والتّي لا يرى إشكالاً أو خلافاً في هدمها"لأنّ أرض توات للمسلمين لا ملك لليهود فيها، ولا شبهة ملك، إنّما جاؤوا من بلاد أخرى فنزلوا بين المسلمين، فلا يحلّ لأحدٍ أن يمكنهم من بناء كنيسة فيها، ولو ملكوا أرضها قبل بنائها بشراء أو غيره، ولو أعطوا في ذلك ملك الأرض ذهباً..."[1]، لقوله ρ: «لاَ خِصَاءَ فِي الإِسْلاَمِ وَلاَ كَنِيسَةَ»[2]، وقد استفتى فقهاء عصره في هذه المسألة بإرساله إليهم كتابه"رسالة إلى كلّ مسلم ومسلمة". وبيان فتواه أنّ الأرض في رفع الكنائس والبيع ثلاثة أقسام[3]، القسم الأول منها هي أرض للمسلمين لم تكن لأهل الذمة الذين أرادوا بناء بيعة أو كنيسة فيها، فهذه ارض لا يمكن لأحد منهم أن يبني فيها بيعة ولا كنيسة، ولو ملكوا أرضها بشراء او غيره، ومثل هذه الأرض أرض توات[4]، "فأيّما بلاد اختطّها المسلمون فليس لأحد من أهل الذّمة أن يبنوا فيه بيعة، ولا يُباع فيه خمر، ولا يقتنى فيه خنزير، ولا يُضرب فيه بناقوس، وما كان قبل ذلك فحقّ على المُسلمين أن يُوفّوا لهم به"[5]. وللإمام أن يُقرّ في مثل هذه الأرض أهل الذّمّة ببذل الجزية، ولا يجوز له أن يُقرّهم على إحداث بيعة، أو كنيسة، أو خمر، أو ناقوس..، وإن شرط ذلك وعقد عليه الذّمّة كان العقد والشّرط فاسداً[6].

من العُلماء الذّين أجابوا عن مسألة بيع يهود توات، ووافق رأيهم ما قال به المغيلي في وُجوب هدمها نجد أحمد الونشريسي، وإبراهيم بن عبد الجبّار الفيجيجي، وأبو مهدي الماواسي، وابن غازي، وكذا السّنوسي والتّنسي..، وقد علّل الونشريسي فتواه على أنّ أرض توات بلاد إسلام باختطاط، فلا يحقّ لأهل الذّمّة إحداث معابد لهم عليها،"فالحقّ الأبلج الذّي لا شكّ فيه ولا محيد عنه أنّ البلاد التواتية وغيرها من قصور الصّحراء النّائية المسامية لتلول المغرب الأوسط المُختطّة وراء الرّمال المُلتهبة التّي لا تُنبت زرعاً ولا ضرعاً بلاد إسلام باختطاط، لا تتقرّر الملاعين اليهود- أبعدهم الله- فيها كنيسة إلاّ هُدمت..."[7]. أمّا إبراهيم بن عبد الجبّار الفيجيجي تلميذ الشّيخ المغيلي فإنّه لم يتعرّض إلى النّاحية الفقهية من المسألة بقدر اهتمامه بإدانة أهل تمنتيط، شيوخاً ورؤساء قبائل، وحتّى العامّة منهم، لمواقفهم المُخزية التّي ساندت اليهود، ووقفت ضدّ شيخه المغيلي، الذّي حاول تغيير واقع توات، وإرجاع الأمور إلى نِصابها بجعل الكلمة الأولى

---

[1]- المغيلي، عما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار، و: 14ظ.
[2]- أبو عبيد، المصدر السابق، ص: 105.
[3]- البلاد التّي تفرّق فيها أهل الذّمّة والعهد ثلاثة أقسام:أوّلها بلاد أنشأها المسلمون في الإسلام، وثانيها بلاد أنشئت قبل الإسلام فافتتحها المسلمون عنوة وملكوا أرضها، وثالثها بلاد أنشئت قبل الإسلام وفتحها المسلمون صلحاً. **ينظر:** ابن قيّم الجوزية(محمّد بن أبي بكر)(ت:751هـ/1350م)، أحكام أهل الذّمّة، تحقيق: صبحي الصّالح، دمشق: مطبعة الجامعة، ط01- سنة 1961م، ج01، ص: 669.
[4]- المغيلي، عما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار، و: 10ظ.
[5]- أبو عبيد، المصدر السابق، ص: 107.
[6]- ابن القيّم، المصدر السابق، ج02، ص: 672.
[7]- الونشريسي، المعيار المُعرب، ج 02، ص 232.

في يد المُسلمين[1]. وكان جواب فقيه فاس ومفتيها الماواسي[2] "أنّ منزلة توات وغيرها من قُصور الصّحراء هي كلّها ديار إسلام، فلا تنبغي المُسامحة بإقرار الكنائس فيها للكفار، وإن قال به جماعة من العلماء، إلاّ أن يكون ذلك شرطاً لهم في عقد جزيتهم، فيُفىّ لهم بما عُهد لهم في جزيتهم". فإذا كانت في شروط عقد ذمّة يهود توات إقرارهم على بناء بيع لهم كما جرى العمل بذلك في كثير من بلدان الإسلام فإنّ فُتيا العصنوني صحيحة "ويستحسن تقريره لموافقته للمشهور"[3].

أمّا ابن غازي فقد كتب على ظهر رسالة المغيلي في جوابه له: "هذا كتاب جليل، صدر عن نص عليل، وعلم بالصّواب كفيل، وصاحبه غريب في هذا الجيل، بيد انّه أطلق الكفر على التّضليل.."، ومراده بقوله: أطلق الكفر على التضليل، أن الشيخ المغيلي بنى قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الذِّينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا اليَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ، بَعْضُهُمُ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ، وَمَن يَّتَوَلَّهُم مِّنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمُ، إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ)[4]، في حكم التّكفير، وهو تضليل على رأي الشّيخ ابن غازي غازي لأنّ الكفر ضدّ الإيمان وهو التّكذيب[5]. وقد جاء جواب التّنسي[6] مُشابها لرأي الونشريسي، والماواسي في القول بعدم جواز بناء اليهود لبيعهم في أرض توات لكونها من اختطاط المسلمين، وعلّل سبب المنع في ذلك ووجوب الهدم لإظهار شرف الإسلام حتّى لا يظهر معه غيره. أمّا السّنوسي فقد أشاد بالفتوى التّي بعث بها الحافظ التّنسي في هذه المسألة، حيث جاء في قوله: "من عبيد الله محمد بن يوسف السّنوسي على الأخ الحبيب القائم بما اندرس في فساد الزّمان من فريضة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر(...) فقد بلغني أيها السّيد ما حملتكم عليه الغيرة الإيمانية والشّجاعة العلميّة من تغيير أحداث اليهود، أذلهم الله، كنيسة في بلاد الإسلام وحرصكم على هدمها، وتوقّف أهل تمنطيطة فيه من جهة من عارضكم فيه من أهل الأهواء فبعثتم إلينا مستنهضين همم العُلماء فيه، فلم أر

---

[1]- من الأشعار التّي أنشدها الفيجيجي في أهل تمنتيط وتوات:

أيَـا قَاطِنِي تُوَات اصْغُوا إِلَى قَوْلِـي ... َفقَدْ آنَ أَنْ أَبُوحَ بِالبَعْض وَالكُـلّ
أَ أَنْتُمْ عَلَى دِينِ النّبِـيّ مُحَمّـدٍ ... أَم القَوْم وَاليَهُودَ شَكَلٍ إِلَى شَكَـل
فَمَـا بَالكُمْ شَرّفْتُمُوهُـم عَلَيْكُـم ... والإسْلاَمُ أَوْلَى أنْ يُشرّف فِي الأَصْلِ
فَإن كَانَ هَذَا الرّأيُ رَأيَ فَقِيهكُـم ... فَمَـا الظَنّ بالسّفيه وَالنّاقِصِ العَقْل

ينظر: المهدي البوعبداللي، أضواء على تاريخ مدينة تمنتيط ودور الإمام المغيلي بها في قضيّة يهود توات، من أعمال المهرجان الثقافي الأول للتعريف بمنطقة أدرار، ص ص: 68- 69.

[2]- **الماواسي(ت:896هـ/1490م):** هو عيسى بن أحمد أبو مهدي الماواسي البطوي الفاسي، قال الشّيخ أحمد المنجور: كان أستاذا فقيهاً خطيباً مفتيا، أخذ العلوم عن شيوخ فاس وتلمسان، كالشيخ العبدوسي. **ينظر:** التنبكتي، نيل الابتهاج، ج01، ص 335.

[3]- الونشريسي، المعيار المُعرب، ج02، ص: 225.

[4]- سورة المائدة، الآية: 51.

[5]- ابن عسكر، المصدر السّابق، ص ص: 130-131.

[6]- **التنسي(ت:899هـ/1493م):** هو الفقيه المؤرّخ الأديب الشّاعر الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الجليل المزالي التلمساني. **ينظر:** الونشريسي، الوفيات، ص: 153.

من وفّق لإجابة المقصد وبذل وسعه في تحقيق الحق وشفاء الغلّة، ولم يلتفت لقوّة إيمانه، ونصوع إيقانه لما يُشير إليه الوهم الشّيطاني، من مُداهمة من يتّقي شوكته سوى الشّيخ القدوة الحافظ علم الأعلام أبي عبيد الله محمّد بن عبد الجليل التّنسي، أمتع الله به.."[1].

- **القسم الثّاني:** تزعّم الآراء التّي أقرّت بيع اليهود بتوات العصنوني، والذّي يقول بأنّ هؤلاء اليهود في غاية الذّلة والصّغار، وأنّهم لم يخرجوا عن عقد ذمتهم حتّى تهدم بيعهم ويُنكّل بهم، كما أنّ بيعهم هي بين ديارهم ولا تُلاصق ديار أي مسلم[2]، وذكر في الرّسالة التّي بعث بها إلى العُلماء أنّ المغيلي وولده عبد الجبّار شغّبا عليه ممّا أثار الفتنة في البلاد. وهو يرى أن قضيّة يهود توات هي مُندرجة في البلد الذّي اختطّه المسلمون، ومعنى الاختطاط عنده هو البناء والتّأسيس، وشرط المأمور به أن يكون واجباً بالإجماع، وشرط التّغيير أن يكون المنهي عنه مُحرّماً بالإجماع، وهو بذلك يرى الصّواب في إقرار هذه البيع لما جرى العمل به في كثير من مدن المغرب، وهي ممّا اختطّه المُسلمون في صدر الإسلام وبعده[3].

ومن بين العلماء الذّين وافقوا العصنوني على رأيه في نازلة يهود توات نجد ابن زكري[4]، وابن أبي البركات[5]. فأمّا ابن زكري التلمساني فقال بأنّ هدمها لا يجوز بمقتضى الشّريعة المحمّديّة على رأي المحقّقين في الفقه المالكي في مسألة هدم الكنائس والبيع، وقال بأنّ "إثارة مثل هذه المسائل يدخل ضمن عدم التّحقيق في أصول المسائل العلميّة"، وأنّ المغيلي"أخذ بظواهر عموميات هي مخصوصة، وكذلك المطلقات من النّصوص، وهي مقيّدات". وأنّ منع إحداث أهل الذّمّة لمعابدهم لا يدلّ على وُجوب هدم المباني المستحدثة، وأنّهم لو أرادوا إحداث كنيسة في موضع استقرارهم حيث نزلوا فيه لساغ ذلك، ولا يسوغ منعهم على أيّ وجه فرضت من اختطاط أو إحياء إذ هم أهل ذمّة[6]. أمّا ابن أبي البركات فذكر بأنّ المنكر إذا ما أريد تغييره، يجب ألاّ يؤدّي إلى منكر اشدّ منه، وذلك خوف الفتنة والفساد،"فالعاقل إذا أراد إحياء سنّة وإماتة بدعة ينظر أوّلاً إلى العاقبة والمآل، دون ما يقتضيه له الحال، فكثير من الأمور يكون خطبها في الحال يسيراً ويصير في المآل عظيماً"، وهو بذلك يُفتي بعدم جواز هدمها، ويضع المُعترض على هذا

---

[1]- الونشريسي، المعيار المعرب، ج02، ص ص: 252- 253./ التنبكتي، نيل الابتهاج، ج02، ص ص:264-265.

[2]- عبد الحميد بكري، المرجع السّابق، ص: 30.

[3]- الونشريسي، المعيار المعرب، ج02، ص ص: 214- 215.

[4]- **ابن زكري(ت:899هـ/1493م):** هو أبو العبّاس احمد بن محمّد بن زكري المانوي التلمساني، وصفه الونشريسي في وفياته: بالفقيه المحصّل العالم المشارك المؤلّف النظام. **ينظر:** الونشريسي، الوفيات، ص: 153.

[5]- **ابن أبي البركات(ت:910هـ/1504م):** هو أبو زكرياء يحي بن عبد الله، وصفه الونشريسي في وفياته بصاحبنا الفقيه القاضي على الجماعة. **ينظر:** الونشريسي، الوفيات، ص: 154.

[6]- الونشريسي، المعيار المعرب، ج02، ص ص: 218- 219.

الحُكم في مرتبة العبد العاصي، إذ يقول: "هذا هو الحقّ الذّي لا محيد عنه، فيجب لأجل ذلك على من قلّده الله حُكماً من الأحكام الشّرعيّة، وجعل له نظراً على عباده أن يضرب على يد القائم، ولا يُمكّنه من هذا الغرض، فإنّ مفسدته أعظم من مصلحته فيما ظهر"[1].

2. **إلغاء عقد ذمّة يهود توات وحلّ دِمائهم وأموالهم:**

لقد رأى المغيلي منذ الوهلة الأولى من مجيئه إلى توات ذلك التّجاوز الخطير لليهود على الحدود الشّرعيّة، واستعلائهم الكبير على المُسلمين، حتّى أنهم أكثروا من التّعدّي والطّغيان والتّمرّد على الأحكام الشّرعيّة الخاصّة بأهل الذمّة بتولية[2] أرباب الشّوكة أو خدمة السّلطان[3]. كما أنّه رأى تساهلاً من المسلمين مع هؤلاء اليهود، حتّى كان الواحد منهم يُقرّب اليهوديّ منه فيستأمنه على نفسه وعياله، ويستعمله في أعماله وأمواله، ووصل من الأمر أنّه رأى بعض المُسلمين في جملة خَدمة اليهود في أعمالهم، وحتّى في بناء بِيعهم، وقد أنكر عليهم ذلك، فهو من باب التّعاون على الإثم والعُدوان، ومعصية كبيرة، وإهانة لمكانة رسول الله ρ، فإذا كان لا يجوز لمسلم أن يعين على بناء كنيسة بأرضه، فأحرى به ألاّ يُساعدهم على بنائها بيده، "فإنّ ذلك من الإعانة على الضّلال ومُباشرته، وإذلال المُسلم نفسه للكافر، مالا يرضى به إلاّ مُنافق أو فاسق"[4]. وقد كان القائمون على ضرب السّكّة من اليهود؛ حيث كانوا يغشون المسلمين، ويُطفّفون في وزن المثقال الذّهبي، كما كان لهم أنصاراً يُدافعون ويتنافسون، بل ويستميتون في الدّفاع عنهم يُسمّون بالغلائف[5]، فأسقطوا عنهم الجزية وسائر الأحكام كالزّيّ الخاصّ بهم[6]، وتقليدهم للمُسلمين في شتّى الأعمال،

---

[1]- المصدر نفسه، ج02، ص ص: 230-231.

[2]- يقول ابن القيّم "أنّه لمّا كانت التّولية شقيقة الولاية، كانت تولية أهل الذّمّة نوعا من توليهم، وقد حكم الله تعالى بأنّ من تولاهم فإنّه منهم، ولا يتم الإيمان إلاّ بالبراءة منهم. والولاية تنافي البراءة، فلا تجتمع البراءة والولاية أبداً، والولاية إعزاز، فلا تجتمع هي وإذلال الكفر أبداً. **ينظر:** ابن القيّم، المصدر السابق، ج01، ص: 242.

[3]- المغيلي، رسالة إلى كلّ مسلم ومسلمة، و: 1و.

[4]- استدلّ المغيلي على رأيه هذا على ما جاء في المُدوّنة: "أنّه لا يجوز لمسلم أن يكري داره أو يبيعها لمن يتّخذها بيعة أو كنيسة أو بيت نار، كان ذلك في مدينة أو قرية لأهل الذّمّة، ولا يكري لهم دابّة ليركبوها في أعيادهم، أو يبيع لهم شاة يعلم أنّهم يذبحونها لذلك". **ينظر:** المغيلي، رسالة إلى كلّ مسلم ومسلمة، و: 12و.

[5]- **الغلائف:** أو المهاجريّة هم يهود في الأصل اندمجوا مع المسلمين بدعوى أنّهم ينحدرون من آباء وأجداد اعتنقوا الإسلام. **ينظر:** المهدي البوعبداللي، المقال السابق، ص: 69./ يقول المغيلي أنّه واجب على هؤلاء الغلفاء إن كانوا مسلمين، التّوبة والاستغفار، والتبرؤ من الكفّار، بإلزامهم ما ألزمهم الله من الجزية. وأنّه إذا اعتبرناهم من أهل الذمّة فينبغي لولاّة الأمر من المسلمين، وكلّ من قدر على ذلك بفعل وقول أن يمنعهم ويردعهم على ما هم عليه من تعدٍّ، وسبيل ذلك في رأيه، أن يُؤمّر أهل الحلّ والرّبط عليهم من يضرب عليهم الجزية والصّغار، من غير ظلم ولا ضرر ولا إضرار. **ينظر:** المغيلي، رسالة إلى كلّ مسلم ومسلمة، و: 5ظ.

[6]- لم يُلزم أهل الذّمة بلبس غيار خاص بهم في عهد النّبي ρ، وإنّما كان ذلك في عهد عمر بن الخطّاب (رضي الله عنه). **ينظر:** ابن القيم، المصدر السابق، ج01، ص: 236.

وقد استغلّ اليهود ذلك في إنماء ثروتهم، حتّى طغوا واستهزؤوا بالمسلمين وصاروا يسُبّون الفقهاء[1]، وكانت كلّ واحة وبيت يخضع لسيطرة أحدٍ من هؤلاء اليهود[2].

كان المغيلي يرى في يهود توات بألاّ ذمّة لهم، وهم كغيرهم من يهود بلاد المغرب، وكثير من مدن إفريقية وتلمسان، لأنّ الذّمّة الّتي ترفع السّيف عنهم في نظره هي الذّمّة الشّرعيّة، لا ذمّة الجاهليّة[3]، وهي كالتّي اشترطها نصارى الشّام على أنفسهم لعمر بن الخطّاب-رضي الله عنه-[4]، "وقد اختلف العُلماء في نقض عهدهم، وقتلهم، وسبيهم إذا أخلوا بواحدةٍ[5]، فكيف بيهود لم يأتوا ولا بواحدة، بل وتمرّدوا على الأحكام الشّرعيّة بسكنى البلاد السّائبة، والتّعلّق بأرباب الشّوكة، والتّغصّب بأموالهم على من يتسبّب من العلماء في إذلالهم، فهؤلاء ونحوهم لا خِلاف في نقض عهدهم وقتلهم وسبيهم (...) وكلّ يهوديّ تعلّق بخدمة سلطان ونحوه مناقض لشروط الذّمّة من الصّغار والذلّة"[6]، فقد قال رسول الله ρ: «إنَّا لاَ لاَ نَسْتَعِينُ بِمُشْرِكٍ»[7].

- ثورة المغيلي الأولى على اليهود:

بدأ المغيلي ثورته الأولى على اليهود سنة 882هـ/1477م، وكانت أولى خطوات هذه الثّورة هي هدم بيعهم الّتي أحدثوها في تمنتيط وغيرها من الواحات والقصور التّواتية، وكان وُصول جواب العُلماء المُوالين لرأيه، خاصّةً جواب التّنسي والسّنوسي هي الشّرارة الأولى الّتي زادت في حماسة وجرأته في حربه

[1]- المغيلي، عما يجب على المسلمين من اجتناب الكفّار، و: 1و-1ظ.
[2] -A-G-P.Martin, Quatre Siècles D'histoire Marocaine, P: 79.
[3]- المغيلي، رسالة إلى كلّ مسلم ومسلمة، و: 7و- 7ظ.

[4]- هي حوالي 15 شرطاً، وقد اعتمد عليها جميع عُلماء المذاهب السّنّية في الأحكام المُتعلقة بأهل الذّمّة، منها: ألاّ يُحدثوا كنيسة، ولا فيما حولها ديراً(...)، ولا يُجدّدوا ما خرب من كنائسهم، وألاّ يمنعوا المسلمين من أن ينزلوا بها، وألا يضربوا بنواقيسهم إلاّ ضربا خفيفا، وألاّ يُظهروا صليباً(...) ولا كتابا في سوق المسلمين، وألاّ يجاوروا المسلمين بالخنازير، ولا ببيع الخمور، وألا يظهروا شركا ولا يرغِّبوا في دينهم(...) وأن يلزموا زيّهم، ولا يتشبهوا بالمسلمين في لبس قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين، ولا فرق شعر(...) وأن يشدوا الزّنانير على أوساطهم(...)وألا يركبوا السروج، ولا يتخذوا السلاح..**ينظر:** ابن القيم، المصدر السابق، ج 01، ص 258 وما بعدها.
[5]- قسّم المغيلي عُقوبة تعدّي أهل الذّمّة من اليهود على حُدود العهد الذّي بينهم وبين المسلمين إلى قسمين: أهل صلح وأهل عُنوة، فأمّا أهل الصّلح فهم في عُقوبتهم على تعدّيهم بحسب ما اشترط عليهم من الحُدود الشّرعيّة، فلو شرط عليهم أنّهم إن أظهروا خمراً أو خنزيراً، فلا عهد لهم وقد حلّت دِماؤهم وأموالهم، فذلك شرط لازم لهم كما جاء في الشروط العمرية لنصارى الشّام. وأمّا أهل العُنوة فإنّ عليهم العُقوبة فقط كنقض عهد الذّمّي بالامتناع عن أداء الجزية، أو تمرّد على الأحكام الشّرعيّة، أو إكراه حُرّة مسلمة على الزّنا، ويُقتل ليكون عبرة ونكالاً لغيره، وكذلك ينتقض عهده، ويجب قتله إن تعرّض بالسّبّ للّه عزّ وجلّ أو أحد من ملائكته أو أحدٍ من أنبيائه. ويُؤدّب الذّميّ إن تزيّا بزيّ المُسلمين أو خرج عن معنى الصّغار، وكلما خرج الذّمّي عن حدّه عُوقب بحسب جُرمه وجهله وعمده. **ينظر:** المغيلي، عما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار، و: 14و- 14ظ.
[6]- المغيلي، رسالة إلى كلّ مسلم ومسلمة، و: 8و.
[7]- ابن القيّم، المصدر السابق، ج01، ص: 209.

على اليهود، حيث أمر المُناصرين له من أهالي توات بالاستعداد والتّجهّز بآلات الحرب، فقصدوا بيعهم، كما أمر بقتل من عارضهم دونها أو وقف في طريقهم، سواء من اليهود أو من المُدافعين عنهم[1]؛ حيث كان يقول: "ويل لأولياء اليهود، وهم الذّين ينصرونهم في تعدّي الحُدود (..أُولَئِكَ الذِّينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ، وَأُولَئِكَ الأَغْلاَلُ فِي أَعْنَاقِهِم، وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)[2]، ومُنشداً بعض الأبيات الشعريّة الحماسية[3].

هناك العديد من الرّوايات الشّعبية المحليّة التّي تعلّل سبب انتفاضة المغيلي الأولى على اليهود، والتّي عمل على إجلائهم من خلالها، منها أنّ أحد اليهود تعدّى على فتاةٍ مسلمة من أهالي توات، ومنها أيضاً: أنّه كان هناك يهودياً متنكّراً في زيّ إمامٍ مسلم طيلة أربعين سنة، أمّ المُسلمين في مسجد عمر بن يوسف بتمنتيط طيلة هذه المُدّة، وكان منافقاً يُظهر الإسلام ويبطن كفره، بلغ من كيده للإسلام والمسلمين، أن يرشّ المُصلّين بالبول في صلاة الفجر، وغيرها من الصّلوات، فاحتال المغيلي على إظهار كيده، ونفاقه في الدّين، فجعل قنديلاً في إناء مغلق وأتى به المسجد في صلاة الفجر، فما إن بدأ اليهودي يرشّ النّاس حتّى فتح المغيلي الإناء، وظهر الضّوء فوجد الرّش بولاً،
فأسرع اليهودي هارباً فتبعه الشّيخ حتّى لحق به عند القرارة من أرض سبع، فقتله[4].

ومهما يكن من أسباب ودوافع أدّت بالمغيلي إلى مُحاربة وإجلاء اليهود، فإنّه تمكّن من جمع أنصاره وأصحابه فخرّبوا بيعة تمنتيط وهدموها عن آخرها، كما هدموا البيع الموجودة في الواحات الأخرى[5]، كما نظم في ذلك عدّة قصائد في مدح النّبيّ ρ، وذمّ اليهود ومن ينصرهم، وجعل فيها حبّ النّبيّ ρ يُقابله بغض اليهود[6].

1- التنبكتي، نيل الابتهاج، ج02، ص: 265.

2- سورة الرّعد، الآية: 05.

3- يقول من هذه الأبيات:

بَرِئْتُ لِلرّبِّ الـوَدُود ... مَنْ قَرّبَ أَنْصَارَ اليَهُود
قَوْماً أَهَانُوا دِينَهُـمْ ... وَأَكْرَمُوا دِينَ اليَهُـود
يَكْفِي الفَتَى مِنْ شَينِهِمْ ... وَخُبْثِ أَصْلِ صُنْعِـهِم
أَنْ قَطَّعُوا مِنْ دِينِـهِم ... وَرَقَعُوا دِينَ اليَهُـود
يَا لَيْتَهُمْ لَوْ أَدْبَـرُوا ... وَاسْتَرْجَعُوا وَاسْتَغْفَرُوا

ينظر: المغيلي، رسالة إلى كلّ مسلم ومسلمة، و: 9و.

4- عبد الحميد بكري، المرجع السّابق، ص ص: 28-29./

Selka Abderrahman, Notice sur le Touat, Bulletin de la société de géographie d’Alger et du l’Afrique du Nord.3eme trimestre 20-11-1922, N : 90, P: 530.

5- التنبكتي، نيل الابتهاج، ج02، ص: 265.

6- جاء من هذه الأبيات:

حُبّ النّبي يَقْتَضِي بُغْضَ اليَهُود ... فَابْكِ عَلَى مَا قَدْ مَضَى وَلاَ تَعُود
كَيْفَ بِمَنْ قَرّبَ أَعْدَاءَ النّبِـيّ ... فِي القَبْرِ وِالحَشْرِ إِلىَ نَارِ الوُقُود
مَنْ ذَا الذّي يَشْفَع فِيهِ إِنْ دَنَتْ ... مِنْ وَجْهِهِ الذّي بِهِ أَرْضَى اليَهُود

ينظر: المغيلي، رسالة إلى كلّ مسلم ومسلمة، و: 3و.

في هذه الأثناء وقعت حادثة تمثّل صورة من صُور الاستعلاء الذّي كان عليه يهود توات، حيث كانوا يمرّون على المسلمين بدون تقديم التّحيّة والسّلام عليهم، ففي أحد المرّات كان الشّيخ المغيلي في ضيافة أحد أعيان قصر تاخفيفت[1]، فمرّ بجوارهم عدد من اليهود وأنصارهم ولم يقدّموا التّحيّة، بل تجاوزوا هذا الحدّ عندما تطاول منهم أحد شيوخ القبائل المُساندة لليهود برمي حفنة من الرّمال على مجلسهم[2]. وبعد هذه الأحداث والتّطوّرات وجد يهود توات أنفسهم مضطرّين إلى السّرعة في اختيار مصيرهم المحتوم والذّي هو بين الموت أو الفرار، ويبدو أنّهم كانوا أضعف وأجبن من أن يصدّوا إصرار وحماسة المسلمين بقيادة المغيلي الذّي كان"شديد الشّكيمة في الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر"[3]؛ حيث كان يُخاطب أنصاره قائلاً:"يجب على كلّ مؤمن أن يستحضر بغض كلّ كافرٍ لنبيّنا، وسيّدنا، ومولانا، وشفيعنا، ويستحضر عظيم عداوتهم لنا وطعنهم علينا في ديننا، وإنّ كلّ كافر منهم وليّ الشّيطان اللّعين العدوّ المبين (...) بل إنّ كلّ يهودي هو إبليس بعينه"[4]. فما كان من أغلبيّة اليهود إلاّ أن هلعوا وفزعوا لريح هذه الحملة المُناوئة لتواجدهم بتوات، فجعلوا اللّيل ستاراً لهروبهم وراء ظلمته للابتعاد عن المنطقة إلى حين، والنّجاة بأنفسهم[5].

بعد انتفاضة المغيلي الأولى على يهود توات، قرّر السّفر إلى فاس لاستقطاب التّأييد لقضيّته من السّلطة الوطّاسيّة، ولإطلاع عُلماء فاس على دسائس اليهود، وخُبثهم، وتنكّرهم للأحكام الشّرعيّة الخاصّة بهم في كنف المجتمع المسلم، ولكي يُوضّح أفكاره التي حوتها رسالته التّي بعث بها إلى العُلماء والفقهاء، ويُذكر أنّ المغيلي اصطحب في هذه الرّحلة ستّة من المماليك السّودانيين كانوا يحفظون المُدوّنة، ويبدو أنّ غرضه الأساسي من وراء هذه الرّحلة كان مناظرة العُلماء المُخالفين لرأيه في مسألة بيع يهود توات بحضرة السّلطان الشّيخ ابن أبي زكريّاء الوطّاسي؛ حيث تلقّاه العلماء خارج مدينة فاس للسّلام عليه والتّرحيب به، "فلمّا تمكّن بالجلوس بالفقهاء عند حضرة السّلطان قال لأحد المماليك: تكلّم مع الفقهاء في نازلة اليهود، فأنفوا الكلام مع المملوك وعادوا إلى ديارهم، فلمّا كان من الغد ركبوا إلى السلطان، وقالوا له: لأجل المُنافسة المركّبة في الجنس إن هذا الرّجل إنّما مُراده الظّهور والملك، وليس مراده الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر". لقد كان لهذه الوشاية وقع كبير في موقف السّلطان الوطّاسي من المغيلي حيث

---

[1]- **تاخفيفت:** يعتبر أقدم مركز يهودي في إقليم توات، وبجانبه تازولت، وهي أنقاض مركز يهودي بربري عتيق. **ينظر:** عبد العزيز بن عبد الله، المرجع السّابق، ص: 61.

[2]- A-G-P.Martin, A la Frontière du Maroc (Les Oisis Saharienne : Gourara- Touat-Tidikelt), Alger: Edition de l'imprimerie Algérienne, 1908, P: 128.

[3]- ابن عسكر، المصدر السابق، ص: 130.

[4]- المغيلي، رسالة إلى كلّ مسلم ومسلمة، و: 4ظ.

[5] - L.Boulga, Op, Cit, P: 07.

اتّهمه بالطّموح السّياسي، ومحاولة الوُصول إلى السّلطة لا الإصلاح، الشّيء الذّي أنكره الشّيخ المغيلي عن نفسه، ودافع عن موقفه وآرائه بشدّة[1].

بعد هذه الرّحلة التّي كُلّلت بالفشل في ظاهرها، أسّس المغيلي إمارة صغيرةً، خاصّة به تقع في النّاحية الشّرقية من توات، وعاصمتها بوعلي بعدما كانت تمنتيط عاصمة لهذا الإقليم، وتقوم أساسا على تطبيق مبادئ الشّريعة الإسلامية، والأحكام المُعيّنة بالشّرع، من الكتاب والسّنّة واجتهاد الصّحابة، والتابعين من السّلف الصّالح، لا على أهواء القضاة وأحكام العُرف التّي كانت مُضلّة في كثير من الأحيان، حيث كانت تخدم بدرجة أكبر رؤساء القبائل، والمُدافعين عن اليهود، وتهمّش الصّالح العام لأهالي الإقليم التواتي. وكان جهاز الشّرطة من أولى الأولويّات التّي سعى المغيلي إلى إقامتها؛ حيث عيّن عليه ابنه عبد الجبّار، وكان يضمّ في صفوفه أفراداً من خيرة أنصاره والمُوالين لحملته الأولى على اليهود، وكان غرضه الأساسي من إنشائه، هو حماية النظام الدّاخلي لإقليم توات، ببسط الأمن في كامل القصور التّابعة للإمارة الجديدة.

كما أصبح لإقليم توات بعد هذه التّطوّرات الجديدة قاضيان شرعيان، الأوّل في الجهة الشّرقيّة هو الشّيخ المغيلي، وقاضي ثاني في الجهة الغربية من الإقليم هو الشّيخ العصنوني، وكانا يقضيان في المسألة الواحدة، وحكم كلّ واحدٍ منهما مُغاير لحكم الآخر في كثير من الأحيان[2].

ولعلّ الإشكال المطروح هذه المرّة هو: إذا كان المغيلي قد رفض فكرة الطّموح السّياسي في مقابلته للسّلطان الوطّاسي في رحلته التّي قادته إلى فاس، ونفى بشدّة أن يكون عمله الإصلاحي بتوات يُخفي من ورائه أهدافاً سياسيّة، فلِم أقبل على إنشاء إمارته بعد عودته مباشرة إلى توات؟

يبدو أنّ المغيلي كان صادقاً إلى حدّ ما في نواياه، فكان لابدّ له من إكمال ما بدأ به في دعوته الإصلاحيّة في تغيير منكر اليهود، ووضع حدّ لتسلّطهم وتطاولهم على الإسلام والمسلمين بتوات، كما كان إنشاؤه للإمارة بدافع الحفاظ على الطّابع الإسلامي والشّخصية الإسلامية للأهالي؛ حيث
كان مركزها بزاويته التّي أسّسها بقصر بوعلي، كما أنّه لم يستغرق وقتاً طويلاً حتّى ارتحل إلى بلاد السّودان الغربـي للدّعوة والإصلاح[3]، وإلاّ كان ليبقى بتوات حتّى يهنأ بالحياة الجديدة بين

---

[1]- ابن عسكر، المصدر السّابق، ص: 131.

[2]- أحمد الحمدي، محمد بن عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكرية بتوات، ص: 116.

[3]- قبل مُغادرة المغيلي لإقليم توات كتب رسالة إستخلافيّة لابنه عبد الجبار كي ينوب عنه في تسيير شؤون الإمارة الجديدة، وممّا جاء في نصّها: "...قد علمتم ما كنتُ فيه من الجهاد في الكفرة، وأهل الفساد حتّى توليت بالولاية الشّرعيّة على جميع ناحية توات، وغيّرت فيها من المُنكرات ما لا يُحصى، ثمّ استخلفت ولدي محمّد عند سفري لعلمي أنّه أهل لذلك، إن وفّقه الله وأعانه، وقد أوصيته بتقوى الله في جميع أموره، وأكّدت عليه وعلى جميع إخوته أن تكون جميع أمورهم من قتالٍ وغيره على نُصرة دين الله.."[3]. **ينظر:** مبروك مقدّم، الشّيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وأثره الإصلاحي بإمارات وممالك

التّرف والسّلطة!

يصعُب وضع تاريخ محدّد لبداية هذه الرّحلة، والأرجح أنها كانت في السّنوات الخمس الأولى من بعد ثورته الأولى على اليهود، وقد دامت رحلته هذه أزيد من خمسة عشر سنة، حيث يذكر صاحب كتاب "أضواء على إقليم توات" أنّ عودة المغيلي من بلاد السّودان الغربي كان مع أوّل القرن العاشر الهجري، وفيها كانت ثورته الثانية على اليهود[1].

- <u>ثورة المغيلي الثّانية على اليهود:</u>

بعدما سافر المغيلي إلى بلاد السّودان الغربي قصد الدّعوة إلى الله عزّ وجلّ، ومُحاولة إصلاح القيم والأخلاق من شوائب البدع والخُرافات التّي استحكمت في كثير من شعوب تلك البلاد، وقد جاءه الخبر بمقتل ابنه عبد الجبّار بتوات من جهة اليهود، بينما كان هو موجوداً بكاغو[2]. وقد أثار ذلك في نفسيّته الحقد والغضب من جديد على اليهود وأنصارهم؛ حيث أنّه طلب من أمير كاغو الأسقيا محمد القبض على التواتيين المتواجدين ببلاده، غير أنّه تراجع عن ذلك، بعدما تدخّل الشّيخ أبو المحاسن محمود بن عمر، وكان من المقرّبين للأسقيا[3]. ويبدو أنّه ذهب للحجّ قبل عودته إلى توات، وفي طريقه بمصر التقى بالعلاّمة جلال الدّين السّيوطي للمرّة الثّانية، وعرض عليه خمسة آلاف حديث كان يحفظها المغيلي عن ظهر قلب[4].

عندما وصل المغيلي إلى توات وجد اليهود قد عادوا إلى البلاد، وكان الذّي سعى في إرجاعهم
هو الشّيخ عمر بن عبد الرّحمن[5]، وكأنّ شيئاً لم يكن؛ حيث عادوا إلى أماكنهم وصنائعهم بتمنتيط، وغيرها من الواحات والقصور، فقد كانوا أهل تجارة وصنائع كثيرة، وقد اقبل الشّيخ عمر على صنيعه هذا بعدما اشتكى إليه السّكان تضررهم من جرّاء تعطّل تجارتهم وحرفهم، والتّي كان يُشرف عليها اليهود، وقد استند في ردّهم على فتاوى القاضي العصنوني، والشّيخ ابن زكري

إفريقيا الغربيّة خلال القرن 8-9- 10هـ/15-16-17م، وهران: دار الغرب للنشر والتوزيع، ط01- سنة 2002م، ص: 151.

[1]- ابن عبد الكريم، المصدر السابق، ص: 158.

[2]- **كاغو:** مدينة عظيمة غير مسوّرة، بعيدة بنحو 400 ميل عن تنبكتو إلى الجنوب الشرقي، دورها قبيحة على العموم، إلاّ حيث يسكن الملك وحاشيته، وسكانها تجار أغنياء يتجوّلون دائماً في المنطقة بسلعهم. **ينظر:** الوزان، المصدر السابق، ج02، ص: 169.

[3]- التنبكتي، نيل الإبتهاج، ج 02، ص: 266.

[4]- المبروك الدّالي الهادي، المرجع السابق، ص: 206.

[5]- **عمر بن عبد الرحمن(ت:933هـ/1529م):** هو أوّل من ترأس قبيلة أولاد علي بن موسى ذات الأصل العربي بتمنتيط، عيّنه السعديون نقيباً على توات بعد حملته المناوئة للشيخ المغيلي، خلفه ابنه أحمد سنة 951هـ/1547م. **ينظر:** ابن عبد الكريم، المصدر السابق، ص ص: 160-161.

وغيرهما[1].

لقد صعّب تواطأ الدّولة الوطّاسيّة مع أعداء المغيلي من رؤساء قبائل، وشيوخ بارزين، في حربه على اليهود في هذه المرّة؛ فقد أمدّتهم بالأسلحة والمؤونة[2]، إضافة إلى اتّحاد بعض القبائل بتمنتيط في نُصرة اليهود، وقد كانت مُتنازعة قبل هذا العهد، وتولّت الزّعامة في هذا الحلف قبيلة أولاد علي بن موسى، حيث يُذكر أنّ "أهل تمنتيط على شهوة في الرّعاية-أي الزّعامة- التّي أرادها العرب، وأهلها يأبون ذلك لعُلوّ نسبهم في الأصل، ولكنّهم دار رياسة وشماخة، إن لم يملكوا فلا أقلّ من أن لا يملكهم أحد، فإذا امتنعوا وتصلّبوا وقع الصّلح، وبقيت كلمتهم بيدهم لا لغيرهم". ومن القبائل التّي ضمّها هذا الحلف قبيلة أولاد نسلام[3]، وقبيلتا أولاد الحاج، وأولاد ملوك"اللّتان لا تزالان أنصاراً لتمنتيط وأعواناً لهم، وهما قبيلتان من العرب، أمّا أولاد ملوك فهم أولوا قوّة وشجاعة ونجدة، وليس في عرب توات أقطع منهم، ولا أشدّ منهم بأساً، وأمّا أولاد الحاج فهم عُصبة، لكنّهم لا يقوون سطوة أولاد ملوك، لكنّهم بانضمامهم إليهم يستوي الفارس على الجواد..."[4]. في حين كان في صفّ المغيلي قبيلتا أولاد أمحمّد[5] والبرامكة[6]، وبدأ وبدأ يرفع من همم أنصاره بأن جعل لكلّ من يقتل يهوديّاً سبعة مثاقيل ذهبيّة[7]، وحثّهم على الجهاد، والاستشهاد في
سبيل رفع الحقّ، والتّخلّص من ظلم، وتحكّم اليهود[8].

بعدما تمكّن الشّيخ المغيلي من إعداد جيشه زحف به إلى قصور زاقلو[9]، وتماسخت، وتمالت لحمر[1]، وغيرها من القصور، قبل أن يصل به إلى تمنتيط؛

---

[1]- ابن عبد الكريم، المصدر السابق، ص ص: 157- 158.

[2]- أحمد الحمدي، محمد بن عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكرية بتوات، ص: 120.

[3]- **أولاد نسلام:** من قبائل سعيد رياح، وهم أهل نجدة ونخوة في تمنتيط، أوّلهم قصر أولاد ميمون، وآخرهم أولاد إسماعيل، وقبائلهم سبعة، وقصورهم كلّها خلت لم يبق إلاّ آثارها سوى قصر أولاد ميمون، وسكنت ذرّيتهم توقرت. **ينظر:** ابن عبد الرحيم، المصدر السابق، ص: 17.

[4]- المصدر نفسه، ص: 26.

[5]- **أولاد أمحمّد:** قبيلة عربية نزحت إلى إقليم توات في حدود منتصف القرن 07هـ/13م، مع عدّة قبائل أخرى كالخنافسة والمحارزة، وأولاد عطيّة..**ينظر:** محمد باي بلعالم، التعريف ببعض الجوانب من منطقة توات الجزائريّة وحضارتها، ص: 44.

[6]- **البرامكة:** قبيلة عربية شهدت عدّة هجرات عن موطنها، منها هجرتهم من بغداد في حدود سنة 659هـ/1260م، حيث نزلوا بجبال نفوسة بإقليم طرابلس من بلاد المغرب، استقرّ بعضهم بتوات في حدود سنة 702هـ/1309م، وتزامنت هجرتهم إلى توات مع هجرات أولاد سليم الهلاليين. **ينظر:**
A-G-P.Martin, A la Frontière du Maroc (Les Oisis Saharienne), P: 102.

[7]- التنبكتي، نيل الإبتهاج، ج02، ص: 265.

[8]- من كلام المغيلي الحماسي في هذا الباب قوله: "لا يتردّد في ضرب رقاب هؤلاء اليهود إلاّ دجّال من الدّجّالين الضّالين المُضلين(أُولَئِكَ الّذِينَ اشْتَرَوا الضّلاَلَةَ بِالهُدَى فَمَا رَبِحَت تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِين)(سورة البقرة، الآية:16)، والذّي نفسي بيده لقتل يهوديّ واحدٍ منهم خير وأعظم أجراً من غزوة في أرض المُشركين، فخُذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم، وانهبوا أموالهم واسبوا أولادهم ونساءهم في كلّ مكان...". **ينظر:** المغيلي، رسالة إلى كلّ مسلم ومسلمة، و: 8ظ.

[9]- **زاقلو:** من القرى الواقعة حاليّاً ببلديّة زاوية كنتة،ولاية أدرار. **ينظر:** محمد باي بلعالم، الرحلة العليّة إلى منطقة توات، ج01، ص: 21.

حيث قتل بها كلّ من وجده من اليهود، وعندما اقترب من تمنتيط خرج إليه الشّيخ عمر بن عبد الرّحمن في جيش كبير، والتقى الطّرفان حذو قصر أولاد إسماعيل الواقع في الجهة الشّرقيّة من تمنتيط؛ أين وقعت بينهما ملحمة عظيمة، مات فيها جمع غفير من كلا الطّرفين، وكان النّصر في النهاية للشيخ عمر بن عبد الرحمن، وكان وُقوع ذلك في حُدود سنة 902هـ/1496م. وبعد هذا الفشل الكبير الدّي مُني به المغيلي في حربه على اليهود، استقرّ به المقام في زاويته ببوعلي، إلى أن وافاه الأجل سنة 909هـ/1503م[2].

يبدو أنّ المغيلي في موقفه الدّي ظلّ ثابتاً ضدّ يهود توات، كان من أكبر روّاد النّزعة الأخلاقيّة التّجديديّة في الإسلام، في زمانه وفي البيئة التّي عاش فيها، وهي نزعة تهدف إلى إصلاح الأمّة من داخل ذات أبنائها[3]، فكان من المفروض أن تجد دعوته الإصلاحيّة في توات صدىً واستحساناً، ودعماً وتأييداً من ذوي الحلّ والعقد، خاصّة من جهة الفقهاء؛ لكنّ أغلبهم استنكروا عليه موقفه هذا حتّى من أقرب زملائه الشّيخ العصنوني، والدّي رافقه في التتلمذ بتوات على يد شيخها يحي ابن يدير التّدلسي.

كان لأصداء قضيّة يهود توات، وموقف المغيلي منها، ذي أبعاد بالغة الأثر على المستوى المكاني والزّماني القريب، وحتّى البعيد. فقد أدّى إجلاؤهم بعد الحملة الأولى عليهم إلى خلق أزمة اقتصاديّة في المنطقة؛ حيث كانت توات مركزاً تجاريّاً هامّاً، وحلقة وصل بين تجارة بلاد المغرب الإسلامي وأوربّا من جهة، وبلاد السّودان الغربي من جهة أخرى، وكان اليهود هم المُحرّك الأساسي لهذه التّجارة لطبيعة علاقاتهم الخارجيّة الجيّدة، وخبرتهم في السّمسرة، ونفوذهم الكبير في العديد من الإمارات والحُكومات. وبإجلائهم تعطّلت تجارة الدّهب الآتية من بلاد السّودان الغربي والمتّجهة نحو أوربّا عبر موانئ تلمسان[4] لمدّة حوالي عشرين سنة، وهي الفترة الممتدّة بين الثّورة الأولى عليهم والتّي كانت في سنة 882هـ/1477م والمنتهية بإجلائهم، إلى غاية مطلع القرن العاشر الهجري حيث عادوا وبقوّة بعد هزيمة المغيلي في حربه الثّانية عليهم.

كانت لدعوة المغيلي الإصلاحيّة بتوات، والمتمثّلة أساساً في مُحاربته لليهود الدّين خرجوا عن عقد ذمّتهم، سبباً في التّقارب الكبير الدّي جمع بين السّلطة الوطّاسيّة من جهة، وبين زعماء قبائل الإقليم التّواتي المُناهضين لدعوة المغيلي من جهة أُخرى، ممّا مهّد السّبيل لإخضاع كامل هذا الإقليم للنّفوذ الوطّاسي، والقضاء على أيّة حركة -قد تكون عِدائيّة- اتّجاه هذه الدّولة بالمنطقة، وحتّى تضمن الحفاظ على مصالحها الماليّة من ضرائب وإتاوات؛ إذ كان تُجّار توات

1- **تماسخت وتمالت لحمر:** من القصور الكبيرة التّابعة لقصور تمست، والواقعة في المنطقة الوُسطى من إقليم توات. **ينظر:** تقييد ما اشتمل عليه إقليم توات، المصدر السّابق، ص: 05.

2- ابن عبد الكريم، المصدر السّابق، ص: 158.

3- وفد دولة مالي، المقال السابق، ص: 35.

4- Jacob Oilil, Op, Cit, P: 51.

خاصّة اليهود منهم، يُمثّلون مورداً اقتصاديّاً هامّاً، ودائماً لجميع الدّول الّتي سبقت دولة الوطّاسيّين، وفي سبيل ذلك عيّنت الشّيخ عمر بن عبد الرّحمن نقيباً لها على توات، وسلطته كانت تمتدّ من تسابيت إلى تيدكلت، وقد استطاع هذا الأخير القضاء نهائيّاً على ما تبقّى من أنصار المغيلي في سنة 909هـ/1503م، حيث أقبل على تخريب وهتك قُصور قبيلة أولاد أمحمّد، الدّين كانوا من أكبر شيعة الشّيخ في حربه على اليهود[1].

كما أنّ حملة المغيلي الإصلاحيّة في إجلاء اليهود من توات، لقي استحساناً كبيراً في غيرها من المناطق سواء في الصّحراء، وحتّى في بلاد السّودان الغربي؛ حيث وقع التّضييق على اليهود، ومُنِعوا من الإقامة في بعض الجهات، وإذا كان تمركز الوطّاسيّين قضى عمليّاً على جميع النّزعات الإصلاحيّة الّتي قد تُضيّق على اليهود، فإنّ أفكار المغيلي ظلّ صداها يتردّد في أرجاء المغرب طوال عهد هذه الدّولة، فكان ابن خجّو[2] في الرّيف بشمال المغرب الأقصى، وعبد الله بن علي بن طاهر الحسني في تفيلالت[3]، وغيرهما من الدّعاة والمُصلحين يرون في اليهود رأي الشّيخ المغيلي[4]. وقد وقعت في عهد الأمير أبي حسّون الوطّاسي (ت:961هـ/1557م) حادثة احتدّ فيها الخلاف بين فقهاء سوس، عندما سمح هذا الأمير لليهود ببناء بيعة لهم في فناء الحيّ الدّي خصّصه لهم، كما سمح لهم باتّخاذ مقبرة خارج المدينة لبعد مقبرة اليهود القديمة بإفران[5]، وقد دافع الفقهاء الموالون للأمير ما استطاعوا تبريراً لعمله الدّي أثار حساسيّة ونزاعاً بين الأهالي، لكنّ خُصومهم كانوا أقوى وعزائمهم أشدّ، ويبدو أنّهم إلى جانب حججهم الّتي اعتمدوها قد استشهدوا بموقف المغيلي ضدّ اليهود، وبرأيه في بيعهم المستحدثة في أرض المُسلمين[6].

وفي إمارة تنبكتو ببلاد السّودان الغربي، أصدر الأسقيا محمّد الأوّل مرسوماً يقضي بتحريم بلاده على أيّ تواجد للجالية اليهوديّة، سواءً كانوا أفراداً كالتّجّار والحرفيّين، أو كجماعات تريد الاستقرار بأرضه، كما منع التّعامل معهم لأيّ

---

[1]- ابن عبد الكريم، المصدر السّابق، ص: 160.

[2]- **ابن خجّو(ت: 956هـ/1549م):** هو الفقيه المفتي أبو القاسم بن علي بن خجو الحساني. **ينظر:** ابن القاضي، المصدر السّابق، ص: 301.

[3]- **تفيلالت:** إقليم بالمغرب الأقصى يمتد على مسافة 20 ميلا على طول واد زيز من الشّمال إلى الجنوب، يشمل ما يقرب من 300 قصر بين كبير وصغير، فضلاً عن المداشر، أهمّها قصر تنجويت وتبعصامت والمأمون. **ينظر:** الوزّان، المصدر السّابق، ج02، ص ص: 125- 126.

[4]- محمد حجي، المرجع السّابق، ج01، ص: 270.

[5]- **إفران:** تقع ببلاد السّوس من المغرب الأقصى، وتضمّ نحو أربعة قصور بناها النوميديون بعيداً بعضها عن البعض بنحو ثلاثة أميال على مجرى صغير للماء. **ينظر:** الوزّان، المصدر السّابق، ج 02، ص: 117.

[6]- محمد حجّي، المرجع السّابق، ج01، ص:271.

سبب من الأسباب، ويبدو أنّ ذلك كان قبل رحلة المغيلي إلى بلاد السّودان الغربي؛ حيث تناقلت قوافل التّجارة أصداء معركته مع اليهود[1].

ب- الإصلاح الدّيني عند المغيلي (نشره للطّريقة القادريّة وموقفه من أدعياء الولاية والعلم):

انتشر التّصوّف في المغرب الإسلامي مع نهاية حكم المُوحّدين، وعرف توسّعا وانتشاراً في الصّحراء وبلاد السّودان الغربي في العُصور التّالية، وقد عزّز هذا الانتشار ذلك التّبادل التّجاري الهام الذّي عرفته المنطقة، إضافة إلى الاحتكاك الثّقافي بين حواضر المغرب الإسلامي خاصّةً تلمسان وفاس، وحوض النيجر في عهد الزّيّانيين والمرينيين ثمّ الوطّاسيين، ثمّ بعد ذلك على عهد حكّام الجزائر في العهد العُثماني[2].

لقد كان للزّوايا دور كبير في نشر الإسلام واللّغة العربيّة بعد الفتوحات الإسلاميّة الأولى نظراً لكثرة عددها، حيث كان يُنشئها رجال الطّرق الدّينية الصّوفية والفقهاء، كما اشتهر علماء توات ورجالها ببنائهم للزّوايا المُتعدّدة الخدمات والمهام، فهي تقوم بمهام العبادة والتّربية في آن واحد، وهذا ما عجّل بنشر الإسلام واللّغة العربيّة بين سكّان القُصور والقبائل غير العربيّة[3]. فقد كانت الزّوايا من المؤسّسات العلمية الهامّة في بلاد المغرب الإسلامي، فبالإضافة إلى كونها موضعاً لاجتماع المُتصوّفة للعبادة والذّكر وتلاوة القرآن الكريم، كان يقصدها بعض الطّلبة لتلقي العلم، كما كان يُسمح لهم أحياناً بالسّكن فيها، ولهذا كثرت الأحباس عليها لتقوم بوظيفتها على خير وجه[4].

كما كانت الزّوايا في القُصور والمُدن التّواتية تستمدّ مواردها الماليّة من الهبات والمنح التّي يُقدّمها أتباع كلّ زاوية، إضافة إلى المُساعدات التّي كان يتفضّل بها التّجّار المارّين بتوات والزوار للزّوايا، كما أنّها كانت تمتلك نصيباً كبيراً من ميّاه الفقاقير، وقد وُضعت لها زمامات - تقاييد خاصّة بالفقّارات- غرضها الأساسي الحفاظ على ممتلكات الزّاوية من سواقي وفقارات، بالإضافة إلى تقييد أسماء أصحاب السّواقي ونصيب كلّ واحد منها، كما هو الحال مع زمام

[1]- جاء في نص للرّحّالة الشّهير الحسن الوزّان الفاسي الذّي كان متواجداً بأرض السودان الغربي في حدود سنة 917هـ/1511م من أجل سفارة كلّف بها من قبل السلطان الوطّاسي إلى الأسقيا محمد الأوّل، يصف فيه إمارة تنبكتو بقوله: "وهذا الملك- يقصد الأسقيا محمّد- عدوّ لدود لليهود، لا يُريد أن يقطن أحد منهم في المدينة، وإذا علم أنّ تاجراً من بلاد البربر يخالطهم أو يتّجر معهم صادر أمواله". **ينظر:** الوزّان، المصدر السابق، ج02، ص: 167.

[2]- محمد حوتية، المرجع السّابق، ص: 154.

[3]- عبّاس عبد الله، الدور الحضاري لإقليم توات وتأثيراته الحضاريّة في بلاد السّودان الغربي بين القرنين 9و10هـ/15و16م، رسالة ماجستير في التّاريخ الوسيط، بإشراف د.بشّار قويدر(نوقشت بقسم التّاريخ، كلّية العلوم الإنسانية- جامعة الجزائر، الموسم الجامعي، 2000-2001م)، ص: 72.

[4]- كمال أبو مصطفى، المرجع السّابق، ص: 117.

فقارة أجدلاون[1]، وهو خاصّ بفقارات قصر أولاد وشّن- من قصور تيمي الواقع في قلب إقليم توات- وزاوية مولاي سليمان الواقعة بهذا القصر.

وتعتبر زاوية سيدي سليمان أوّل زاوية أنشئت بإقليم توات؛ حيث أسّسها الولي الصّالح سليمان بن علي الشّريف بن عمر بن أحمد الإدريسي، والذّي استقرّ به المقام بقصر أولاد وشّن في حدود سنة 605هـ/1208م[2]. ويُذكر أنّه كان بها مكتبة تحتوي على عدد كبير من المخطوطات في مُختلف أنواع العُلوم والمعارف، لم يبق منها إلاّ مُصحف كبير بخطّ مغربي قديم، وقد اندثرت هذه الكتب نتيجة لاقتسام الخزانة بين أولاد مولاي سليمان، وتوارث أبنائهم لها، كما كان للاستعمار وقعه في نهبها، وللعوامل الطّبيعيّة أثرها في اندثارها كذلك، لعدم حفظها في أماكن مناسبة[3]. ومن الزّوايا الشّهيرة بإقليم توات في القرن التّاسع الهجري (15م) زاوية الشّيخ المنياري، نسبة إلى مؤسّسها أبي يحي محمّد المنياري، والذّي ينتسب إلى قبيلة عربية معروفة بأرض التّلول -أحميّان- أسّس زاويته بتمنتيط بعدما نزلها عام 815هـ/1412م، وكان قاضياً على جميع توات. كانت زاويته مركز علم يحفل باستقبال المشايخ والطّلاّب، درس بها الشّيخ المغيلي عند أوّل نُزوله بتوات على يد الشّيخ يحي بن يدير[4].

يُرجع بعض الباحثين سبب كثرة انتشار الطّرقيّة في الصّحراء -خاصّةً في إقليم توات- إلى حكم عُزلتها وبعدها عن المعاهد العلميّة الشّهيرة في الشّمال، حتّى قيل أنّه لا تكاد توجد عائلة من الصّحراء لا ترتبط بطريقة أو تنتمي إلى مرابط من المرابطين الموجودين في كلّ مكان، وكان أهمّ هذه الطّرق المعروفة في الصّحراء هي القادريّة[5]، أقدم الطّرق الصّوفية وأوسعها انتشارا، والتّي ترجع في أصلها إلى مُؤسّسها عبد القادر الجيلاني الذّي عاش في فترة (470-561هـ/ 1077- 1166 م) في العراق، وينتسب أتباعه إلى مذهب الإمام مالك، ولهم أوراد وحلقات ذكر جماعيّة(الحضرة)، ولهم المسّبحة الكاملة (مائة حبّة)، ويستغرق تعبّدهم ساعات طويلة من اليوم[6].

والقادريّة مُتأثّرة إلى حدّ بعيد ببعض الأفكار الفلسفيّة الهنديّة، التّي من أهمّها عقيدة الفناء، ولكن فروعها في الصّحراء قد استطاعت بتأثير الشيوخ الذين

---

[1]- **زمام فقارة أجدلاون:** عبارة عن وثيقة مخطوطة، توجد نسخة أصليّة منها بخزانة كوسام، ولاية أدرار. وهي مكوّنة من 15 ورقة، مكتوبة بخطّ مغربي صغير، كلّ ورقة منها بها 25 سطرا.

[2]- Selka Abderrahman, Op, Cit, P: 534.

[3]- لقاء مع الشّيخ عزيزي عبد الله، مقدّم زاوية مولاي سليمان ببيته، بقصر أولاد وشّن، ولاية أدرار، بتاريخ: 20-01-2007م.

[4]- ابن عبد الرحيم، المصدر السّابق، ص: 30.

[5]- إسماعيل العربي، الصّحراء الكبرى وشواطئها، ص: 221.

[6]- محمّد النقيرة، انتشار الإسلام في إفريقيا ومناهضة الغرب له، الرّياض: دار المرّيخ، ط01- 1982م، ص: 159.

ابتعدوا بها عن فلسفة التّصوّف أن تتخلّص من الرّواسب الهنديّة، وتتكيّف بالمُحيط الصّحراوي البسيط الذّي لا يبحث عن التّعمّق والاستقصاء[1].

كان من أكبر شيوخ الطّريقة القادريّة بالمغرب الأوسط في القرن التّاسع الهجري (15م) الشّيخ عبد الرّحمن بن محمّد بن مخلوف الثّعالبي أستاذ المغيلي، والذّي خلّف مجموعة من الكُتب في التّصوّف "كالأنوار المُضيئة"، "الدّرّ الفائق في الأذكار والدّعوات"،"وهو ممّن اتّفق النّاس على صلاحه وإمامته، أثنى عليه جماعة من شيوخه بالعلم والدّين والصّلاح"[2]. وهناك رواية تاريخيّة مفادها أنّه هو من كلّف المغيلي بنشر الطّريقة القادريّة بتوات والسّودان الغربي؛ حيث يُعدّ من أوائل العُلماء الذّين أدخلوا هذه الطّريقة إلى هذه البلاد، كما تتّصل به سلسلة شيوخ الطّريقة، والتّي تفرّعت فيما بعد إلى طُرق أخرى، وقد ذكره الشّيخ المختار الكنتي (ت:1286هـ/1869م) في قصيدة سلسلة أشياخه في الطّريقة القادريّة والمُتّصلة به في هذين البيتين:

وَبِهِ إِلَى الشّيْخِ المَغِيلِي شَيْخُــهُ ... سَيْفُ الإِلَهِ عَلَى ذَوِي الطُّغْيَانِ
مُحْيِ رُسُوم الدّينِ بَعْدَ دُثُورِهَـا ... وَمُمِيتَ سَائِرَ خَارِجَ الأَدْيَـانِ[3]

أسّس المغيلي زاويته الشّهيرة بقصر بوعلي سنة 885هـ/1480م، وقد بدأ نشاطه التّعليمي والتّربوي بها[4]، فحياة الرّجل لم تكن كلّها مُقاتلة وحملات عسكريّة بتوات، لأنّ أحداث اليهود لم تدم سوى بضع سنوات، وهو قبل كلّ شيء رجل علم وثقافة ودين، وليس عسكريّاً. وقد استطاع أن يجمع من حوله طلبة العلم من مختلف النّواحي والجهات، خاصّة وأنّه وفد من تلمسان التّي اشتهرت بكبار علمائها ومشايخها، وقد كان للشّيخ المغيلي أتباع من تلامذته يُساعدونه في عمله الدّعوي والإصلاحي انطلاقاً من زاويته، وعلى نهج الطّريقة القادريّة، ولم يقتصر تكوينه للطّلاّب فقط على الأحرار من النّاس، بل عمد كذلك إلى تكوين طلاّب له من العبيد والمماليك، خاصّة ذوي الأصول السّودانية والذّين كان يتمّ اقتناؤهم غالباً من خلال نُزول بعض التّجّار بزاويته قصد الرّاحة، وربّما حتّى التّعلّم[5]، وقد اشتهر من هؤلاء المماليك الفقيه ميمون والذّي سافر معه في رحلته إلى فاس للقاء السّلطان الوطّاسي، ضمن مجموعة أخرى من طلاّبه[6].

---

[1]- إسماعيل العربي، الصّحراء الكبرى وشواطئها، ص: 221.

[2]- التنبكتي، نيل الإبتهاج، ج02، ص ص: 283- 284.

[3]- وفد دولة مالي، الشّيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، من أعمال المهرجان الثّقافي الأول للتعريف بمنطقة أدرار (13- 14 شعبان/03- 04 ماي 1985م)، ص: 33.

[4]- أحمد الحمدي، محمد بن عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكرية بتوات، ص: 70.

[5]- لقاء مع الأستاذ الصّدّيق حاج أحمد آل المغيلي، من أحفاد الشّيخ المغيلي، والقائمين على خزانته بالزّاوية، وأستاذ فقه اللغة بالجامعة الإفريقية- ولاية أدرار، يوم: 15-01-2007م.

[6]- ابن عسكر، المصدر السّابق، ص: 131.

إنّ لمكانة الشّيخ[1] عند السّالكين، والمندمجين في الطرق الصّوفية، وارتباطهم بالأولياء الصّالحين
أثرها الواضح في نشر الإسلام، والدّعوة إليه، فمن أهم إفرازات الارتباط بالشّيخ المربي، والطريقة الصّوفية تكوين ملكات الطّاعة، والرّقة، والأدب، والإحسان في نفسية المُريد فيكون بهذا مُرشداً وقُدوةً لغيره[2]، وقد استطاع المغيلي وهو شيخ طريقته، ومقدّم زاويته بتوات أن يستفيد من هذه النّقطة في حشد عدد لا بأس به من الأنصار، والمريدين في خدمة توجّهه الإصلاحي، وحتّى في الدّعوة والدّعاية إلى حربه على اليهود وأنصارهم.

تتلخّص أهمّ الأدوار الرّئيسية التّي قامت بها زاوية الشّيخ المغيلي في كونها كانت بالدّرجة الأولى مركزا للعبادة والتّعليم والتربية، وقد كانت تحتوي على مكتبة وخزانة كبيرة من الكتب والمخطوطات النّفيسة، والتّي لا يزال بعضها موجودا إلى حدّ السّاعة، وقد استطاعت في ظرف وجيز أن تنافس جميع المراكز والزّوايا التّي كانت قائمة بتوات آنذاك ، والتّي كانت تشترك معها في الدّور نفسه، وعلى رأسها زاوية الشّيخ المنياري. كما كانت مقرّاً لثاني أكبر دار للقضاء بتوات بعد مركز تمنتيط، والذّي كان يُشرف عليه الشّيخ العصنوني، وقد كانت تختصّ في الفصل في القضايا والخصومات والنّوازل التّي كانت تشغل الأفراد والعشائر المنتمية إلى الجهة الشّرقية من المجتمع الواحي التواتي، وكان الشّيخ المغيلي يُشرف بنفسه على جميع هذه القضايا، ملتزما بتطبيق الأحكام الشّرعية، التّي يراعى فيها دائما خدمة المصلحة العامّة.

لم يقتصر عمل زاوية المغيلي على الجانب التّربوي والتّعليمي الدّعوي، بل كان اهتمامها كذلك كبيراً بالجانب الاجتماعي على عادة جميع زوايا منطقة توات، حيث كانت مركزا لنزول المسافرين، وإيواء الفقراء وأبناء السّبيل، كما استطاعت أن توفّر الامن والاستقرار للقوافل التّجارية المارّة بها، خاصّة تلك الآتية من أسواق الجنوب من السّودان الغربي، والذّين كانوا ينزلون في مختلف واحات الإقليم التواتي للتّزوّد بالماء والغذاء وأخذ نصيب وافر من الرّاحة، مع العلم أنّ توات كانت تشكّل في هذه الفترة أهم ممرّ للقوافل التّجارية، نظرا لموقعها الإستراتيجي في وسط الصّحراء، ويذكر ابن بطّوطة أنّه في رحلته من تكدة إلى توات توجّب عليه حمل زاد سبعين ليلة، إذ لا يوجد الطّعام بينها وبين توات[3]. كما كانت زاوية المغيلي قاعدةً لإمارته الصّغيرة التّي أسّسها بالجهة

[1]- **الشّيخ عند الصّوفية:** هو الإنسان في علوم الشّريعة، والطريقة، والحقيقة، البالغ إلى حدّ التكميل فيها لعلمه بآفات النّفوس وأمراضها وأدوائها ومعرفته بأدوائها، والقيام بهداها إن استعدّت ووفقت لاهتدائها. **ينظر:** القاشاني(عبد الرزاق)(ت:730هـ/1329م)، اصطلاحات الصّوفية، تحقيق: عاصم إبراهيم الكيالي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط01- سنة 2005م، ص: 38.

[2]- عبد الله عباس، المرجع السّابق، ص ص: 113- 114.

[3]- ابن بطّوطة، المصدر السّابق، ج02، ص: 380.

الشّرقية من توات، ومنها كان يُدير شؤونها، كما كانت منطلقا لجيشه في حربه الأولى والثّانية على اليهود حتّى وصلت أخبار الزّاوية جهات عديدة من داخل وخارج الوطن كبلاد السّودان
الغربي والمغرب الأقصى، وحتّى المشرق العربي[1].

رغم استعمال المغيلي للعديد من عبارات وأوراد الصّوفية في مؤلّفاته، كطريقة دعائه بالتّوسّل بجاه النّبيّ ρ، كما جاء في دعائه للأسقيا محمّد الأوّل: "وفّقه الله تعالى ونصره نصراً عزيزاً، وفتح له فتحاً مبيناً بجاه سيّدنا محمّد ρ"[2]، وغيرها من اصطلاحات الصّوفية، إلاّ أنّه بقي مُتشبّثاً بالمنهج الإصلاحي السّنّي، فهو في تصوّفه يُركّز على تهذيب الأخلاق وإصلاحها، والدّعوة إلى تعاليم الدّين الصّحيحة الأصيلة، حُكّاماً ومحكومين. وهو يُدرك دور أولي الأمر في عمليّة الإصلاح لذلك نجده في كتاباته في السّياسة الشّرعيّة، وغيرها، يلجأ إلى نُصح العامّة من خلال نُصح الخاصّة، ويولي الدّور الأكبر في عمليّة الإصلاح إليهم، لأنّ بيدهم أمر المُسلمين، ثمّ من بعدهم العُلماء؛ حيث يقول في رسالته في الرّدّ على المُعتزلة[3]: "واجب على من قلّده الله أمور المُسلمين أن يردع أهل البدع بالعرض على التّوبة، والسّيف أجمعين حتّى لا تكون فتنة ويكون الدّين للّه على السّواء، فلا عُدوان إلاّ على الظّالمين، هذا هو الأمر اللاّزم والحُكم الجازم في أهل الأهواء والبِدع(...)خُصوصاً في هذا العصر"[4]. كما بقي مُعتمداً على المنهج العقلي، فدعا إلى استعمال المنطق لصقل وتهذيب الذّهن، واعتبره العلم المؤدّي إلى التّعبير عن الحقّ وتحقيقه، بالاستدلال على الأفكار والبرهنة عليها،"فليس هناك كتاب للبرهان من الكتب السّماوية مثل ما دعا القرآن إليه"[5].

كان المغيلي يُمثّل أصالة الفكر الصّوفي القادري، الذّي من صور كماله الزّهد عن الدّنيا وملذّاتها، وعدم الاكتفاء بالانزواء والعبادة، بل حتّى بالخروج إلى المُجتمع وإصلاح نفوس الغير، وإرشادهم إلى تعلّم مبادئ الدّين ومُحاربة الأهواء والبدع، فالتّصوّف الحقيقي في الإسلام هو تنقية للظّاهر والباطن من المخالفات الشّرعيّة، وتعمير للقلب بذكر الله تعالى، ومراقبته، وخشيته ورجائه والسّير في

1- عبد الحميد بكري، المرجع السّابق، ص: 55.

2- المغيلي، أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، ص: 21.

3- **المعتزلة:** فرقة من الفرق الإسلامية رئيسها الأوّل أبو حذيفة واصل بن عطاء الغزّال الأثلغ (80-131هـ)، ويسمّون أيضا بالقدريّة، والعدليّة. والمعتزلة عدّة طوائف منها: الواصليّة، الهذيلية، النظامية، البشرية، المعمرية، المردارية، الهشامية...، تقوم كلّ واحدة منها على مجموعة من القواعد، على رأسها القول بنفي صفات الله تعالى، والقول بالقدر، والقول بالمنزلة بين المنزلتين..**ينظر:** الشّهرستاني(أبو الفتح محمد عبد الكريم)(ولد:479هـ/1086م)، الملل والنّحل، بيروت: دار الفكر، ط02، سنة 2002م، ص: 34 وما بعدها.

4- المغيلي (محمد بن عبد الكريم)، رسالة الرّدّ على المعتزلة، نسخة مصوّرة بالمكتبة الخاصّة د. مبروك المصري، الجامعة الإفريقية، ولاية أدرار، عدد أوراقها 11 ورقة، 19 سطرا في كل ورقة منها، منسوخة بخطّ مغربي كبير)، و: 1و.

5- مبروك مقدّم، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي من خلال المصادر والوثائق التّاريخيّة، ص: 114.

العبادات، والأعمال على النّهج الشّرعي، طبق القرآن الكريم والسّنّة النّبويّة الشّريفة، وخلافاً للبدعة التّي يحظر الإسلام التّلبّس بها[1]، فكما كان يقول المتصوّف الشّهير أبو القاسم الجُنيد ابن محمّد الجنيد (ت297هـ): "من لم يحفظ القرآن، ولم يكتب الحديث لا يُقتدى به في هذا الأمر، لأنّ علمنا هذا مُقيّد بأصول الكتاب والسّنّة"[2]، أو كما قال الغزالي: "إنّ التّصوّف شيئان، في الصّدق مع الله تعالى، وحُسن المُعاملة مع النّاس (...)، والصّدق مع الله تعالى هو أن يفني العبد حُظوظ نفسه لأمره تعالى، وحُسن المُعاملة مع الخلق هو أن لا يفضل مراده على مرادهم ما دام مرادهم موافقاً للشّرع، لأنّ كلّ من رضي بمخالفة الشّرع، أو خالفه لا يكون صُوفيّاً، وإن ادّعى التّصوّف كان كذّاباً"[3].

لقد كان المغيلي أشعريّاً[4]، وهي العقيدة التّي كانت سائدةً في أغلب بلاد المغرب الأوسط، خلال القرن التّاسع الهجري (15م)، حيث كانت مؤلّفات السّنوسي في العقائد، وغيره، هي المصدر المحلّي لدراسة علم الكلام، ولقد اصطبغت بالصّبغة الصّوفيّة[5]. والدّارس لبعض مؤلّفات المغيلي يلاحظ جليّاً نوعيّة التّصوّف الأصيل الذّي كان عليه، كإشاراته إلى حقيقة التّوكّل؛ حيث كان يحثّ على ضرورة عمل الإنسان المسلم في هذه الدّنيا لمعاشه، بإتقان العمل ومُراعاة حدود الله في الحلال والحرام، ومصلحة المُسلمين جميعاً، ولآخرته بالعبادات، وسائر الطّاعات، التّي تُقرّب العبد من ربّه، استناداً لقوله عزّ وجلّ: (وَقُلِ اِعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالمُومِنُونَ، وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)[6]، مع التّوكّل على الله في كلّ ذلك "فكلّ شيء يستند إلى المشيئة، والمشيئة لا تستند إلى شيء، لأنّها حكم الأزل، وجلّ حكم الأزل أن يضاف إلى العلل، فمن حكمة الله سبحانه وتعالى أن جعل القرآن الكريم والسّنّة النّبويّة، وهما المصدران الأوّلان للتّشريع يجمعان سائر الأحكام والتّكاليف الشّرعيّة من نحو ترتيب الثّواب على الطاعة، والعقاب على الإضاعة"[7].

---

[1]- عمر عبد الله كامل، التّصوف بين الإفراط والتفريط، بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ط01- سنة 2001م، ص: 48.

[2]- المرجع نفسه، ص: 21.

[3]- الغزالي (أبو حامد)، رسالة خلاصة التّصانيف في التّصوّف، ضمن كتاب: مجموعة رسائل الإمام الغزالي، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 01- سنة 2006م، ص: 174.

[4]- **العقيدة الأشعريّة:** مذهب نسبة إلى علي بن إسماعيل بن إسحاق أبو الحسن الأشعري(260-324هـ/874-936م)، كان من الأئمّة المتكلّمين المجتهدين بلغت مصنّفاته حوالي 300كتاب، منها: اللّمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، الرّد على ابن الراوندي، الأسماء والأحكام..**ينظر:** خير الدين الزركلي، المرجع السابق، المجلد 04، ص: 263.

[5]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثّقافي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط01- سنة 1998م،ج02، ص: 92.

[6]- سورة التّوبة، الآية: 105.

[7]- المغيلي، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، و: 1و.

ذمّ الدّنيا والإعداد للآخرة من أهمّ النّقاط التّي يلتقي فيها تصوّف المغيلي[1] مع من سبقه في هذا
الباب، فمن أخلاق العُلماء الزّاهدين، والمُتصوّفة الحقيقيين، وسائر المُسلمين الصّادقين، أن ينظروا إلى الدّنيا بنظرة الاحتقار"فهي تُقبل إقبال الطّالب، وتدبر إدبار الهارب، وتصل وصال الملول، وتفارق فراق العجول، فخيرها يسير وعيشها قصير"، فقد روي عن النّبي ρ أنّه قال: "مَنْ أَشْرِبَ قَلْبُهُ حُبَّ الدُّنْيَا، وَرَكَنَ إِلَيْهَا، الْتَاطَ -أي تَعَلَّقَ- مِنْهَا بِشَغلٍ لاَ يفرُغ عَنَاه- أي مشقّته-، وَآمِلٍ لاَ يَبْلُغُ مُنْتَهَاه، وَحَرِيصٌ لاَ يُدْرِكُ مَدَاه"[2]. ولقد شبّه المغيلي هذه الدّنيا الفانية، وما بها من ملاهٍ وشهوات تصرف الإنسان عن إعداده للآخرة، بمثل قافلة سلطانيّة تسير في دار حربٍ ومهالك كثيرة، تحيط بها أنواع الشّهوات من كلّ جهة، وليس فيها سوى طريق واحدة للنّجاة، لا يعرفها إلاّ شخص واحد هو الأمير، الذّي يسير برفق حتّى لا يتيه من يتبعه ورأفةً منه بهم، ولكن رغم ذلك فقد افترقوا إلى ثلاثة فرق، فرقة أولى من القوم أدركت حقيقة تلك الشّهوات الزّائفة التّي تحيط بهم، فلم يُعيروها انتباههم، وتبعوا أميرهم فنجوا بغنائمهم، مثلهم مثل المؤمنين الصّادقين الذّين تبعوا رسولهم الكريم ففازوا بدار الآخرة، ونجوا من عذاب النّار المحفوف بشهوات الدّنيا. وفرقة ثانية "نظروا في الظّواهر بالأبصار لا بالاعتبار"، ففُتِنُوا بشهوات تلك الدّار والأرض، فاغترّوا بها، وتخلّفوا عن قافلة الأمير، وسكنوا تلك البلاد إلى إن جاءهم يوم عبوس، حُرقوا وهلكوا عن آخرهم، مثل هؤلاء مثل المغترين بحال الدّنيا، والغافلين عن الآخرة، رغم علمهم بحقيقتها، فنسوا الله فأنساهم أنفسهم فماتوا، وكان مأواهم النّار. أمّا الفرقة الثّالثة فهم من المُتخلّفين عن القافلة، وقد أدركوا خطر تلك الدّار بعدما غادرهم أميرهم، فقرّروا اللّحاق بالرّكب مُتتبّعين الطّرق السّهلة المملوءة بالأشجار والأنهار، فجاءهم يوم باغتهم فيهم أعداؤهم فأتوا على أغلبهم، ولم ينج سوى القليل منهم، مثلهم مثل أهل الأهواء الضّالّين عن صراط السّنّة النّبويّة بظلمات البدعة، فافترقوا بضعاً وسبعين فرقة،لم تنج منهم سوى فرقة واحدة عملت واتّبعت بهدي القرآن الكريم والسّنّة النّبويّة[3].

ومن الأمور التّي اهتمّ بها المغيلي في تصوّفه، وحتّى في إصلاحاته تلك العلاقة الأزليّة بين الخير والشّرّ "فالخير عنده لا يأتي إلاّ بخير، والشّرّ لا يأتي إلاّ بشرّ، كما أنّ البُرّ لا يأتي إلاّ ببُرّ، وإنّ الشّعير لا يأتي إلاّ بشعير"، و"أنّ الفرق

1- من أقوال المغيلي في ذمّه للدّنيا:

هِـيَ الدُّنْيَا غُرُورٌ فِـي غُرُورْ ... وَأَحْلاَمٌ تَمُرُّ مَعَ الدُّهُــور
فَمَنْ يَرْقَى لَهَا يَرْقَـى صَرِيعـاً ... وَيَرْقَى صَدْرُهُ بَعْض النّسُــور
فَطُوبَى لاِمْرِئٍ وَلّـى سَرِيعاً ... وَأَوْلَى نَفْسَهُ خَيْـرَ الأمُـور

ينظر: المغيلي، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، و: 7و.

2- الماوردي، أدب الدّنيا والدين، ص ص: 107- 108.*

3- المغيلي، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، و: 7ظ- 8و.

بين الخير والشرّ عسير، ولذلك ترى كثيراً من أهل العقل والتّدبير يُخطئون في كثير من الأمور، فالخير ما علمه الله خيراً، وإن أكرهتموه، والشرّ ما علمه شرّاً وإن اجتنبتموه".

وانطلاقاً من مبدأ الخير والشر، بالكشف عن ظاهر نفوس الخلق، وبواطنها، يُقسّم المغيلي النّاس إلى أربعة أصناف: "الأوّل ما ظاهره خير، وباطنه خير، كالجامع من الطّعام النّافع، والثّاني ما ظاهره شر، وباطنه شر، كإلقاء المرء نفسه على النّار، والثّالث ما ظاهره خير، وباطنه شرّ كملء البطن من الطّعام، وكثرة اللّهو والمنام، وأمّا الرّابع ما ظاهره شرّ، وباطنه خير، كالتّداوي بالحمية والحجامة"[1].

بدأ يظهر جليّاً ذلك التّحوّل الخطير في مسار المُتصوّفة، أو كما يطلق عليه بعض الباحثين المُعاصرين بالتّصوّف العملي، والذّي يقوم على المُبالغة في الاعتقاد في الشّيخ، وابتداع الحضرة، وأوراد الذّكر، والرّقص والكرامات[2]، على حساب التّصوّف النّظري- الأصيل- بدُخول العوام في التّيّار الصّوفي[3]، ويرجع هذا التّحوّل بالدّرجة الأولى إلى ضُعف الدّول أمام الانحلال الدّاخلي والخطر الخارجي. كما أدّت المُبالغة في الاعتقاد في الشّيخ، وانتشار الزّوايا، والأضرحة من جهة إلى نتيجتين هامّتين، أولاهما تبسيط المعرفة، والبحث في فروع المذهب المالكي بكثرة الشّروح والاختصارات للعديد من المُؤلّفات، وثانيتها غلق باب الاجتهاد، حيث نُقِل التّعليم إلى الزّوايا ممّا أدّى إلى منافستها للمدرسة، والجامع في نشر التّعليم، وفي كسب الأنصار، وبدل أن يلتفت النّاس حول العُلماء المتنوّرين في المدارس والمساجد أصبحوا يلتفّون في زاوية حول شيخ أو (مقدّم).

وإذا كان ابن يوسف السّنوسي وعبد الرّحمن الثّعالبي من أكبر زهّاد، وعلماء القرن التاسع الهجري (15م)؛ حيث جمع كلاهما بين الإنتاج العلمي، والسّلوك الصّوفي، وكان لهما بذلك شهرة ومكانة علميّة كبيرة، وكلاً منهما كان يحثّ على العُزلة، والهروب من الدّنيا، وهمومها، والاهتمام بعلوم الآخرة، والتّفرّغ لها[4]، فإنّ المغيلي كان على خلاف ذلك كلّه حيث استعمل علمه لنقد أحوال النّاس المُعاشة، والتّنبيه على نقاط الخطر في مُجتمعه، وهو ينتقد العُزلة التّي تُؤدّي إلى

---

[1]- المصدر نفسه، و: 7و.

[2]- **الكرامة:** هي غير مقرونة بدعوى النّبوّة، ولا هي مقدّمة لها، ولا يشترط فيها التّحدّي كالمعجزة، وهي عبارة عن إكرام الله لولي من أوليائه الصّالحين الملتزمين بأحكام الشّرع بما يظهره الله على يديه من أمور، ولا يشترط فيها دائماً أن تكون خارقة للعادة أو عما يألفه النّاس.وهي ثابتة بالكتاب و السّنّة، ومنها قوله تعالى في سورة مريم (كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيّا المحراب وجد عندها رزقاً، قال يا مريم أنّى يكون لك هذا، قالت هو من عند الله، إنّ الله يرزق من يشاء بغير حساب)(سورة آل عمران، الآية 27). **ينظر:** عمر عبد الله كامل، المرجع السابق، ص: 98.

[3]- بوداود عبيد، ظاهرة التّصوّف في المغرب الأوسط مابين القرنين 07 و09 هـ/13و15م- دراسة في التّاريخ السّوسيو ثقافي- وهران: دار الغرب للنّشر والتّوزيع، ط01- سنة 2003م، ص: 123.

[4]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السّابق، ص ص: 48- 49.

إغفال المسؤوليّات الدّنيويّة، ويُطالب بالجمع بين العلم والعمل، وقد فعل ذلك حين شنّ حملته الإصلاحيّة على عُلماء السّوء وبغض أعداء الدّين،"فقد كان مثالاً للعالم العامل، الذّي جمع بين المُهمّة العلميّة والمُهمّة الحربيّة"[1].

وكانت أبرز السّمات التّي تميّز بها عصر المغيلي والبيئة التي عاش فيها شيوع التّصوّف وأدعياء العلم والولاية، وانتشار الشّعوذة والسّحر، فاليهود كانوا يُعلّمون النّاس أصول السّحر في القُصور التواتيّة، ولم ينتهوا عن عملهم هذا إلاّ بعد أن قتل المغيلي واحداً منهم، كان يطفئ النّار بسحره فلا تشتعل، فخاطب سكّان توات بقوله: "إنّ الذّمّة قد برئت من اليهود لأنّهم قد نقضوا العهد واشتغلوا بالسّحر"[2]. كما انتشرت البدع والمُنكرات والخُرافات، وكثر المريدون المُنحرفون عن الجادّة، حتىّ صار شيوخ الصّوفية أنفسهم يتحسّرون ممّا حصل من بعضهم من الضّلال، فقاموا بنقد هذه الطّرق الباطلة، بل أنّ بعضهم ألّف في ذلك كتباً، فقام الشّيخ المغيلي بجهادهم وبيان مكر هؤلاء المُلبّسين، وأبطل ادّعائهم للولاية والعلم؛ حيث ألّف في ذلك كتاباً هامّاً سمّاه"تنبيه الغافلين عن مكر المُلبّسين بدعوى مقامات العارفين"[3]. وهو من كتبه المفقودة، والتّي دلّت عليه فقط إشارات بعض المؤرّخين وكتب التّراجم كما هو الحال في النّيل لأحمد بابا التّنبكتي[4].

لقد وصلتنا بعض أفكار هذا الكتاب في بعض مؤلّفات المغيلي الأخرى، خاصّة ما تعلّق بأدعياء العلم، وكيفية معرفة العُلماء الصّادقين الحقيقيين؛ حيث يقول في مستهل حديثه عن ذلك بأنّ المسلم يستطيع تمييز أهل العلم من غيرهم إذا كان تقيّاً، وأنّ الذّي التبس عليه معرفة ذلك فهو من أهل الأهواء،"فالحقّ نور صاحبه منصور، والباطل دور، وصاحبه مكسور، (...وَمَن لمّ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ..)[5] (...) لا يلتبس حقّ بباطل، ولا عالم بجاهل، إلاّ على أرباب الشّهواء، ومن يتّق الله يجعل له مخرجاً من جميع الشّبهات"، وكما يقول ابن عطاء الله[6]: "لا يخاف التباس الطّرق عليك، وإنّما يخاف غلبة الهوى عليك...".

ويذكر المغيلي أنّ علم أيّ شخص موكول لأفعاله وأخلاقه، وأنّ العلم الحقيقي الذّي يكتسبه الإنسان يكون حينما يستطيع التّمييز بين الحق والباطل،"فالرّأس رأسان ذو عبر وذو كمه، والقلب قلبان ذو صفر وذو كدر، لكن للعلم شأناً شأن حامله (...) فالعلم نور يقذفه الله في قلب الشّخص حين يرى الحقّ حقّاً والباطل

---

[1]- أحمد الحمدي، محمد بن عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكريّة بتوات، ص: 171.

[2]- الكنتي(محمّد بن المختار الكبير)، الطرائف والتّلائد من كرامات الشّيخين الوالدة والوالد، نسخة مصورة بخزانة كوسام، ولاية أدرار، و: 64ظ.

[3]- أحمد شرشال، دعوة الشّيخ المغيلي في غرب إفريقيا، مجلّة المرابطون(مجلّة ثقافية إسلامية تصدر عن معهد العُلوم الإسلاميّة والعربيّة بموريتانيا) السّنة 03 /1995-1996م، ع 03، ص: 42.

[4]- التنبكتي، نيل الإبتهاج، ج02، ص: 266.

[5]- سورة النّور، الآية: 40.

[6]- **ابن عطاء الله:** هو أبو الفضل أبو العبّاس أحمد بن محمّد بن عبد الكريم، من عُلماء القرن07هـ/12م، **ينظر:** الونشريسي، الوفيات، ص: 168.

باطلا"[1]. ويضع المغيلي شروطاً من شأنها أن تُقلّل من خطر أدعياء العلم والمُلبّسين فيه، خاصّة عند الاعتماد على كتاب يُراد من خلال قراءته معرفة مسألة، أو
حكم في دين الله ومنها:
- أن يُنسب ذلك الكتاب لعالم عُرف اسمه وثبتت إمامته في العلم والنّفوس بحيث يجوز تقليده والاعتماد عليه فيما يذكره، لأنّ من أهل الضّلال من يصنّف كتاباً في ضلاله وينسبه لبعض أئمّة الهُدى ليزيّنه للنّاس بتلك النّسبة. وأن يكون الذّي نظر في ذلك الكتاب وزعم أنّه فهم معناه، قد يُفكّر فيه بطريق النّظر الصّحيح حتّى استقرّ نظره على ما فهمه لأنّ الفكرة هي سراج القلب، ويقول الشّيخ المغيلي أنّ القارئ لا يستطيع أن يفهم ما في الكُتب من أحكام إلاّ إذا كان عارفاً بعلم اللّغة، وعلم المنطق"لأنّ باللغة يُتوصّل إلى معرفة معاني الكلمات، وبالمنطق يتوصّل إلى معرفة كيفية الحكم ببعضها على بعض، فمن لا معرفة له بالمنطق أو اللّغة لا يُثق فهمه أصلا"[2]. وأن يكون الذّي نظر في ذلك الكتاب، وزعم أنّه فهم معناه من أهل الفهم في ذلك العلم، بأن يكون له فيه مَلكة يملك بها التّصرّف في جهة قصده، لأنّ من لا مَلكة له في علم الفقه مثلاً الغالب عليه في طلب الفهم أن يخطئ، ومعنى كلامه هذا أنّه يجب على النّاظر في الكتب وقارئها أن يتمكّن من شرح ما فهمه، فكما يذكر:"إن كانت الكُتب في آخر الزّمان خزائن للعُلوم فإنّ مفاتيح معاقلها في الصّدور"[3].
يبيّن المغيلي أنّ أهل الذّكر من العُلماء، هم الذّين اجتمع فيهم وصفان: التّعلّم والتّقوى، لأنّ من لا علم له كثيراً ما يظنّ الحقّ باطلاً والباطل حقّاً، فيضلّ عن سبيل الله بجهله، ومن لا تقوى له كثيراً ما يترك الحقّ ويتبع الباطل طمعاً، حيث جاء في كلامه "أنّ العالم التّقيّ نور من الأنوار يُدرك بالبصائر لا بالأبصار، فلا يُعرف إلاّ بشهادة العُلماء الأخيار، بذلك يتميّز الحقّ من الباطل ولا يبقى على وجه الحقّ غُبار".
يحثّ المغيلي على الاستخبار والتثبت من هوية العالم، وصِدقه قبل الأخذ عنه إذ يقول:"واجب على كلّ قوم جاءهم رجل يزعم أنّه عالم أن لا يُقلّدوه حتّى يتفقّدوه، فإنّ الجهل أكثر من العلم، والهوى أكثر من التّقوى لا سيما في آخر القرن التّاسع الهجري، وأطراف الدّنيا- يقصد أرض توات- ، والعُلماء في نظر المغيلي ثلاثة أصناف، لا يجوز الأخذ والإقتداء إلاّ بصنفين منهما، إذا توفّرت فيهما شروط خاصّة، حتّى لا يقع النّاس في مكائد أدعياء العلم فيضلّون بهم، ويزيغون، وهذه الأصناف هي:

[1]- المغيلي، عما يجب على المسلمين من اجتناب الكفّار، و: 15ظ.
[2]- المصدر نفسه، و: 16و- 16ظ.
[3]- المغيلي، عما يجب على المسلمين من اجتناب الكفّار، و: 17و.

- رجل مشهور بالعلم والتّقوى في بلاد العُلماء الأتقياء، وهذا أهل لأن يُقتدى به، وإن لم يكن بيده إجازة لأنّ شهرته بذلك أقوى من إجازته.
- رجل بيده إجازة بخطّ عالم تقيّ تبث أنّه خطّه وشهد له فيها شهادة تقتضي أنّه أهل للإقتداء به في دين الله، وهذا أيضاً أهل يُقتدى به.
- ورجل لم تُعلم شهرته ولم تُثبت إجازته هذا لا يحلّ الإقتداء به[1].

بقي نفوذ وإسهامات زاوية الشّيخ المغيلي القادريّة باقيةً حتّى بعد وفاته، وقد ارتبطت العديد من الجهات بالقارّة الإفريقيّة بالتّأثير الذّي خلّفته هذه الزّاوية في نفوس المريدين والأتباع، حيث كان دُعاة القادريّة يدعون إلى الدّين والعلم معاً، ولم يفصلوا بينهما، وكانوا يُرسلون من الأفارقة من يودّ المزيد من العلم والمعرفة إلى مراكز العلم والثقافة الشّهيرة بالشّمال، كما استطاعوا تأسيس المدارس والإنفاق عليها، وأشرفوا عليها بأنفسهم، وكانت دعوتهم إلى الإسلام تعتمد على الإقناع
والحكمة والتّأثير في المُجتمعات الوثنيّة بطريقة سلميّة لا مجال للعُنف فيها[2].

دخلت الطّريقة القادريّة إلى إفريقيا الغربيّة في حُدود القرن التاسع الهجري (15م) على أيدي مُهاجرين من توات، واتّخذوا من ولاّتة أوّل مركز لطريقهم واضطرّ أحفادهم إلى الاستقرار في تنبكتو بعد طردهم من الأولى[3]، ويبدو أنّه كان من هذه الجماعة التّواتيّة أتباع للشّيخ المغيلي، من دعاة، ومريدين تخرّجوا من زاويته، وعلى رأسهم الكنتيّين العرب الذّين ينتسبون إلى القائد عُقبة ابن نافع الفهري، والذين عاشوا فترة من الزّمن في القيروان[4]، ثمّ هاجروا منها إلى المغرب الأوسط قبل أن يدخلوا إلى توات، وكان أوّل من اشتهر منهم بالكنتي محمّد الكبير، وهو من رجال القرن التاسع الهجري (15م)[5]. أمّا عن نشاطهم الذّي اتّبعوه في القارّة، فيُذكر أنّهم اعتمدوا على نشر طريقتهم في الدّعوة إلى الإسلام بتأسيس المدارس والمراكز الثّقافيّة، والدّعوة بالطّابع السّلمي المبني أساساً على الإرشاد، والتّطلّع لأن يكونوا قدوة لغيرهم بحُسن أخلاقهم كتأثير المعلّم في تلامذته؛ حيث كانوا يغرسون في الأهالي أهمّ الآداب والأخلاق التّي نادى إليها الإسلام، كحبّ الجار والتّسامح، وبذلك برهن"دعاة القادريّة في السّودان الغربي على أنّهم أوفياء لمبادئ مؤسّس الجماعة ولتقاليدها العامّة". وقد

---

[1]- المصدر نفسه، و: 18و- 18ظ.
[2]- عمّار هلال، الطرق الصّوفية ونشر الإسلام والثّقافة العربيّة في غرب إفريقيا السّمراء، الجزائر: المؤسّسة الوطنيّة للفنون المطبعيّة، دع- سنة 1988م، ص: 113.
[3]- سير توماس و.أرنولد، الدّعوة إلى الإسلام- بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلاميّة- ترجمة: حسن إبراهيم حسن وآخرون، القاهرة: مكتبة النّهضة المصريّة، ط04- سنة 1971م، ص: 364.
[4]- **القيروان:** مدينة أصيلة أسّسها عقبة بن نافع الفهري، وبناها على بعد 36 ميلاً من البحر المتوسّط ونحو 100ميل من تونس. **ينظر:** الوزان، المصدر السابق، ج02، ص: 87.
[5]- محمّد علي العيني- ف.ج سيمورمنير، عبد القادر الجيلاني شيخ كبير من صُلحاء الإسلام، ترجمة: محمّد حجّي ومحمّد الأخضر، الدّار البيضاء: دار الثّقافة للنشّر و التوزيع، ط01- سنة 1993م، ص: 11.

تأثر أتباع الطّريقة التّيجانيّة[1] في القرون اللاّحقة بالمنهج الذّي اتّبعه دعاة القادريّة في هذه البلاد[2]، ووصل تأثير أتباع الزّاوية القادريّة التّي أسّسها الشّيخ المغيلي بتوات، إلى أقصى حدّه عندما استطاعوا الوُصول بدعوتهم بانضمام بعض مُلوك، وأمراء السّودان الغربي إليهم[3]. كما ارتبط انتشار هذه الطّريقة في بلاد المغرب الأقصى وبلاد السّودان الغربي بتأثيرات مُشتركة، كان من أصولها زاوية الشّيخ المغيلي القادريّة بتوات، وكان لتفرّع هذه الطّريقة بفضل الشّيوخ، والمقدّمين، والمريدين، وقعه في استمراريّة القادريّة؛ حيث يرجع أقدم فرع لها بالمغرب الأقصى إلى الطّريقة الكُنتية البكائيّة، والتّي ترجع إلى مؤسّسها أحمد البكّاي بن محمّد الكنتي الكبير(ت:920هـ/1514م)،"الوليّ العارف بالله تعالى، كان من عباد الله الصّالحين، والأولياء المعروفين المشهورين، وهو جدّ كنتة كلّها كنتة الحجر وكنتة أزواد"[4]، وقد استقرّ بولاّتة إلى أن قُتل بجنوب المغرب.

وانبعثت الطّريقة القادريّة بالمغرب، والسّودان الغربي من جديد مع المُختار بن أحمد الكنتي (ت:1226هـ/1811م) ، وهو أحد أحفاد الشّيخ أحمد البكّاي، وأصبحت طريقته تُعرف بالمُختاريّة[5]. وكان أوّل نشاطه بمنطقة الأزواد[6] مسقط مسقط رأسه، حيث أنشأ زاويته، ومدارس كثيرة في منطقة منحنى النّيجر وموريتانيا-الحالية- والصّحراء لنشر الإسلام والطريقة القادريّة، وكان يقوم بالإنفاق على الطّلاّب، والمُعلّمين من ماله الخاص، إضافة إلى جُلوسه للتّدريس في زاويته[7]. اشتهر بفكرة العالم المُجدّد حيث يرى في التّصوّف"أنّه طريق روحاني تسلكه القُلوب فتقطعه بالأفكار حسب العقائد والأبصار، وأصله نور سماوي، ونظر إلهي يقع في قلب العبد"، وفي نظرته التّجديديّة حددّ علاقة درجة القطب بالمريد في أن يدعوه من خمس إلى خمس؛ من الجهل إلى العلم، من

---

[1]- **الطّريقة التّيجانيّة:** أنشأها أبو العبّاس أحمد بن محمّد بن المختار التّيجاني المولود سنة 1150هـ/1737م بقرية أولاد ماضي بالأغواط الجزائريّة. **ينظر:** أبو القاسم سعد الله، المرجع السّابق، ج01، ص ص: 509- 510.

[2]- سير توماس و.أرنولد، المرجع السابق، ص: 366.

[3]- عبد الله عبّاس، المرجع السّابق، ص: 118.

[4]- البرتلي، المصدر السّابق، ص: 31.

[5]- محمّد علي العيني- ف.ج سيمورمنير ، المرجع السّابق، ص ص: 11- 12.

[6]- **الأزواد:** هي أرض واقعة بين صحراء الجزائر وأرض السّودان، سمّيت بهذا الاسم لمحلّها وجفافها. وهي منطقة وعرة جدّا لا تسلك إلاّ بمشقة عظمى لا ماء فيها ولا منزل طول مسافة 200 ميل بين بئر أزواد وبئر أروان الذّي هو على بعد 150ميلا عن تنبكتو. **ينظر:** الوزان: المصدر السّابق، ج01، ص ص: 32- 33./ ج02، ص ص: 148- 149.

[7]- عزيز بطران، الشّيخ المختار الكنتي الكبير ودوره في نشر الإسلام والطّريقة القادريّة في الصّحراء وغرب إفريقيا، مجلّة البحوث التّاريخيّة(يصدرها مركز دراسات جهاد الليبيين ضدّ الغزو الإيطالي- بطرابلس)، ع 02، ص: 319.

الشّكّ إلى اليقين، من الرّغبة إلى الزّهد، من الشّحّ إلى سخاء النّفس، ومن النّظرة إلى المعرفة[1].

زاد انتشار الطّريقة المختاريّة القادريّة في عهد ابنه محمّد الكنتي (ت:1241هـ/1826م)، صاحب كتاب "الطّرائف والتّلائذ من كرامات الشّيخين الوالدة والوالد"، وتوسّعت جنوباً حتّى بلغت تنبكتو في حوض النّيجر، ومنطقة بحيرة تشاد في السّودان الأوسط[2]، التّصوّف الحقيقي عنده هو ما ارتبط بالآداب وحُسن الخُلق،"فالتّصوّف كلّه أدب، لكلّ وقت أدب، ولكلّ حالٍ أدب، ولكلّ مقام أدب، فمن ضيّع شيئاً منها فهو سعيد من حيث الوصول، مردود من حيث يرى القُبول، وهؤلاء هم الموسومون بهذه الأعصار بالصّوفيّة". وهو يرى"أنّ الأوليّاء ما وصلوا إلى الله تعالى بكثرة الأعمال وإنّما وصلوا إليه برعاية الآداب، وبها نالوا السّيادة في العبادة(...)، والآداب كلّها منحصرة في خمسة: حفظ الحُرمة مع الله، وعُلوّ الهمّة في أمر الدّارين حتّى لا يتعلّق بشيء من النّقائص ظاهراً وباطناً، وحسن الخدمة بلُزوم الأتباع وترك الابتداع، والتبرؤ من الحول والقوّة، ونفوذ العزيمة..."[3].

وقد توسّعت الطّريقة القادريّة التي حمل لواءها الكنتيّون بعد الشّيخ المغيلي بالصّحراء والسّودان الغربي، بفروع أخرى أهمّها الفاضليّة المنسوبة إلى الشّيخ محمّد فاضل (ت:1286هـ/1869م)، الذّي ينتسب إلى أسرة إدريسيّة، وهم أبناء عمر شرفاء وزّان، أخذ الطّريقة عن الشّيخ محمّد الأغضف، ثمّ عن المختار الكنتي الكبير. وقد نشر أبناؤه الكثيرون طريقته في مختلف أنحاء الصّحراء والسّودان الغربي، وتميّز منهم ابنه الشّيخ مصطفى محمّد ماء العينين (ت:1316هـ/1898م)، الذّي عرفت معه الطّريقة الفاضليّة القادريّة أوج اتّساعها ونفوذها، وكانت له حظوة خاصّة لدى سلاطين المغرب[4].

---
[1]- الكنتي(المختار الفهري)(ت1286هـ/1869م)، خطبة العيدين، تحقيق: حبيب الله عمر، دع س ، ص: 07 وما بعدها.

[2]- العيني- منير، المرجع السّابق، ص: 12.

[3]- المختار الكنتي ، المصدر السّابق، و: 23و.

[4]- محمّد علي العيني- ف.ج سيمورمنير، المرجع السّابق، ص: 12.

بعد الجهود الكبيرة التّي بذلها الشّيخ المغيلي بتوات في سبيل الدّعوة وإصلاح الأوضاع المختلفة المستحدثة في هذا الإقليم، سعى إلى نقلها إلى السّودان الغربي بعد رحلة دامت أزيد من خمسة عشر سنة، قضاها بين أهمّ إماراتها؛ حيث أثمرت كثيراً نظراً لمجموعة من العوامل والأسباب الدّي مهّدت وساعدت في نجاحها منها:

- الانتشار الواسع للبدع والأباطيل والخرافات وامتزاج العقيدة الإسلامية بالطّقوس الوثنية والأفكار الإحيائية في كثير من الأحيان، والإيمان بالشّعوذة وتقديس بعض المظاهر الطّبيعيّة.

- انتقال بعض الزّعماء وطلبة العلم من مناطق إفريقيا جنوب الصّحراء صوب حواضر ومراكز الثقافة الإسلامية الشّهيرة سواء ببلاد المغرب الإسلامي وحتّى ببلاد المشرق الإسلامي والحجاز، قصد التّزوّد بتعاليم الدّين الصّحيحة، وبشتّى المعارف الدّي جهلوها، ولمّا عادوا إلى أوطانهم عزموا على تغيير واقع مجتمعاتهم وتخليصها من شوائب الضّلال.

- حركة الحجّ التّي كان يقبل عليها الأمراء السّودانيين في مواكب عظيمة بصحبة الكثير من الموالي والفضلاء ساعدت في تكوين العديد من الدّعاة والمُصلحين من أبناء البلاد بفضل الاحتكاك والاتصال المباشر مع مشاهير العلماء والمشايخ الدّين يلقونهم في طريقهم، فكثيرا ما كانت قوافل الحجّ تستقرّ لفترات طويلة بالبقاع المقدّسة، بالإضافة إلى توقفهم بمصر أين كانوا يتعرّفون فيها على الحضارة الإسلامية العربية، وما بلغته من رقيّ.

أ- **دعوته الإصلاحيّة ببلاد الهوسا:**

سلك الشّيخ المغيلي في رحلة الدّعوة والإصلاح التي قادته إلى بلاد السّودان الغربي من توات، الطّريق الدّي يخترق إقليم أهير، وكانت أوّل مدينة ينزلها في هذه الرّحلة هي مدينة أقدز التّي بنا بها زاوية ومسجداً في الوقت نفسه سمّاه بمسجد الكرامة، وعلى يد المغيلي أسلم أمير هذه البلاد[1]، وكانت مدّة إقامته بها قصيرة[2]؛ حيث شدّ الرّحال منها إلى مدينة تكدة إحدى المراكز التجارية المعروفة ببلاد السّودان الغربي من جهة الشّمال، وبها اشتغل لفترة بالتّدريس، والوعظ، والإرشاد في مساجدها، وقد سبقته إليها سمعته كعالم، ومُصلح، وكمقاوم للبدع، والخرافات ولخبث اليهود ومكرهم[3]؛ حيث أكرم سلطانها وفادته إليهم، بعدما امتحنه، فأثبت له جدارة فائقة في التّحصيل العلمي، وفي نبل الأخلاق. وقد ساعده

---

[1]- يبدو أنّ أمير أقدز هذا هو الدّي أشار إليه الإمام السّيوطي في رسالته الموجّهة إلى ملوك وسلاطين بلاد التّكرور، فيما وراء الصّحراء جنوباً إلى حدود النيجر، والدّي يُدعى بمحمّد بن مصطفو، ووصفه "بالملك الزّاهد". **ينظر:** آدم عبد الله الألوري، الإمام المغيلي وآثاره في الحكومة الإسلامية، ص: 17.

[2]- المبروك الهادي الدّالي، المرجع السّابق، ص: 25.

[3]- يحيى بوعزيز، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع ق 16إلى مطلع ق20م، الجزائر: دار هومة، دع- سنة2001م، ص: 20.

في بناء مسجد في قرية "إياتول" شمال شرق أغاديس؛ حيث أخذ يُدرّس أهالي المنطقة، ويُعلّمهم ما جهلوه من أحكام دينهم، ويُصحّح لهم معتقداتهم الّتي اختلطت بها البدع، وطقوس الوثنيينّ في كثير من الأحيان[1].

ومن مدينة تكدة دخل المغيلي إلى إقليم كانو، والذّي كان له به عمل كبير في الدّعوة إلى الإسلام ونشر تعاليمه الصّحيحة؛ حيث كان من أوائل العُلماء المسلمين المغاربة الذّين دخلوا هذا الإقليم برسم الدّعوة الإسلامية وإصلاح المُعتقدات، واشتهر في كتابات العديد من المؤرّخين لهذه المناطق "بفقيه توات" تمييزاً له عن الفقهاء المحلّيين ذوي الأصول السّودانية، وغيره من الفقهاء الرّحّالة[2].

لقد كانت الحُكومات المسلمة ببلاد الهوسا كما هو الحال مع إمارة كانو، تجد عناءً ومشقّة في نشر الإسلام بين القبائل الوثنيّة الواقعة إلى الجنوب منها، بل كانت في حُروب متّصلة معها، فضلاً عن انقسامها عن أنفسها، ومُحاربة بعضها البعض[3]، فكان لابدّ من إيجاد وسيلة بديلة عن قوّة السّلاح في إدخالهم الإسلام، حيث كانت تقوى هذه الإمارات المسلمة بانضمام مجموعات القبائل الّتي أعلنت إسلامها إليها، وكان هذا هو الدّور الذّي يتعيّن على الدّعاة والعُلماء القيام به في أوساط الوثنييّن.

كان أمير كانو عبد الله محمّد بن يعقوب رنفا كثير التّقرّب من العلماء، ومُحبّا للدّور الذّي يقومون به في الإصلاح وتنوير العُقول، لذلك كان مُتعلّقاً بالشّيخ المغيلي منذ دخوله إلى إمارته، وكان يحضر حلقاته العلمية، وكان يستفيد كثيراً من توجيهاته إليه، فطلب منه أن يكون مستشاراً له، وطلب منه أن يكتب له رسالة في أمور السّلطنة تُساعده في تدبير شؤون إمارة كانو، وتُقرّر له أحكام الشّرع وقواعده الصّحيحة في الأمر بالمعروف والنّهي عن المُنكر، ورسالة أخرى يبيّن له فيها الحُدود المسموح بها للحكّام في الشّريعة الإسلامية لمنع النّاس عن المحرّمات، والشّروط الواجب
مراعاتها في مسألة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر[4].

وكان من النّصائح النّفيسة الّتي أشار بها المغيلي على أمير كانو "أن يمنع جميع أهل بلاده عن جميع أنواع الشّرك، وكشف العورة وشرب الخمر وأكل الميتة والدّم" فكلّها ضلالات ومحرّمات لا تنتسب إلى الدّين في شيء، وكلّها أبواب يدخل بها الشّيطان إلى نفوس المسلمين الضّعاف فيأوي بهم إلى الكفر. كما نصحه إذا أراد تخليص مجتمع بلاده من أمثال هذه الضّلالات والفساد في الدّين "أن يمنع الكفار من أن يُظهروا شيئاً من ذلك، من إظهار أكل وشرب، أو نحوه

---

[1]- كان من التّلاميذ المشهورين الذّين حضروا دروس المغيلي بتكدة الفقيهين: أيد أحمد التّازختي، والعاقب الأنصمني. **ينظر:** أبو بكر إسماعيل ميقا، المرجع السّابق، ص ص: 118- 119.

[2]- حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص: 198.

[3]- المرجع نفسه، ص: 220.

[4]- التنبكتي، نيل الإبتهاج، ج02، ص: 265.

في رمضان، لأنّ كفّار البلاد بين المسلمين في الأسواق والمنازل وغيرها، ولو تُركوا على ذلك لكان ذريعة لأن يفعل كفعلهم ضعفة العُقول من العوام والنّساء.."[1].

إلى جانب وظيفة المستشار التّي شغلها المغيلي عند الأمير محمّد بن يعقوب رنفا، فقد أوكل إليه مهمّة الإفتاء العام والقضاء بكانو، وبذلك حمل على عاتقه مسؤولية هذا الحاكم بعدما أعطى له في رسالته في شؤون الإمارة بياناً واضحاً للمفاهيم الإسلاميّة التّي يجب أن يلتزم بها الحاكم والمحكومون من وُجوب استشعار أنّ "الإمارة خلافة من الله ونيابة عن رسول الله ρ"، وكلّ ما يترتّب على الأمير من أمور ومسائل يجب عليه مراعاتها في تدبير إمارته وسياسة رعيّته.

لقد كان الموقف الذّي اتّخذه المغيلي من سلطان كانو، وغيره من السّلاطين، هو موقف النّاقد
والنّاصح، والمرشد، والمُصلح، وليس موقف الطّامع في مال أو الباحث عن جاه[2]، فالإمارة في نظره "بلوى بين الهوى والتّقوى"، وهو بلا شكّ يلمّح إلى حالة الإمارة في عصره حين كانت وراثيّة، لا ينظر فيها إلى الكفاءة وحُسن النّية والشّعور بأهمّيتها، حيث كان يتولاّها الصّغير الذّي لم يبلغ الحلم، والمُغامر الذّي ينشد النّصر وحبّ الزّعامة، والفاجر الذّي لا همّ له إلاّ إشباع شهواته والتّحكّم في الرّعيّة[3].

من مدينة كانو انتقل المغيلي إلى مدينة كشنة، وبها تولّى الإمامة والقضاء، وكما نجح في كانو بإنجاز مقترحاته الإصلاحيّة التّي نفّذها السّلطان في إعادة تنظيم الدّولة بإنشاء المجالس والدّواوين وحدّد مواصفات من يتولّىّ مناصب الدّولة، وكيفية اختيارهم كما جاء في رسالته في شؤون الإمارة، فقد أثمرت هذه المرّة جهوده مع حاكم مدينة كشنة ماجي إبراهيم الذّي فرض على أهل البلاد تطبيق الشّريعة الإسلامية خاصّة في الأحوال الشّخصيّة كمسائل الزّواج والطّلاق[4].

ب- دعوته الإصلاحيّة بمملكة السّنغاي:

من مدينة كشنة عرّج الشّيخ المغيلي إلى مدينة كاغو ببلاد التّكرور، "واجتمع بسلطانها أسقيا محمّد الأوّل، وجرى على طريقته من الأمر بالمعروف"[5]، وحظي

---

[1]- المغيلي، جملة مختصرة فيما يجوز للحكّام من ردع النّاس عن الحرام، ص: 134.

[2]- آدم عبد الله الألوري، الإمام المغيلي وآثاره في الحكومة الإسلامية، ص: 39.

[3]- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص: 58.

[4]- أحمد بوعتروس، الحركات الإصلاحيّة في إفريقيا جنوب الصّحراء إبّان ق13هـ/19م، رسالة ماجستير في التّاريخ الحديث، بإشراف د. عبد الكريم صفصاف(نوقشت بقسم التّاريخ- كلّية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية- قسنطينة، الموسم الجامعي: 1994-1995م)، ص ص: 54- 55.

[5]- التنبكتي، نيل الإبتهاج، ج02، ص: 266.

عنده بحفاوة بالغة تعظيماً لعلمه وفضله، واستفتاه في مسائل كثيرة منها حُكم الشّريعة في انتقال المُلك إليه، فأجابه المغيلي بما وافق جواب العُلماء بمشروعيّة حُكمه الذّي خلف فيه سني علي، والذي كان ممتدّاً من أواسط القرن التّاسع الهجري، وكان فاسقاً عنيداً مستبدّاً، ولمّا عارضه عُلماء تنبكتو على تصرّفاته السّيئة قام عليهم بالحرب والسّلب حتّى خرّب البلاد، وقتل العُلماء والفقهاء. واستطاع الأسقيا محمّد الأوّل أن يُعيد للبلاد هيبتها بورعه وصلاحه، فأحبّه النّاس فقراء وفقهاء حتّى جعلوه أميراً عليهم لمدّة ثلاثين عاماً[1].

وقد اطمأنّ الأسقيا الحاج محمّد من جهة المغيلي وجعله مستشاره الخاص ومرجعه الفقهي الأعلى، حيث أجابه على سبعة مسائل شغلت فكره لوقت طويل، وكانت هذه الأجوبة عبارة عن فتاوى عامّة أصدرها الشّيخ للأمير ليعمل بها في تدبير أمور مملكته، وهي بمثابة قانون شرعي يحتوي على أهمّ المسائل التّي تمسّ حياة الدّولة، والأفراد كالأحوال الشّخصيّة ونظام المُعاملات[2]، كما استطاع المغيلي من خلال أجوبته على أسئلة الأسقيا أن يضع حدّاً لتطاول أدعياء العلم إذ بيّن له في جوابه الأوّل خطر العُلماء المُضلّين المُفسدين في الدّين، وكيفية التّصدّي إليهم، حيث قال: "أليس من أعظم الواجبات على كلّ أمير أن يطرد عن طرق الدّنيا جميع المُفسدين؟ فكيف لا يجب عليه أن يطردهم عن طرق الدّين"[3].

لقد وضع المغيلي لهذا الأمير أهمّ القواعد الأساسيّة التّي يبني عليها أيّ أمير إصلاحاته، وهي

تنقسم إلى قسمين: القسم الأوّل يخصّ القواعد التّي تُساعد على حفظ الدّين بمحاربة الكفر والوثنييّن، وأهل البدع والضّلالات، كالمُشعوذين، والسّحرة، والمتكلّمين في الدّين على غير علم، أمّا القسم الثّاني فيخصّ الرّكائز التّي يُقوّم بها أيّ أمير مُلكه، كعدم السّكوت على الظّلم وأهله، وهي أولى المسائل التّي حثّه على خوضها، فكانت كلّ التّوسّعات التيّ قامت على يدي الأسقيا في بلاد السّودان الغربي نتيجة لجهاده ضد الظّلمة والمُفسدين في الدّين.

ومن أجل كلّ ذلك باشر الأسقيا الحاج محمّد عدداً من الإصلاحات، كان منها ما تعلّق بالجيش؛ حيث جعله نِظاميّاً منفصِلاً عن المدنيّين، مع حرّية التّطوّع فيه[4]، كما ضمّ إليه فرقاً من فرسان البربر، وفرقاً أخرى من المشاة[5]. ومن إصلاحاته الإداريّة، وضع نظماً خاصّة تمكّنه من السّيطرة على كلّ البلاد، حيث قسم دولته إلى ولايات وأقاليم، وعهد بكلّ ولايةٍ منها إلى والٍ معتمد منه مباشرة. كما ركّز مجهوداته على إيجاد وظائف دائمة للمراقبين، والمفتّشين حتّى يمكّن

---

[1]- آدم عبد الله الألوري، الإمام المغيلي وآثاره في الحكومة الإسلامية ، ص: 61.
[2]- وفد دولة مالي، المقال السّابق، ص: 34.
[3]- المغيلي، أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، ص: 28.
[4]- عبد القادر زبايدية، مملكة سّنغاي في عهد الأسيقيين، ص ص: 32- 33.
[5]- حسن أحمد محمود، المرجع السّابق، ص: 194.

للدّولة أن تسيّر شؤونها وفق قوانين ثابتة، وعيّن لكلّ موظّف سام في الدّولة دوره ومكانته في حاشية الملك، أثناء المناسبات والأعياد.

لقي الأسقيا محمّد الأوّل مُعارضة شديدة من قبل وُجهاء سنغاي لمشاريعه التّحرّريّة، وإنجازاته المتعدّدة، ممّا دفعه إلى اللّجوء للقوّة من أجل دعم أفكاره وتجسيدها، وقد استطاع فتح بلاد الموسي الوثنيّين[1] في سنة 900 هـ/1498م[2]، وبلغت مملكة سنڤاي في عهده أكبر توسّعاتها[3].

ما بين سنتي 905-906هـ/1499م-1500م أوفد الأسقيا محمّد الأوّل مجموعة من العُلماء إلى مدينة كِبي (شرق النيجر)؛ جنّدهم للعمل فيها على نشر الإسلام والقيام بعمليّة الإصلاح بعدما فتحها جُنده، ويبدو أنّ المغيلي لم يكن ضمنهم؛ إذ أنّه عاد إلى توات في مطلع القرن العاشر الهجري 901هـ/1495م، بعدما جاءه نبأ مقتل ابنه عبد الجبّار، وقد كانت مدينة كاغو آخر محطّة له في هذه الرّحلة ببلاد السودان الغربي والتّكرور، وبذلك يُستبعد أن يكون قد شارك في هذه المُهمّة، وهي رواية اعتمدها العديد من المؤرّخين[4].

لقد كان لحركة المغيلي الإصلاحية ببلاد السّودان الغربي والتّكرور صدىً واسعاً، وأثراً بعيداً على سائر إمارات تلك البلاد، حتّى أنّ بعض المؤرّخين[5] لم يجد محيداً عن الاعتراف بتأثير المغيلي ودوره في ترقيّة العلوم العربية، والثّقافة الإسلاميّة لسكّان تلك البلاد، ممّا جعله يُقسّم عُصور الأدب العربي في نيجيريا منذ قيام الأدب فيها حتّى العصر الحاضر، إلى خمسة أدوار رتّبها على النّحو التّالي: العصر البرناوي(عصر ظهور الإسلام في نيجيريا من ق05 إلى ق07هـ)، العصر الونغري(من ق07 إلى ق 09هـ)، عصر المغيلي(من ق09 إلى ق11هـ)، العصر الفلاني(يبدأ بظهور ابن فودي وقيام دولته إلى سقوطها)، العصر الإنجليزي(في القرن العشرين). كما جعل من نصّ بعض فتاوى المغيلي الواردة

1- **بلاد الموسي:** هي الشّعوب التّي تعيش اليوم داخل حدود النيجر السّياسية من التّوارق والفولاني، والسّنغاي. **ينظر:** عبد الفتاح الغنيمي، المرجع السابق، ص: 228.

2- عبد القادر زبادية، مملكة سّنڤاي في عهد الأسيقيين، ص: 31 وما بعدها.

3- شملت هذه التّوسّعات: بلاد المانڤو، والفولاني، وشمالاً في مواطن التّوارق، وتجاوزت توسّعاته شمال نيجيريا الحاليّة؛ حيث هاجم إمارات الهوسا، وخضعت كلّها لحكمه سنة 1513م. **ينظر:** حسن أحمد محمود، المرجع السّابق، ص: 193.

4- عمار هلال، مقارنة بين آثار وجهود المغيلي وعُثمان دان فوديو في العالم والدّعوة إلى إصلاح أحوال المُسلمين، من أعمال المهرجان الثّقافي الأول للتعريف بمنطقة أدرار (13-14شعبان/03-04ماي1985م)، ص: 91.

5- هو الشّيخ آدم عبد الله الألوري في كتابه"مصباح الدّراسات الأدبيّة في الدّيار النيجيريّة"، وهو من الباحثين المشهورين الذّين اهتمّوا بدراسة تاريخ الأدب الإسلامي العربي في نيجيريا وغرب إفريقيا عُموماً.

في أجوبته لأسئلة الأسقيا نموذجاً لأسلوب الكتابة العربية في هذا العصر الأدبي سمّاه بعصر المغيلي[1].

إنّ تطبيق ما جاء في دعوة المغيلي الإصلاحيّة من مسائل في الإمارة، وحتّى في الأخلاق والآداب، أتى أكله على مستوى عدّة أجيال من زعماء بلاد الهوسا، خاصّةً في القرنين 9و10هـ/ 15و16م، وحتّى في القرن 19م، حيث أدّى ذلك إلى تغيير ملموس في حياة النّاس في بلاد السّودان الغربي والتّكرور، وما يُحيط بهما. وإنّ توصيّات المغيلي الشّفويّة والمكتوبة لأمراء الهوسا، وأمير كانو على الأخصّ أدّت إلى مركزية السّلطة السّياسيّة حول مؤسّسة الملك أو الأمير، وكان هذا مرفوقاً بتطوير كبير في النّظام السّياسي لقبيلة الهوسا تزامن مع فترة جهاد السّكوتو[2] في القرن الثّالث عشر الهجري (19م)[3].

لقد تأثر العديد من العُلماء بفتاوى المغيلي الإصلاحية ببلاد السودان الغربي والتّكرور، كالفقيه
البكري البرناوي[4]، والذّي أخذ عن تلاميذ الشّيخ المغيلي، وكان يحتجّ بفتواه في تكفير من صدر منه ما لا يصدر إلاّ من الكافر، ولو لم يعتقد الكفر، ولذلك كفّر البكري بعض الفولانيين[5]، من أجل العادة الّتي يفعلونها في الصّحاري وهي أن يجتمعوا ويخرجوا مع أولادهم إلى موضع بعيد من العمارة ثمّ يوقدون ناراً عظيمة، ويذبحون بقرة ويغرزون لُحومها حول النّار، فإذا حان وقت السّحر وقفوا حول النّار وبأيديهم عصىً يضربون بها أولادهم الكبار، ويطوفون بالنّار ويقولون: نحن وداعة الله ثمّ وداعتك أيّتها النّار، وأنت أبونا وأمّنا، ويرقص بعضهم عليها[6].

كما تأثر بأفكار المغيلي في الدّعوة والإصلاح العديد من الزّعماء والقادة الأفارقة في حركاتهم الإصلاحية كحركة الفوديين بزعامة الشّيخ عثمان بن فودي بن

---

[1]- عبد العلي الودغيري، ملامح من التّأثير المغربي في الحركة الإصلاحيّة للشّيخ عُثمان بن فودي- حوليّات الجامعة الإسلاميّة بالنيّجر(تصدرها منظّمة المؤتمر الإسلامي)، سنة 1419هـ/1998م، ع: 04، ص ص: 32- 33.

[2]- **السّكوتو:** هم أتباع الشّيخ عثمان بن فودي، وهذا الاسم يرجع إلى مدينته ومقر حكومته التي استوطنها وكانت قاعدة لحكومته السّياسية حتّى الاحتلال البريطاني. **ينظر:** آدم عبد الله الألوري، موجز تاريخ نيجيريا، ص: 76.

[3]- آدم عبد الله الألوري، الشّيخ محمّد بن عبد الكريم، من أعمال المهرجان الثقافي الأول للتعريف بمنطقة أدرار (13-14شعبان/03- 04 ماي1985م)، ص: 26.

[4]- ينتسب إلى المملكة البرنوية الكانمية التي قامت حول بحيرة تشاد، وقد أسّسها سنة 800م قوم من البرابرة السود، ثم انتزعها منهم قوم من العرب المعروفين بالكانميين، وبلغت مملكة برنو أوجها في القرن 12- 13م. **ينظر:** آدم عبد الله الألوري، موجز تاريخ نيجيريا، ص: 158.

[5]- **الفولانيين:** أو الفلاتة هم قوم من البدو الرعاة، أختلف في أصلهم، منهم من يربطهم بالنوبة في السودان، ومنهم من يرى أنهم عنصر من البربر استقر في منطقة أدرار وأعالي السنغال منذ ق 03م، وقد خضعوا لدولة غانا ثم المرابطين كما دنوا بالطاعة لسلاطين مالي و سنقاي. **ينظر:** حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص: 218.

[6]- آدم عبد الله الألوري، الإمام المغيلي وآثاره في الحكومة الإسلامية، ص ص: 32- 33.

محمّد بن عثمان بن صالح الذّي وُلد في غوبر[1] التّابعة لمقاطعة غالمي في سنة 1168هـ/1754م، وكان معروفاً بابن فودي بمعنى العالم والفقيه باللّغة الفولانية. درس القرآن الكريم على والده ثمّ غيرها من العلوم على أيدي معلّمين آخرين كالشّيخ عثمان بندوري، ومحمّد سنب، كما التحق بمدرسة الشّيخ جبريل الذّي كان من كبار العُلماء الثّائرين على أوضاع عصره.

بدأ الشّيخ عثمان دعوته الإصلاحيّة وهو في العشرين من عُمره، سالكاً في دعوته أسلوب التّدريس والوعظ، الذّي انتهجه المغيلي في رحلته بالسّودان الغربي والتّكرور، ومتّبعاً أيضاً مناهج معلّميه وأسلافه الأوائل، ثمّ أخذ يدرّس في كبي وغوبر حيث أخذ أتباعه في الزّيادة، لتدخل دعوته الإصلاحيّة بعد ذلك في مرحلة التّحرّك نحو قصر السّلطان؛ أين درّس ووعظ لأكثر من خمس سنوات[2].

كان الشّيخ عُثمان خطيباً بارعاً يتحكّم في نفوس سامعيه، استطاع أن يُؤلّف من أتباعه جماعةً

الأمر بالمعروف والنّهي عن المُنكر، فوشي به بعضهم إلى ملك غوبر الذّي لم يلبث أن أصدر أمره بنفي عُثمان من بلاده، فأعلن وُجوب الهجرة على جماعته، فاندفع تيّار عظيم يُهاجر مع الشّيخ فسقط بذلك الملك في يده إذ لم يجد بدّاً من منعهم وقطع طريقهم فاضطرّ ابن فودي إلى تكوين جيش إسلامي لمُقاومة عُدوان هذا الملك، فلمّا هاله الأمر أسرع بالإرسال إلى حُلفائه من مُلوك الهوسا يستنجدهم فاستجابوا له، فوقف الجميع في صفّ وابن فودي وأتباعه في صفّ آخر، فقامت بين الطّرفين معارك عنيفة انتصر في جميعها الشّيخ عُثمان، وبذلك أسّس دولته، وقسّم البلاد إلى قسمين، جعل الأقاليم الغربية لابنه محمّد بلّو، والأقاليم الشّرقية لأخيه عبد الله، ورتّب البلاد بين ثمانية نواب[3].

كانت الدّولة الإسلاميّة التّي أقامها عُثمان بن فودي (ت:1232هـ/1817م)، والتّي دامت قرناً كاملاً إلى غاية مطلع القرن العشرين، تقوم أساساً على نشر الدّين، ومقاومة الكفر والوثنيّة، وقمع البدع والخرافات، وتخليص المسلمين من الانحطاط الأخلاقي وسوء الاعتقاد والجهل بحقائق الشّرع. فكانت النّواة الأولى لقيامها على يد جماعة قليلة ممّن تأثّروا بصدق نواياه، وإخلاصه في دينه[4].

ويظهر أثر حركة المغيلي الإصلاحية التّي قام بها في زعماء السّكوتو الفوديين، وعلى رأسهم الشّيخ عُثمان وابنه محمّد وأخيه عبد الله، عندما درسوا كتبه ومخطوطاته، وبالأخصّ تلك المُتعلّقة

---

[1]- **غوبر:** اسم لقبيلة ولبلاد معاً، أصلهم من الأقباط المُهاجرين من مصر، بلغ عدد ملوكهم ثلاثة عشر ملكاً قبل سقوطهم تحت لواء ابن فودي. **ينظر:** آدم عبد الله الألوري، موجز تاريخ نيجيريا، ص: 83.

[2]- علي أيّوب الناجي، لمحات عن الإسلام في نيجيريا بين الأمس واليوم، الكويت: دار الكتاب الحديث، دع س، ص: 62 وما بعدها.

[3]- آدم عبد الله الألوري، موجز تاريخ نيجيريا، ص: 160.

[4]- عبد العلي الودغيري، المقال السّابق، ص: 13.

بالميدانين السّياسي والاجتماعي من أجل تطوير وتغيير الحالتين السّياسية والاجتماعية لمُجتمعهم[1].

انقسم المؤرّخون إلى قسمين في مسألة الأصول التّي تأثر بها الشّيخ عُثمان في حركته الإصلاحيّة، يرى القسم الأوّل أنّه تأثر بمبادئ الوهّابيّن الإصلاحية الذّين كانت قوّتهم آخذة في النّماء في الوقت الذّي زار فيه مكة لأداء فريضة الحجّ[2]. في حين يُفنّد القسم الآخر أن يكون ابن فودي قد تأثر بدعوة الوهّابيين بالحجاز، بل حتّى أنّهم رفضوا فكرة حجّه كونه لم يثبت أنّ خرج عن حُدود بلاده، فهو عالم سوداني تعلّم على يد مشايخ السّودان، وتأثر بهم وبالحركات الإصلاحيّة الإسلامية السّابقة لهم، كما أنّ مذهبه يختلف عن مذهب ابن عبد الوهّاب[3] في أصول دعوة كلّ منهما، فابن فودي مالكي المذهب أشعريّ العقيدة، صوفي على الطّريقة القادريّة، في حين أن ابن عبد الوهّاب حنبلي سلفي "لا يرى الانتساب إلى أيّة طريقة صوفيّة إلاّ بدعة". كما أنّ ابن فودي لا يمنع التّوسّل بالأنبياء والأوليّاء، والآخر كان يمنعه منعاً جازماً، كما كان لا يمنع استعمال المنطق اليوناني ولا يُحرّمه، والآخر ينهي عنه على رأي ابن تيميّة والسّيوطي وغيرهما[4].

وإذا كان المغيلي قد ألّف كتباً عديدة في مسائل من العُلوم المُختلفة كالفقه، الحديث، التفسير، التوحيد، الوعظ، المنطق، اللّغة والسّياسة الشّرعيّة، فإنّ أربعة من مؤلّفاته هي التّي استأثرت أكثر من غيرها باهتمام منظّري الدّعوة الفودية، وهي تلك الرّسائل الثّلاثة التّي ألّفها خلال إقامته بالسّودان الغربي استجابة لطلب سلطاني كانو وسنغاي، بالإضافة إلى رسالته الرّابعة التّي كان قد ألّفها في نازلة يهود توات"عما يجب على المُسلمين من اجتناب الكفّار..".

وهكذا فإنّنا إذا عُدنا مثلاً إلى كتاب "سراج الإخوان في أهمّ ما يُحتاج إليه في هذا الزّمان"، لعثمان بن فودي فسنجد أنّه قد قسّمه إلى عشرة فصول قصيرة اعتمد فيها اعتماداً كُلّيّاً على كلام المغيلي، ونقل في تسعة فُصول منها أكثر كلامه في أجوبته للأسقيا، حتّى أنّنا لو حذفنا منه هذه النّقول والنّصوص المغيليّة لما بقي فيه شيء يذكر سوى فقرات قليلة، وجُمل لا تعدو أن تكون تعليقاً أو وسيلة ربط بين هذا الكلام أو ذاك. وفي رسالة أخرى لعثمان بن فودي بعنوان "تنبيه الإخوان

1- آدم عبد الله الألوري، المقال السابق، ص: 26.

2- سير توماس أرنولد، المرجع السّابق، ص: 360./ حسن أحمد محمود، المرجع السّابق، ص: 222.

3- **ابن عبد الوهّاب(1115-1206هـ/1703-1792م):** هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التّميمي النّجدي، زعيم النّهضة الدّنيّة الإصلاحية الحديثة في جزيرة العرب، والتّي كان لها صدى كبير بالهند ومصر والعراق والشّام، سمّاهم خُصومهم بالوهّابيين. **ينظر:** خير الدين الزّركلي، المرجع السّابق، ج07، ص: 257.

4- آدم عبد الله الألوري، الإمام المغيلي وآثاره في الحُكومة الإسلامية، ص: 35 وما بعدها.

على أحوال أرض السّودان" نجده قد خصّص فصلاً منها، وهو السّادس لذكر وصية المغيلي لمحمد بن يعقوب أمير كانو[1]. أمّا في رسالته المُسمّاة "وثيقة أهل السّودان ومن شاء الله من الإخوان"[2] فهي عبارة عن تلخيص للأحكام الواجبة بإجماع المسلمين فيما يخصّ شؤون الرّعيّة والإمارة معاً، وهي التّي أوردها المغيلي في أجوبته على أسئلة الأسقيا، وفي رسالته"جملة مختصرة فيما يجوز للحكّام في ردع النّاس عن الحرام".

وفي كتاب آخر لعثمان بن فودي وهو"حصن الأفهام من جيوش الأوهام" فقد نقل عن كلام

المغيلي في عدّة مواضع ثمّ قال: "وسُئل شيخنا محمّد بن عبد الكريم التلمساني عن تحليل المُطلّقة ثلاثاً قبل الزّواج فقال..."[3]. أمّا في كتابه الآخر المُسمّى"أصول العدل لولاّة الأمور وأهل الفضل" فقد اقتدى فيه إقتداء تامّاً بكتاب المغيلي لأمير كانو محمّد بن يعقوب "رسالة الإمارة"، بل لم يزد شيئاً على أن لخّص كلام الغزالي في كتابه "التبر لمسبوك في نصيحة الملوك"، ثمّ اتبعه مباشرة بتلخيص كلام المغيلي في الكتاب المذكور، فقال: "فهذه أصول العدل التّي ذكرها الغزالي في بعض تآليفه، وينبغي لكلّ أمير أن يعتني بفهمها واستعمالها، وينبغي له أيضاً أن يعتني بثمانية أمور ذكرها محمّد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني في بعض تآليفه"، وأورد كلامه على وجه التّلخيص والاختصار مخافة التّطويل المؤدّي إلى الملل، "الأمر الأول: فيما يجب على الأمير من حُسن النّيّة..." ثمّ أتى على تلخيص الأبواب الثّمانية التّي تتألّف منها رسالة المغيلي في نُصح أمير كانو.

إنّ تأثير المغيلي في الأمير عثمان بن فودي لا يُمكن حصره في مُجرّد النّقول الكثيرة التّي نجدها تتردّد في جلّ كتاباته، بل تجاوزت ذلك إلى الإقتداء بسيرته وطريقته في ردع البدع، ومنهجه في الدّعوة، وإلى العمل بآرائه والإقتداء بأفكاره واستعمالها في تدعيم مواقفه، وكثير من الفُصول والرّسائل التّي كتبها عُثمان ابن فودي ماهو إلاّ تكرار أو شرح أو تلخيص أو تعليق أو إعادة إنتاج لأفكار المغيلي، وكتاباته، وعلى نحو ما كان المغيلي يختم كلّ فصل من رسالته في شؤون الإمارة بعبارة يُكرّرها هي قوله"رأس كلّ بليّة احتجاب السّلطان عن الرّعيّة" كان ابن فودي أيضاً يختم كلّ فصل من فصول كتابه "إحياء السّنّة.."، لكن بعبارة أخرى: "اللهمّ وفّقنا لاتّباع سنّة نبيّك ρ بجاهه عندك"[4].

---

[1]- عبد العلي الودغيري، المقال السّابق، ص ص: 35- 36.

[2]- الطّيب عبد الرحيم الفلاتي، الفلاتة في إفريقيا ومساهمتهم الإسلاميّة والتنمويّة في السّودان، الكويت: دار الكتاب الحديث: ط01- سنة 1994م، ص: 220 وما بعدها.

[3]- علّق أ. آدم عبد الله الألوري على كلمة "شيخنا" هذه فقال: "انظر قول ابن فودي: وسُئل شيخنا..، لقد عزا النّقل إلى المغيلي، ونسب نفسه إليه كالتّلميذ الذّي سمع أو أخذ عنه مُباشرة، مع ما بينهما من بعد العهد الذّي لا يقلّ عن ثلاثة قُرون، وإن دلّ ذلك على شيء فإنّما يدلّ على غاية التّأثّر وشدّة التّعلّق بهذا الشّيخ". **ينظر:** آدم عبد الله الألوري، الإمام المغيلي وآثاره في الحكومة الإسلامية، ص: 34.

[4]- عبد العلي الودغيري، المقال السّابق، ص ص: 39- 40.

ومن ملامح تأثر الأمير عثمان بأعمال المغيلي الإصلاحية في بلاد السّودان الغربي والتّكرور، أنّه عندما استقام لأمراء بني فودي أمر بلاد الهوسا بزعامة الشّيخ عثمان في القرن الثّالث عشر الهجري (19م)، وجدوا في البلاد نُظماً إداريّة صالحة احتفظوا بها ولم يُغيّروا منها شيئاً، كانت هي ذاتها الّتي وضعها المغيلي لأمير كانو؛ حيث كانت تسير وفق النّظم الإسلاميّة المُستمدّة من تعاليم القرآن الكريم، والسّنّة النّبويّة الشّريفة "فضريبة" الزّكاة كانت تُدفع لبيت المال، وثمّة "ضريبة" تُفرض على الماشية، وأخرى على الأرض الزّراعيّة وهي الخراج، وضريبة الجزية والتّي كانت تُفرض على المجوس الدّين رفضوا الدّخول في الإسلام، وقد حافظ الشّيخ عُثمان على هذا النّظام الدّي وجده في البلاد، وعمل على تعميمه ونشره في باقي المناطق التّي دخلت تحت حُكمه[1].

إضافة إلى هذا كلّه فإنّ الشيخ عثمان في وقته كان آخر حلقة تنتهي إليها سلسلة شيوخ الطّريقة القادريّة ببلاد السّودان الغربي، والتّي تمرّ في تاريخها بهذه المنطقة إلى جهود المغيلي وأتباعه من الكُنتيين الدّين واصلوا نشرها في أواسط شعوب تلك البلاد، حُكّاماً ومحكومين، ففي خاتمة كتابه "تعليم الإخوان بالأمور التّي كفّرنا بها ملوك السّودان" يذكر سند ورد السّلسلة القادريّة حيث يقول: "أجازني به الشّيخ العالم نوح، وهو عن شيخه سيدي محمّد المُختار، وهو عن شيخه سيدي الشّريف علي بن أحمد، وهو عن شيخه سيدي أبي النّقاب، وهو عن شيخه سيدي أحمد..." إلى أن يصل إلى محمّد بن عبد الكريم المغيلي، ويقول: "قدّر اتّصالنا به الاتصّال الحسن في البرزخ، وفي الآخرة، كما قدّر اتّصالنا به في الدّنيا الاتصّال المعنوي الدّي هو هذا السّند"[2].

أمّا عن الشّيخ عبد الله بن فودي (ت:1245هـ/1829م) أخ الشّيخ عثمان، فقد كان يُعتبر بحقّ أكبر منظّر ومؤرّخ للدّولة الفودية، وأكبر عالم إسلامي عرفته نيجيريا، وبلاد السّودان الغربي في القرن الثّالث عشر الهجري (19م)، فضلاً عن تضلّعه الكبير في اللّغة العربيّة، وعُلومها وآدابها حتّى لقبه بعضهم "بعربي الهوسا"، فلم يكن أقلّ تأثراً من أخيه بالمغيلي وكتاباته وآرائه، ولم يكن أقلّ منه اهتماماً بتراثه وحفظاً لآثاره، ففي كتابه المُسمّى "ضياء السّلطان وغيره من الإخوان" فما هو في الحقيقية سوى مجموع من ضمنه كتابان للمغيلي هما:"رسالته في شؤون الإمارة"، و"أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي"[3]، وقد صدر بمقدّمة قصيرة قال فيها: "جمعت فيه حاصل ما في أربعة كتب: كتابين لمفتي الزّمان محمّد بن عبد الكريم بن محمّد التّلمساني المغيلي، وكتابين لأمير المؤمنين شيخنا عثمان...".

1- عمّار هلال، المقال السّابق، ص: 93.

2- عبد العلي الودغيري، المقال السّابق، ص ص: 38- 39.

3- محمد كبير يونس، عبد الله بن فودي وحياته العلميّة، مقال خاص بحوليّات الجامعة الإسلاميّة بالنّيجر، سنة 1419هـ/1998م، ع: 04، ص: 68.

أمّا كتابه "ضياء الحكّام فيما لهم وعليهم من الأحكام" فقد خصّص فصلاً منه لوصيّة الشّيخ المغيلي التّي كتبها لأمير كانو مع شيء من الاختصار والتلخيص، وختم بالقول: "واعلم أنّ جميع ما ذكرته في هذا الفصل فهو ملخّص من كتاب محمّد بن عبد الكريم التّلمساني"، وفي كتاب ثالث له بعنوان "ضياء السّياسات وفتاوى النّوازل" نجده بالإضافة إلى النّقول الكثيرة عن الشّيخ المُتفرّقة بين مواضيع الكتاب، يخصّص مرّة أخرى فصلاً منه لهذه الوصيّة نفسها التّي كتبها الشّيخ المغيلي إلى أمير كانو، ويُقدّم لها بقوله: "فإذا فهمت ما قدّمنا لم يشكل عليك رسالة الشّيخ المغيلي إلى سلطان كانو، ثمّ يأتي على نصّ الرّسالة...".

أمّا عن الأمير محمّد بلّو فقد نقل عنه بدوره في مواضع كثيرة من مؤلّفاته، منها "إنفاق الميسور.."، وكان ينعته بالحُجّة، وفي هذا النّعت غنىً عن إيراد نحو ما سبق[1].

أهمّ النّتائج التّي يُمكننا أن نخرج بها من هذا الفصل هي:

- تُدرج أرض توات ضمن البلاد التّي اختطّها المُسلمون، والتّي ليس لأهل الذّمّة فيها حقّ ببناء كنائسهم وبيعهم، وإذا كان اليهود قد استوطنوا توات قبل القرن التّاسع الهجري(15م)، فإنّهم قد كانوا تحت عهد الذّمّة، الذّي يُخوّل لهم العيش في حماية المُسلمين. لكن بمخالفتهم لشروط هذا العقد، والتّي منها: امتناعهم عم دفع الجزية، وبناؤهم للبيع، ومُجاورتهم للمُسلمين، وسبّهم للفقهاء، وتوليتهم في المناصب على المسلمين، بالإضافة إلى تعدّيهم على الحُدود الشّرعية، وعدم التزامهم بالزّيّ الخاص بهم، وتشبّههم بالمسلمين، وغير ذلك من مُخالفاتهم، فقد سقطت عنهم الذّمّة الشّرعية.

- يتمثّل العمل الإصلاحي للمغيلي في قضيّة يهود توات، أنّه حاول تطبيق مبادىء الإسلام في هذه الأرض، فكان عليه أن يبدأ بتنفيذ العقوبات الشّرعية على أهل الذّمّة بهدم بيعهم الذّي أحدثوها، ثمّ مُحاربتهم؛ حيث حلّت دماؤهم وأموالهم إن بقوا بتوات، إذ أنّهم لم يأتوا بالعديد من شروط عقد الذّمّة، وما دامت أرض توات كانت تسير تحت حُكم قُضاتها، ومشايخها الذين أكثروا من سُكوتهم على الباطل، وقلّة جُرأتهم على تغيير المُنكر فقد خوّل لنفسه مُهمّة ردعهم.

- رغم نجاح المغيلي في حربه الأولى على اليهود؛ إذ استطاع إجلاءهم، إلاّ أنّه فشل في حربه الثّانية عليهم؛ حيث استوطنوا الإقليم التّواتي من جديد، ويعود هذا الفشل إلى عدّة اعتبارات منها: تدخّل الدّولة الوطّاسية في القضيّة لمصالحها الاقتصادية بتوات، بالإضافة على النّفوذ الكبير الذّي كان يتمتّع به اليهود، وعلاقاتهم الواسعة داخليّاً مع شيوخ الإقليم، وحتّى مع القادة وأهل السّلطة في خارج الإقليم. وكذا بالتّحالف الذّي تمّ بين بعض القبائل التواتية مع اليهود.

---

[1]- عبد العلي الودغيري، المقال السّابق، ص ص: 42- 43.

- كان المغيلي من العلماء القلائل في عصره، الذّين ثاروا على أوضاع مُجتمعهم، الذّي كثر فيه
دعاة الولاية، والعلم والملبّسين فيه؛ فقد شنّ حرباً نكراء عليهم، وحاول كشف ما تُضمر قلوبهم من مكرهم للإسلام والمسلمين، من خلال تآليفه فيهم، ومن خلال نصحه لأمراء عصره بوجوب ملاحقتهم والقصاص منهم، فهم من أشدّ المفسدين في الدّين.

- حاول المغيلي من خلال تقرّبه من بعض أمراء السّودان الغربي، أن يصلح يعض المناكر والضّلالات التّي استحكمت في مُجتمعاتهم، سواء من خلال نصحه وتوجيهاته الشّفوية لهم، وحتّى عن طريق المؤلّفات والرّسائل التّي كتبها لهم؛ حيث كانت عبارة عن قوانين وقواعد سلطانية جاهزة، تكفل سبل إدارة أي إمارة مسلمة، وأيّ مجتمع صالح..

- إلى جانب الحسّ السّياسي الذّي كان يتمتّع به المغيلي في أفكاره ونصائحه الإصلاحيّة إلى أمراء السّودان الغربي، ودوره الجهادي ضد يهود توات الذّين حلّت دماؤهم بخروجهم عن عهد الذّمّة، فقد كان زاهداً متصوّفاً، لا يرى في الدّنيا إلاّ وسيلة لدار البقاء، أخذ التّصوّف على نهج الطّريقة القادريّة عن الإمام الثّعالبي، وقد حاول المغيلي نشر هذه الطّريقة في توات والسّودان الغربي من خلال الزّاوية التّي أنشأها ببوعلي بتوات؛ حيث جمع حوله العديد من المريدين والأتباع الذّين واصلوا هذه المهّمة في تلك النّواحي، وكان الكنتيّون من أهمّ هؤلاء؛ حيث أوصلوا الطّريقة في سائر الصّحراء ومن ثمّ ببلاد المغرب الأقصى وبلاد السّودان الغربي.

- ظلّ صدى دعوة المغيلي الإصلاحية، وما ترتّب عنها من آثار، راسخاً في مُجتمعات الصّحراء وفي العديد من النّواحي ببلاد المغرب الأقصى وبلاد السّودان الغربي، وفي عدّة أجيال متلاحقة، يشهد على ذلك قيام دولة السّكوتو في القرن الثّالث عشر الهجري (19م)، بزعامة الأمير الشّيخ عُثمان بن فودي، والذّي كان متأثّراً بالأفكار التّي حوتها مؤلّفات المغيلي خاصّة في السّياسة الشّرعيّة، فنهج على نهجه في جلّ مؤلّفاته، كما أنّه لم يُغيّر شيئاً ممّا وجده من أنظمة معمولٍ بها في بلاد الهوسا والتّي ترجع في تاريخها إلى زمن تواجد المغيلي بتلك البلاد مع نهاية القرن التّاسع الهجري (15م)، بل عمّم سائر هذه الأنظمة على باقي المناطق التّي كانت تحت إمرته، وتبعه في ذلك ابنه محمّد بلوّ وغيره من ورثة الحكم الفودي.

خلصت هذه الدّراسة بمجموعة من النّتائج التّي يُمكن تلخيصها في هذه المجموعة من النّقاط:

- محمّد بن عبد الكريم بن محمّد المغيلي من العُلماء البارزين الدّين ذاع صيتهم في كامل أرجاء بلاد المغرب الإسلامي، وبلاد السّودان الغربي، وحتّى عند بعض عُلماء مصر والمشرق الإسلامي، نظراً لغزارة إنتاجه الفكري، وحتى في كفاحه ومُشاركته الإصلاحيّة، مع نهاية القرن التّاسع الهجري(15م)، الدّي كان حافلا بمجموعة من التّطوّرات الخطيرة، كان أهمّها سقوط الأندلس في يد النّصارى، بعدما كانت للمسلمين زهاء ثمانية قرون، نتيجة لعدّة عوامل منها عدم تكتّل أبنائها وقادتها ضدّ حملات الإسترداد المسيحي التّي عجّلت بسقوط الحصون والمدن، آخرها كان غرناطة. بالإضافة إلى العامل المغربي حيث تخاذلت دول المغرب الإسلامي آنذاك عن نصرة الأندلس لانشغالها في الثّورات الدّاخلية حول الحكم، وفي حروبها المتبادلة فيما بينها، وقد كانت الدّولة الأضعف في هذا الصّراع هي دولة الزّيّانيين بالمغرب الأوسط.

- وُلد المغيلي ونشأ بتلمسان حاضرة الزّيّانيين، وانتقل في طلب العلم بين مُدن المغرب الأوسط الشّهيرة بجاية، ثمّ الجزائر؛ حيث تتلمذ على يد عُلماء أجلاّء كان أشهرهم عبد الرحمن الثّعالبي،لم يمكث المغيلي بتلمسان طويلاً بعدما أنهى رحلته العلميّة؛ حيث ارتحل وبدون رجعة إلى قُصور إقليم توات الواقعة في وسط وجنوب غرب المغرب الأوسط، وقد كانت توات آنذاك معبرا استراتيجيا هامّا لتجارة الصّحراء، ومأهلاً لجالية يهوديّة كبيرة وغنيّة احترفت التّجارة، واشتغلت بمُختلف الصّنائع، بعدما لقيت الحماية والدّعم من بعض شيوخ القبائل وأعيان الإقليم، ممّا زاد من تسلّطها وتحكّمها الكامل في مجريات الحياة.

- كان تأثّر المغيلي واضحا بأحداث عصره، فأفكاره السّياسية جاءت لتخدم متطلّبات ذلك العصر بالرّجوع إلى تعاليم الدّين الصّحيحة، كالحكم بما أنزل الله، والعدل في جميع الأحكام السّلطانية، وسائر مصالح المسلمين بحسن اختيار وتولية عمّال السّلطان.

- فكر المغيلي السّياسي نابع من ثقافته الدّينية الخالصة، ومن تجاربه التّي عاشها، حاول من خلال كتبه ورسائله إلى بعض حكّام إمارات السّودان الغربي ككانو والسّنغاي أن يجعل قاعدة إصلاح أحوال الرّعيّة والمجتمع من منطلق الحاكم ثمّ نوّابه على أجهزة الدّولة، لأنّه يرى أن إصلاح الكلّ -الرّعيّة- مرهون بإصلاح الجزء –الحاكم وأعوانه-. والمغيلي في أفكاره السّيّاسية يمزج بين الأدب السّلطاني والتّنظير السّيّاسي، إذ يسيطر على نصوصه في هذا الباب الطّابع الاجتماعي الدّي ينزل إلى واقع النّاس، وأعرافهم وأخلاقهم، كما أنّه في نصحه للأمراء والحكّام المسلمين نجده يركّز على مسألة ضرورة مراعاتهم لأخلاقهم وطباعهم وهيآتهم، وتحسينها، وهو بذلك يهدف إلى الحفاظ على هيبة الأمير بين أعوانه ورعيّته، ومنها أدب المجلس، واعتدال الأمير في حجبته وظهوره بين

الرّعيّة، وضرورة اتّصافه بالصّدق، وكتم الأسرار، وضرورة تفطّنه وحذره، وغيرها من الصّفات..

- إنّ المفهوم العام الذّي استطاع المغيلي أن يُضفيه على جوانب العلاقة السّيّاسية (الحاكم والرّعيّة) هو مفهوم المصلحة الشّرعيّة التّي تهتم بإصلاح أحوال الدّولة السّلطانية وما يضمن لها الاستقرار والاستمرار، لذلك نجده يحصر مقوّمات أي دولة مسلمة مثاليّة بين قيام كلّ طرف بواجباته اتّجاه الآخر، مع حسن سياسة الحاكم. فالأمير مثلاً يتوجّب عليه حفظ دين الأمّة بحرصه على تكوين خيرة الدّعاة والعلماء، بالإضافة إلى التّصدّي إلى علماء السّوء والملبّسين في الدّين بضلالهم وجهلهم، إلى جانب إقامة العقوبات والحدود التّي تردع المخالفين والزّائغين عن الصّواب وتعيد للنّاس حقوقهم المنتهكة. أمّا الرّعية فيبقى من واجباتها طاعة أمرائها وإعانتهم بتقديم النّصح، ونصرتهم أيّام الحروب والمحن، ومن حسن سياسة الأمير وعمّاله أن يعدلوا، ويُحسنوا إدارة الأموال، سواء في جبايتها من مصادرها المشروعة، وحتّى في تصريفها في وجوهها المُستحقّة. ومن التّدابير التّي تزيد في قوّة أي دولة يوصي المغيلي بحسن اختيار الأمير لعمّاله مع ترتيبه لمملكته، مع الكشف عن أمورها، بتفقّده لعُمّاله ورعيّته، إضافة إلى حسن تدبير الجيش وإعداده لأنّه أحد دعائم الملك.

- إذا كان المغيلي لم يستطع أن يقود ثورةً ضدّ الحُكّام الضّعفاء المُفسدين الذّين وضعوا مصير الأمّة المُسلمة بين أيدي غير المُسلمين في تلمسان وسائر دول المغرب الإسلامي آنذاك، فإنّه قد وجّه جُهده نحو اليهود بتوات الذّين خرجوا عن عقد ذمّتهم، وتواطؤوا مع كبار شيوخ الإقليم، في بناء بيع لهم، وفتح متاجر تخدم مصالحهم، وتقهر ضعاف المُسلمين، وتستعبدهم عن طرق غير مشروعة كالرّشوة، والاحتكار، والمُعاملات الرّبوية وغيرها من مُخالفاتهم ومناكرهم، وقد استنجد المغيلي في هذا المُخطّط الإصلاحي (السّياسي) الرّامي إلى إجلاء اليهود من توات بآراء العُلماء في سائر دُول المغرب الثّلاثة باسم فريضة الأمر بالمعروف والنّهي عن المُنكر؛ حيث أشار الإمام محمّد بن يوسف السّنوسي في الإجابة التّي رد بها إلى المغيلي إلى نوع تلك العلاقة السّياسيّة بين قضيّة اليهود وواقع العصر المُعاش في قوله: "فسد فيه الزّمان" وسادت فيه "مُداهنة من يتّقي شوكته".

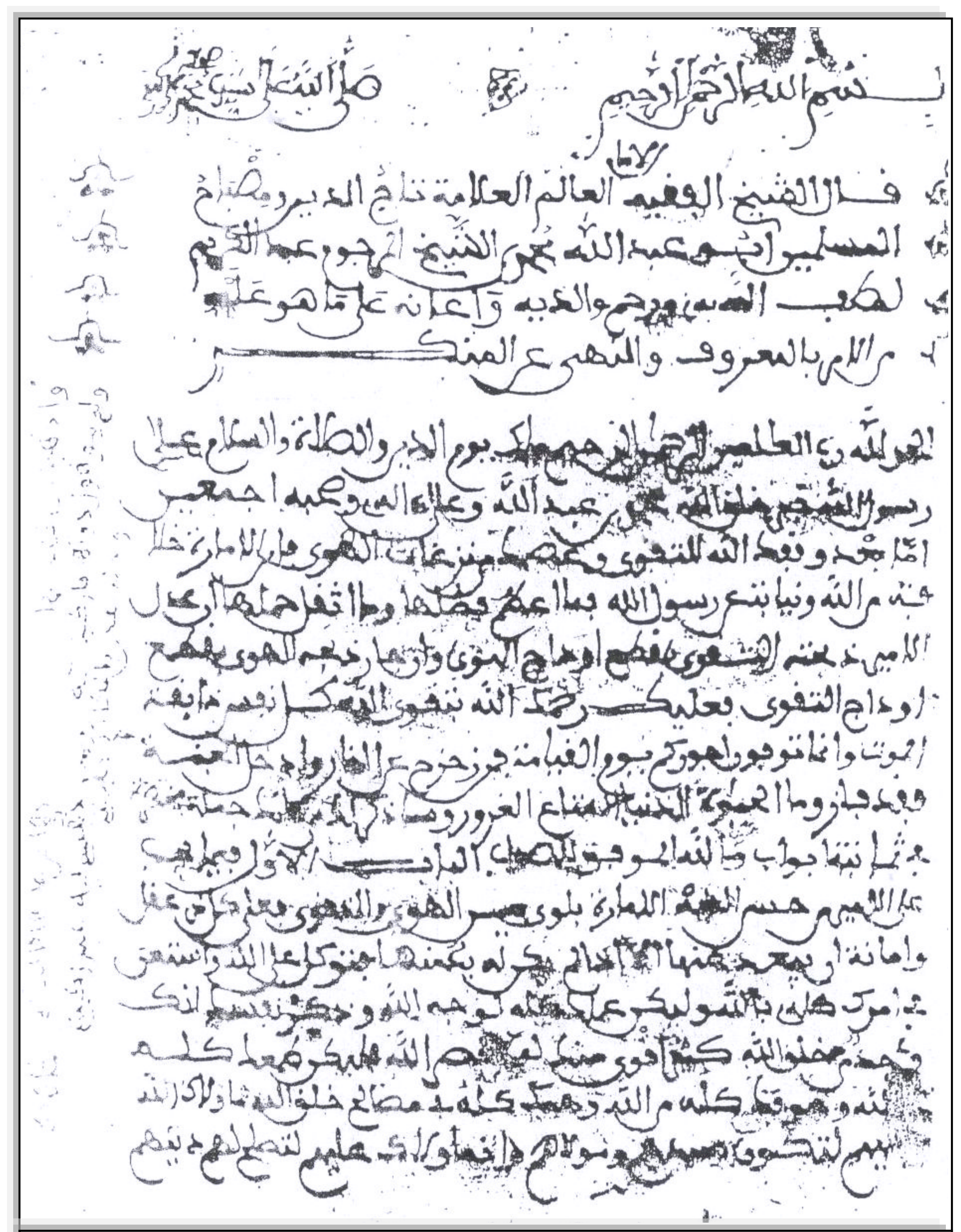
- جرت بين المغيلي واليهود حربين كانت الأولى سنة 882هـ/1477م، انتهت بإجلائهم من الإقليم، وكان من أهمّ نتائج هذه الحرب أنّه أسّس إمارة صغيرة بالنّاحية الشّرقية من المنطقة عاصمتها بوعلي، تقوم أساساً على مبادىء الشّريعة الإسلامية، وقد سعى إلى إنشاء بعض الأجهزة التّي من خلالها يوطّد دعائم هذه الإمارة، كان على رأسها جهاز الشّرطة. وكان هدفه الرّئيسي من إنشاء إمارته الجديدة هو تتميم مشروعه الإصلاحي الذّي بدأه بتوات، والرّامي إلى خلق مجتمع مسلم مثالي، تكون السّلطة فيه لأبنائه. وبعد هذه الأحداث يسافر المغيلي إلى بلاد السّودان الغربي جنوب الصّحراء للدّعوة والإصلاح بين مجتمعاتها وإماراتها،

خاصّة بعد موجة الإصلاحات التّي تبنّاها بعض الأمراء. وكانت حرب المغيلي الثّانية مع اليهود سنة 902هـ/1496م، بعدما جاءه نبأ عودتهم إلى القصور التّواتية، وتمكّنهم من قتل ابنه عبد الجبّار، فقرّر العودة لقتالهم، غير أنّه هذه المرّة مُني بفشل كبير انتهى باعتزاله، حيث استقرّ به المقام في زاويته ببوعلي، إلى أن وافاه الأجل سنة 909هـ/1503م.
- لقد كان المغيلي زاهداً متصوّفاً، أخذ التّصوّف على نهج الطّريقة القادريّة عن الإمام الثّعالبي، وقد حاول المغيلي نشر هذه الطّريقة في توات والسّودان الغربي من خلال الزّاوية التّي أنشأها ببوعلي بتوات سنة 885هـ/1480م، وقد بدأ نشاطه التّعليمي والتّربوي، والدّعوي بها. وفي ظرف وجيز استطاع أن يجمع من حوله العديد من الطّلبة والمريدين والأتباع، كان من أشهرهم الكنتيّون الذّين واصلوا من بعده نشر الطّريقة في سائر الصّحراء، ومن ثمّ ببلاد المغرب الأقصى وبلاد السّودان الغربي.
- استطاع المغيلي من خلال تقرّبه من بعض أمراء السّودان الغربي، أن يكون قاضيا ومفتياً ومستشاراً سياسياً عند أغلبهم، الشّيء الذّي مكّنه من جعلهم يصلحون الكثير من المنكرات والضّلالات التّي استحكمت في مُجتمعاتهم، كظاهرة العري التّي كانت منتشرة بين نسائهم، والمتقوّلين في الدّين بغير علم، والمشعوذين والسّحرة..، وكان ذلك من خلال نصحه وتوجيهاته الشّفوية لهم، وحتّى عن طريق المؤلّفات والرّسائل التّي كتبها لبعضهم، فقد كانت عبارة عن قوانين وقواعد سلطانية جاهزة، تكفل سبل إدارة أي إمارة أو مجتمع صالح.
- بقيت أعمال المغيلي في الدّعوة والإصلاح راسخة في المجتمعات التّي زارها واشتغل بها، في عدّة أجيال متلاحقة، نظراً للأثر الذّي تركه في سياسة حكّامها، وفي الأفكار الإصلاحية التّي حوتها مؤلّفاته، حتّى أن الزّعماء الفوديين الذّين أسّسوا دولتهم في القرن الثّالث عشر الهجري (19م) عملوا على تعميم الإصلاحات والأنظمة التّي قام المغيلي بسنّها في نهاية القرن التّاسع الهجري (15م).
إنّ البحث في تاريخ شخصيّة عالم مُعيّن أو عَلم من الأعلام وما يُحيط بهذه الشّخصيّة من جوانب مختلفة من سياق ذاتي معرفي، وخبرات مُختلفة تشترك في صياغتها مجموعة من العوامل والمُؤثرات كأوضاع العصر والتّأثر المذهبي..؛ لمن الدّراسات الهامّة التّي تحتاج إلى تظافر بين جُهود الباحثين والمتخصّصين كلّ في مجاله، ودراسة تاريخ وشخصيّة وفكر الشّيخ المغيلي من المواضيع التّي تحتاج إلى المزيد من البحث والجهد والتّمحيص، وهذه الدّراسة المُقدّمة عن فكره السّياسي ودعوته الإصلاحيّة بتوات والسّودان الغربي تبقى مجرّد مُحاولة بحث، وكلّ ما تُوصّل إليه من استنتاجات ليست أحكاماً كاملة ولا نهائيّة للبحث. كما أدعو الطّلبة والباحثين المُهتمّين بدراسة أعلام الجزائر والتّراث الثّقافي عُموماً إلى دراسة مؤلّفات الشّيخ المغيلي التّي تحتاج إلى الكثير من الدّراسة والتّحقيق خاصّة في علوم الفقه واللّغة والمنطق والعقيدة..، كما أدعو أصحاب خزائن

المخطوطات، والقائمين على خدمة التّراث الثّقافي الجزائري والإسلامي عُموماً إلى تعاونهم في هذا الباب، حيث أنّ إحياء أيّ مخطوط وحفظه من الاندثار لا يكون عن طريق احتكاره أو توريثه، بل بالعمل العلمي الجادّ الدّي يستند إلى دراسته وتحقيقه ثمّ طبعه ونشره إن توفّرت السّبل لذلك.

~~~~
~~~~

أ- الملاحــق:



بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد

قال الشيخ الفقيه العالم العلامة تاج الدين ومصباح
المسلمين أبو عبد الله محمد بن الشيخ الحاج عبد الكريم

بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين والصلاة والسلام على
رسول الله ... محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين

<u>الملحق رقم (01):</u> الوجه 01- من الورقة 01- من النّسخة المُصوّرة من مخطوط:

<u>("رسالة الإمارة" لمحمّد بن عبد الكريم المغيلي)</u>

<u>مضمون الملحق رقم (01):</u>

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيّدنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم

قال الشّيخ الفقيه الإمام العالم العلاّمة تاج الديّن ومصباح المسلمين أبو عبد الله محمّد بن الشّيخ المرحوم عبد الكريم، لطف الله به، ورحم والديه، وأعانه على ما هو عليه من الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر.

(الحَمْد لِلّهِ رَبِّ العَالمَينَ، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ)[1] والصّلاة والسّلام على رسول الله خير خلق الله محمّد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه أجمعين، أمّا بعد. وفّقك الله للتّقوى وعصمك من نزغات الهوى، فإنّ الإمارة خلافة من الله ونيابة عن رسول الله، فما أعظم فضلها وما أثقل حملها، إن عدل الأمير ذبحته التّقوى بقطع أوداج الهوى، وإن جار ذبحه الهوى بقطع أوداج التّقوى، فعليك رحمك الله بتقوى الله (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ، وَإِنَّمَا تُوَفَّونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الجَنَّة فَقَدْ فَازَ، وَمَا الحَيَاةُ إلاَّ مَتَاعُ الغُرُورِ)[2]. وسأذكر لك **( )**[3] جملة مختصرة في ثمانية أبواب، والله المُوفّق للصّواب:

«الباب الأوّل: فيما يجب على الأمير من حسن النّيّة»: الإمارة بلوى بين الهوى والتّقوى، فعلى كلّ ذي عقل وأمانة أن يبعد عنها إلاّ إذا كان لم يكن له بدّ منها، فتوكّل على الله، واستعن في أمرك كلّه بالله، وليكن عملك كلّه لوجه الله، وذكّر نفسك إنّك واحد من خلق الله، كثير أقوى منك لنصر الله، فليكن طمعك كلّه من الله، وخوفك كلّه من الله، وهمّك كلّه في مصالح خلق الله، ما ولاّك الله عليهم لتكون سيّدهم ومولاهم، وإنّما ولاّك عليهم لتصلح لهم دينهم.

1- سورة الفاتحة، الآيات1...4.

2- سورة آل عمران، الآية 185.

3- كلمة غير مفهومة.

الملحق رقم (02): الوجه 01- من الورقة 01- من النّسخة المُصوّرة من مخطوط:
("رسالة الرّدّ على المُعتزلة" لمحمّد بن عبد الكريم المغيلي)

مضمون الملحق رقم (02):

بسم الله الرحمن الرحيم صلّى الله على سيّدنا محمّد وآله

الحمد لله الذّي أنزل الكتاب تبيانا لكلّ شيء، وهدىً وبشرى للمؤمنين، ونصر الحقّ على الباطل، وأظهر دين الإسلام على كلّ دين، والصّلاة والسّلام الأتمان على النّور المبين، محمدّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وعلى آله وصحبه أجمعين، ورضي الله عن الخلفاء الرّاشدين، الأئمّة المهديين، وعن أصحاب رسول الله أجمعين، ورضي الله عن التّابعين، وتابع التّابعين، لهم بإحسان إلى يوم الدين، أمّا بعد. فيقول محمّد بن عبد الكريم، المغيلي التّلمساني لطف الله به: أعاننا الله وإيّاك على رعاية ودائعه، وحفظ ما أودعنا من شرائعه، سألتني أن أكتب لك جملة مختصرة من الرّد على المعتزلة في اعتقاداتهم الفاسدة، وذكرت لي أنّ طائفة من العزائية ببلاد المغرب، بينهم قوم من المالكية، لا قوّة لهم، ولا علم عندهم، وطلبت منّي أن أذكر أدلّة تنصرهم. فاعلم أرشدنا الله وإيّاكم أنّ هدى الله هو الهُدى، ومن يضلل فلا هادي له، ألم تر على قوله عزّ وجلّ لنبيه صلّى الله عليه وسلّم: (إِنَّ الذِّينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمُ ءَآنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمَ تُنْذِرْهُمْ لاَ يُومِنُونَ، خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ، وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ، وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَّقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِاليَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُومِنِينَ، يُخَادِعُونَ اللهَ وَالذِّينَ آمَنُوا، وَمَا يُخَادِعُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ، فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ، فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً، وَلَهُمْ عَذَابٌ اَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يُكَذِّبُونَ، وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ، أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ المُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لاَّ يَشْعُرُونَ، وَإِذَا قِيلَ لَهُم آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُومِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ، أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لاَ يَعْلَمُونَ)[4]. فواجب على من قلّده الله أمور المسلمين أن يردع أهل البدع بالعرض على التّوبة، والسّيف أجمعين، حتّى لا تكون فتنة ويكون الدّين لله، فإن انتهوا فلا عدوان إلاّ على الظّالمين، وهذا هو الأمر اللاّزم، والحكم الجازم في أهل الأهواء والبدع، وإن لم يكونوا كافرين.

---

[4]- سورة البقرة، الآيات 6...13.

بسم الله الرحمن الرحيم   صلى الله على سيدنا محمد وآله

الحمد لله الذي أنزل الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى وبشرى للمومنين ونصر الحق
على الباطل وأظهر دين الإسلام على كل دين. نحمده العظمة والجلال والعزة والكمال
له الرقاب خاضعة والأبصار خاشعة وكل شيء بيده ولا حول ولا قوة إلا به
أحمده وأشكره وأعظمه وأجله وأعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات
أعمالنا من يهده الله فهو المهتدي ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن سيدنا محمدا
عبده ورسوله وحبيبه وخليله ذو الخلق العظيم والخلق القويم صلى الله عليه
وعلى آله وصحبه وسلم أفضل الصلاة وأتم التسليم ورضي الله عن الخلفاء الراشدين
الأئمة المهديين وعن أصحاب رسول الله أجمعين وعن التابعين وتابع التابعين لهم
بإحسان إلى يوم الدين. هذا كتاب من عبد الله تعالى محمد
ابن عبد الكريم المغيلي التلمساني لطف الله به لجماعة سيدنا
محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الكرام من مسلم ومسلمة سلام عليكم ورحمة
الله وبركاته أما بعد فقد سألني بعض الأخيار عما يجب على المسلم من اجتناب
الكفار وعما يلزم أهل الذمة من الجزية والصغار وعما عليه كثير من اليهود من هذا الزمان
من التعدي والطغيان والتمرد على الأحكام الشرعية بتولية أرباب الشوكة أو
خدمة السلطان وأقول والله المستعان الفصل الأول فيما يجب على
المسلم من اجتناب الكفار قال الله تعالى الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات
والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات وكل جنس إلى جنسه أميل من جميع
الحيوانات

الملحق رقم (03): الوجه 01- من الورقة 01- من النّسخة المُصوّرة من مخطوط:
("رسالة إلى كلّ مسلم ومسلمة" لمحمّد بن عبد الكريم المغيلي)

مضمون الملحق رقم (03):

بسم الله الرحمن الرحيم صلّى الله على سيّدنا محمّد وآله

الحمد لله الذّي أنزل الكتاب تبيانا لكلّ شيء وهدى وبشرى للمؤمنين، ونصر الحقّ على الباطل، وأظهر هدى الإسلام على كلّ دين، ذي العظمة والجلال، والعزّة والكمال، له الرّقاب خاضعة والأبصار خاشعة، وكلّ أمر بيده، ولا حول ولا قوّة إلاّ به، أحمده وأوحده وأعظّمه وأمجّده وأعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا، من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أنّ سيّدنا محمّداً عبده ورسوله وحبيبه وخليله، ذو الخلق العظيم، والخلق القويم، صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم، أفضل الصّلاة وأتمّ التّسليم، ورضي الله عن الخلفاء الرّاشدين، الأئمّة المهديين، وعن أصحاب رسول الله أجمعين، وعن التّابعين، وتابع التّابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. هذا كتاب من عبد الله تعالى محمّد بن عبد الكريم المغيلي التّلمساني، لطف الله به بجاه سيّدنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم، وعلى آله وأصحابه، إلى كلّ مسلم ومسلمة سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أمّا بعد. فقد سألني بعض الأخيار عمّا يجب على المسلمين من اجتناب الكفّار، وعمّا يلزم أهل الدّمّة من الجزية والصّغار، وعمّا عليه أكثر يهود هذا الزّمان من التّعدّي والطّغيان والتّمرّد على الأحكام الشّرعيّة بتولية أرباب الشّوكة أو خدمة السّلطان، فأقول والله المستعان.

«الفصل الأوّل: فيما يجب على المسلمين من اجتناب الكفّار» قال الله تعالى: (الخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ، وَالطّيبات للطّيّبين، والطّيّبون للطّيبات..)[5]، وكلّ جنس إلى جنسه ألف من جميع الحيوانات.

---

[5]- سورة النور، الآية 25.

<u>الملحق رقم (04):</u> الوجه 01- من الورقة 01- من النّسخة المُصوّرة من مخطوط:

<u>("عمّا يجب على المسلمين من اجتناب الكفّار وعمّا يلزم أهل الذّمّة من الجزية والصّغار" لمحمّد بن عبد الكريم المغيلى)</u>

<u>مضمون الملحق رقم (04):</u>

بسم الله الرحمن الرحيم   صلّى الله على سيّدنا محمّد وآله

الحمد لله الذّي أنزل الكتاب تبيانا لكلّ شيء وهدى وبشرى للمؤمنين، ونصر الحقّ على الباطل، وأظهر دين الإسلام على كلّ دين، والصّلاة والسّلام الأتمان على النّور المبين محمد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، أمّا بعد. فيقول عبد الله تعالى محمّد بن عبد الكريم المغيلي التّلمساني لطف الله به: لقد سألني سائل عمّا يجب على المسلمين من اجتناب الكفّار، وعمّا يلزم أهل الذّمّة من الجزية والصّغار، ثمّ ورد عليّ سؤال آخر فيما عليه يهود بعض الأقطار من منع الجزية وإظهار العزّة بقوم كبار. ولمّا رأيت في هذا السّؤال من المسائل ما اندرج فيه مقصد ذلك السّائل، اختصرت على تفصيل جوابه، وإيضاحه، ونصّه بعد بسط افتتاحه: ما تقولون في مسألة قبائل في آخر الصّحراء حيث لا تنالهم أحكام الأمراء، يتّخذهم اليهود أخلاّء، ويُلقّبونهم بالغلائف، فيأوونهم وينزلونهم في قصورهم، ويجعلون الموازين والسّكّة بأيديهم، دون أمير يكون عليهم، فيغشّون المسلمين، ويخونونهم ويجحدوهم شيأهم، ويخدعونهم، ومتى قام عليهم أحد من المسلمين كفّته غلائفهم عنهم، وخاصمته دونهم، حتّى لا يتوصّل إلى أخذ الحقّ منهم، والفرض أنّ هؤلاء الغلائف جهّال ليس، ليس عندهم علم بموجب الجزية، وغيرها من حقوق المسلمين على اليهود، فإذا قيل لهم أنّكم أعنتم اليهود على التّمرّد ومنع الجزية، وإذاية المسلمين، يقولون على هذا أدركنا آباءنا، وعليه أدركت آباؤنا آباءهم، ولم نسمع قطّ من أنكر ذلك، ولا من غيره من الفقهاء، ونحن إن قهرنا اليهود يرحلوا عنّا إلى من يجمعهم فتدركنا المعرة، وتتعطّل أسواقنا. وكان من كيد الطّائفة الملعونة..

الملحق رقم (05): الوجه 01- من الورقة 01- من النّسخة المُصوّرة من مخطوط:

("مصباح الأرواح في أصول الفلاح" لمحمّد بن عبد الكريم المغيلي)

مضمون الملحق رقم (05):

بسم الله الرحمن الرحيم صلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم

كتاب الشّيخ العالم المُحقّق سيّدنا ووسيلنا إلى الله محمّد بن عبد الكريم المغيلي

الحمد لله الذّي أمر بالمعروف ونهى عن المنكر في الأوّلين والآخرين، وأشهد أنّ سيّدنا محمّدا عبده ورسوله خاتم النبيين وإمام المرسلين أنزل عليه كتابه المبين، هدى وبشرى للمومنين، فبلّغ الرّسالة وأدّى الأمانة، ونصح الأمّة، وجاهد في الله حقّ جهاده حتّى نصر الله به الحقّ على الباطل، وأظهر دين الإسلام على كلّ دين، صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلّم تسليماً. من عبد الله تعالى محمّد بن عبد الكريم بن محمّد التّلمساني لطف الله به وبجميع أحبابه، بجاه سيّدنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم، وعلى آله وأصحابه، سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، أمّا بعد.

فإن سألتم عنّي فإنّي بفضل الله أنجو إلاّ كسبي، وكسبي صالحاً من فضل ربي وحسبي خالقي في كلّ أمري، فنعم الحسب يا مولاي حسبي، وكذلك لأنّ كلّ شيء يستند إلى المشيئة والمشيئة لا تستند إلى شيء لأنّها حكم الأزل، وجلّ حكم الأزل عن أن يضاف إلى العلل، فكلّ ما في الكتب والسّنّة من نحو ترتيب الثّواب على الطّاعة، والعقاب على الإضاعة، فمن باب ترتيب المدلول على الدّليل لا من باب التّعليل، وكيف لا وإلهكم إله واحد لا إله غلاّ هو الرّحمن الرّحيم أنّي خالق السّماوات والأرض واختلاف اللّيل والنّهار والفلك التّي تجري في البحر بما ينفع النّاس، وما أنزل الله من السّماء من ماء فأحيى به الأرض بعد موتها، وبثّ فيها من كلّ دابّة وتصريف الرياح والسّحاب المسخّر بين السّماء والأرض لآيات لقوم يعقلون، يعقلون بعقولهم أفكار قلوبهم عن سبل الوهم، فإذا هم مبصرون، لأنّ المطلوب من معرفة المولى جلّ وعلى إنّما هو الاعتقاد الجازم بنفي كلّ نقص وإثبات كلّ كمال كامل التّنزيه عن كلّ نقص وتشبيه وليس من الكمال ما يقتضي لمحال لأنّ عدمه ليس بنقص وغير النّقص لا يخلّ بكمال ويكفي من ذلك كلّه التّصديق الجازم بقوله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

كتاب الطرائف والتلائد من كرامات الشيخين الوالدة والوالد

<u>الملحق رقم (06):</u> الوجه 01- من الورقة 01- من النّسخة المُصوّرة من مخطوط:

<u>("الطّرائف والتّلائذ في مناقب الشّيخين الوالدة والوالد" لمحمّد بن المختار الكبير الكنتي)</u>

<u>مضمون الملحق رقم (06):</u>

بسم الله الرحمن الرحيم وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليما

كتاب الطّرائف والتّلائذ من كرامات الشّيخين الوالدة والوالد، للشيخ الأجلّ والقدوة ( )[6] العلاّمة الرباني ( ) الجهبذ العارف أبكار مخدرات المعارف، منزع درر الكلم الجوامع البديعة، ومجمع البحرين، بحري الحقيقة والشّريعة، البدر المجلي غياهب ليالي التّقليد والجهاد،(...) شيخنا وسيّدنا، وعمدتنا وسندنا، ووسيلتنا إلى ربّنا سيّدي محمّد بن شيخنا السّيّد المختار بن سيدي بابا أحمد بن سيدي أبي بكر الكنتي ثم الوافي رضي الله عنه وأرضاه، وجعل نصيبنا منه أوفر نصيب وأوفاه(...) علينا وعلى المسلمين من بركاته الوافرة وخيراته المتضافرة، بما يجبر الكسر ويسدّ الخلل، ويديم الخير ويصلح العمل. إنّه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العظيم.

قال المؤلّف: حمداً لمن منح أولياءه طرائف الخوارق، وتلائذها، وأسلم إليهم مقاليد الحقائق، وطوقهم قلائدها، وألهمهم معاقد الرّقائق، وألبسهم عوائدها، وأباحهم فوائد الدّقائق فنظموا فرائدها، بعدما هذّبوا النّفوس، وخرقوا عوائدها، وهدموا أسوارها، وأخلوا مراصدها، ورصدتهم الشّياطين فائق ( )[7] وفرقوا حبائلها، ومصايدها، وازّيّنت لهم الدّنيا، فعرفت نفوسهم ( )،فاستقلّوا زوائدها، واستبلوا جرائدها، واستوبلوا أطايبها وحصائرها، فولّت عنهم، وقد نالوا منها، ولم تنل منهم، تحسبهم في منامهم فيها ايقاضا وهم رقود، يقلبهم الحق بالحق في تقلّباتها، ذات يمين الحقيقة، وذات شمال الصّدق، رأوا سرورها غرورا، ونعيمها زورا وهلكا

6- بياض في النصّ.
7- بياض في النصّ.

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله هذا زمام مقسم فقارة اجدلاون لما كمل الخمس
ليال خلون من رمضان عام ثلاثة وأربعين وثلاثمائة وألف جبر تمت خدمة أهل أربعة وهم
السيد العبسي بن جرنسك لمركراع وأهل أولاد اشن محمد احمد بن ... وابا علال براب
الحبيب وعمه سيدي علي بن محمد عبد الرحمن وسيدي محمد بن محمد الحبيب وحماد بن ابا علال واحمد بن عبد الله وأخوه
ابو جمعة لمركراع وسيدي محمد بن الحاج عبد القادر لمرابط وسيدي احمد بن محمد عبد الله وسيدي محمد براب
فويتي الونقالي لمحاكي اعلان وسيدي الحاج محمد بن محمد عبد الله الشلاخ لمرابط والقايد السيد
محمد الحسني ابن محمد الصالح وخطايب احمد الكبراني لمحاتان، وجد فيها اسنة عشر ماية
قيراط واثنا عشر قيراطا نحاسا اثنا بعد اذ خرج منها المحكام بسافية الجنان ماية وخمسة
وسبعون قيراطا نحاسا وبسافية الحمام ماية وتسعة عشر قيراطا نحاسا ومنها
جويدة الكراع السيد العبسي جرنسك اربعون قيراطا نحاسا بسافية الجنان
ابيا لسقي جنان الصفار المرعم، وبقي لأهل الفقارة احدى عشر ماية قيراط
وخمسة وخمسون قيراطا نحاسا قسمة كسر على عدد مواجلها الزمومة يثنا
ماجل واربع وثمانون ماجلا وقيراط عن قيراط لكل ماجل اربعة فاربع
وقيراط ونصف القيراط وثمن قيراط وربع وعدد جويدة الخادم في السيد
العبسي ماية قيراط وثلاثة وعشرون قيراطا نحاسا غير اربعة فاربع ونصف
القيراط كسر على حسب كسر الفورية فبلغت عددها ثلاثة ماجلا وخمسة
فاربع ونصف قيراط فصار مجموع الفقارة قديما وجديدا غير ما للمحكام
ثلاثماية ماجل واربع عشر ماجلا وعشرين فاربع وستة عشر قيراطا والقيراط
وقيراطان وربع من القيراط باربعة فاربع وسبعة فاربع من القيراط وفي الحبوب ربع
من قيراط القيراط التي نقصها اربابها من القيراط والربع الشامل لما سلف
في الجويدة لأهل الفقارة خمس عشر ماجلا وثلاثة فاربع غير ربع قيراط
قسموها على المواجل القديمة بقيراط وربع لكل ماجل وشاطت ثمانية
فاربع غير سبعة فاربع من القيراط وفي الحبوب ربع من قيراط القيراط اضافوها
لما نقص تتميم النقص ماجل وباعوه لحروف الفقارة والكيل ومنه لأهل
الفورية خمس عشر ماجلا وثلاثة فاربع غير ربع قيراط باعوا منها نصف ماجل

الملحق رقم (07): الوجه 01- من الورقة 01- من النّسخة الأصليّة من مخطوط:
("زمام فقّارة أجدلاون التّابعة لقصر أولاد وشن-أدرار")

مضمون الملحق رقم (07):

الحمد لله وحده، وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله، هذا زمام مقسّم فقارة أجدلاون، كما كيل لخمس ليال خلون من رمضان عام ثلاثة وأربعين وثلاثمائة وألف، حين تمّت خدمة أمدل الأكرعة، وهم: السّيّد الفسيان جرزنسكي له كراع، وأهل أولاد أشّن محمد بن أحمد الأنتريتي، وأبا علاّل بن أبا الصّفي، وعمّه سيدي علي بن محمد عبد الرحمن، وسيدي محمد بن محمد الطيب وحماد بن أبا علاّل، وأحمد بن عبد الله، وأخوه أبو جمعة لهم كراع، وسيدي محمد بن الحاج عبد القادر له بئر، وسيدي أحمد بن محمد عبد الله، وسيدي محمد بن أبا قدير الونقاليان لهما كراعان، وسيدي الحاج محمد بن محمد عبد الله الشلاني له بئر، والقايد السيد محمد الحسن بن محمد السالم، وخطابيين أحمد الكبران لهما بئر. وجد فيه ست عشرة ماية قيراط واثنا عشر قيراطا نحاسيا بشقفة أدغَا، منها للحكام بساقية الجنان ماية وخمسة وسبعون قيراطا نحاسيا، وبساقية الحمام ماية وتسعة عشر قيراطا نحاسيا، ومنها جديدا لكراع السيد الفسيان جرزنسكي أربعون قيراطا نحاسيا بساقية الجنان، أيضا لسقي جنان الصفار ( ). وبقي لأهل الفقارة إحدى عشرة ماية قيراط وخمسة وخمسون قيراطا نحاسيا قديمة كسرت على(...)[8]مائتا مؤجل وأربعة وثمانون مؤجلا وقيراط، ثم قيراط لكل مؤجل أربعة قراريط وقيراط ونصف من القيراط، وشاط قيراط وربع قيراط وعود جديد (...)غير السّيد الفسيان مائة قيراط، وثلاثة وعشرون قيراطا نحاسيا غير أربعة قراريط، ونصف من القيراط كسرت على حساب كسر القديم، فبلغت عدّتها ثلاثين مؤجّلا، وخمسة قراريط ونصف قيراط، فصار مجموع الفقارة قديما وجديدا، غير ما للحكّام ثلاثمائة مؤجّل، وأربع عشرة مؤجّلا وعشرة قراريط وستّة عشر قيراطا من القيراط، وقيراطان وربع من قيراط القيراط التّي( ) أربابها من القيراط والربع الشّايط لمّا سيأتي في الجديد لأهل الفقارة خمسة عشرة مؤجّلا وثلاثة قراريط غير ربع قيراط، قسموها على المؤجّل القديمة بقيراط وربع لكل مؤجل وشاطت ثمانية قراريط غير سبعة قراريط من القيراط، وقيراط وربع من قيراط القيراط أضافوها لما( ) تتميما لنصف مؤجل، وباعوه لمصروف الفقارة والكيل. ومنه لأهل الخدمة خمسة عشر مؤجّلا وثلاثة قراريط غير ربع قيراط باعوا منها نصف مؤجّل.

بسم الله الرّحمن الرّحيم، من عبد الله محمّد بن عبد الكريم المغيلي التّلمساني إلى أبي عبد الله محمّد بن يعقوب سلطان كانو، وفّقه الله لما يرضاه، وأعانه على ما أولاه من أمور دينه ودنياه، بجاه سيّدنا محمّد صلوات الله عليه وسلامه.

8- كلمات مبهمة غير مفهومة.

سلام عليكم ورحمة الله، أمّا بعد فإنّك سألتني أن أكتب لك جملة مختصرة فيما يجوز للحُكّام في ردع النّاس عن الحرام، فاعلم أعاننا الله وإيّاك على رعاية ودائعه وحفظ ما أودعنا من شرائعه، أنّه لابدّ من ردع المفاسد الدّينيّة والدّنيويّة بالمقامع الشّرعيّة على حسب الطّاقة البشريّة. ولا يجوز أن يُترك مفسد على فساده مع إمكان ردعه عنه، أو لعنه، أو حبسه، أو ربطه، أو ضربه، أو صلبه، أو قتله، أو نفيه، أو نهب ماله، أو حرق بيته، أو غير ذلك من العُقوبات الشّرعيّة، لكلّ داء دواء، ولكلّ مقام مقال، وفعال بحسب الأفعال.

فصن مقامات الخلافة النّبويّة عن الإهانة، بردع العامّة عن سوء الأدب، بالأقوال والأفعال، وسائر الأحوال، ولا تصبر لمن تعمّد ذلك ولم ينته، لأنّ ردع ذلك ومثله حقّ الله تعالى ورسوله، وامنع جميع أهل بلادك عن جميع أنواع الشّرك، وكشف العورة، وشرب الخمر، وأكل الميتة والدّم، وغير ذلك من المُحرّمات. وامنع كفّار بلادك من أن يظهروا ذلك بين المُسلمين في الأسواق والمنازل، وغيرها من المحلاّت فلولم يتركوا إظهار شرك، أو شرب خمر، أو فطر في رمضان، أو زنا، أو غير ذلك من المُنكرات وأنواع ضلالهم لكان ذلك ذريعة لأن يفعل مثل فعلهم ضعفة العُقول من العامّة، والنّسوان، والصّبيان، لا سيما والغالب على أهل تلك البلاد الجهل والهوى وأصلهم كان ذلك. وقد قال العُلماء الرّجوع إلى الأصل يكون بأدنى سبب، فإنّهم عن ذلك، وأشهر إنكاره وتوعّده بالعُقوبة لمن فعله، ثمّ بعد ذلك عاقبه بأقرب شيء يردعه، ويردع مثله، وإن لم يكن ردعه ومنعه من ذلك إلاّ بقطع يده، أو رجله، أو صلبه، أو قتله، أو غير ذلك من الرّوادع الشّرعيّة فافعله لأنّه ظالم، والظّالم أحقّ أن يحمل عليه. ولكن لا تفعل بالمُفسد ما هو أشدّ في ردعه إلاّ إذا رأيت أنّه يرجع بغيره، مثال ذلك: من لم ينته من النّاس من عمل الخمر إلاّ بنهب أموالهم، أو حرق بيوتهم، أو إجلائهم، أو بيع الكفّار منهم، أو غير ذلك، فافعله ولا تُبال، وكذلك من يغشّ بمسحات ناقصات، وأبى أن ينتهي عن المعاملة بها، فخذها منه واجعلها في مصالح المسلمين، وأمّا من لم يغش بها، ولا أبى أن ينتهي، فمره بإصلاحها إن أراد المُعاملة.

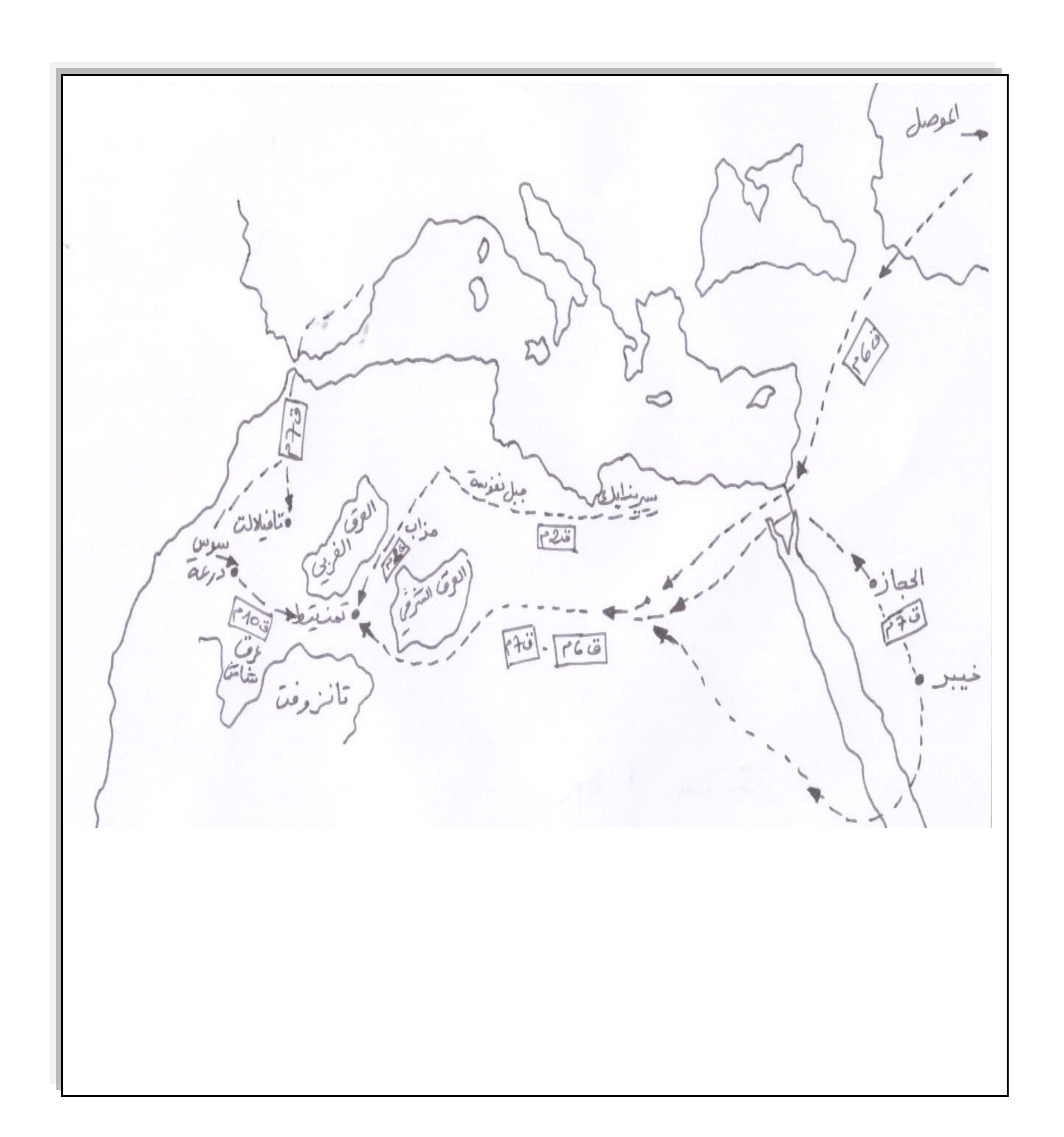
وكذلك من يتلقى ما يأتي للسّوق من طعام وغيره، فيشتريه قبل وُصوله للسّوق أو بعد وصوله ويبيعه على يده، وإن لم ينتهوا إلاّ بنفيهم، أو نهب ذلك منهم فافعل، لأنّ مقصد الشّارع في الرّوادع درء المفاسد وجلب المصالح بحسب الإمكان، في كلّ زمان ومكان، وليس الخبر كالعيان، ولذلك قال الإمام العادل عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه: "تُحدث للنّاس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور"، فلابد من إزالة الفساد على كلّ حال، وإن تعارضت مفسدتان إحداهما أكبر من الأخرى، فدرء المفسدة الكُبرى أولى، وهذا الذّي بيّنا لك، يكفيك إن شاء الله في تلك المناكر، وغيرها، وإنّ النّاس في حكم الله ورسوله سواء، فلا تخرج من ذلك عالماً، ولا عابداً، ولا شريفا، ولا أميراً، وأقم حقّ الله على جميع عباد

الله بالتّقوى لا بالهوى، ومن عارضك في شيء من ذلك فعاقبه، ولا تُبال، ولكن بعد ثبوت، وتثبت في ذلك كلّه، ومقابلة كلّ واحد بما يليق به، بحسب حاله من الخير والشّر، والتّواضع والطّغيان، فتصرّف في ذلك بالزّيادة والنّقصان، حتّى يعتدل الميزان، وليس الخبر كالعيان، والله المُستعان وعليه التّكلان. وفي هذا القدر كفاية لمن سبقت له العناية، وكلّما نوصيك به من أمر دينك ودنياك تعرف ذلك، وإذا نسيت شيئاً منه، فلا تنس أنّ من غيّر حكم الله فقد كفر، ومن تغيير حكم الله أن يكون الظّالم قاضيا، لأنّه يحكم بالظّلم وهو يقول هذا هو الشّرع، ومن فعل ذلك فهو كافر لأنّه صيّر الباطل حقّاً والحقّ باطلاً، فإن كان لابدّ من أن تجعل بعض الظّالمين حاكماً فلا تجعله باسم القاضي، فإنّ القضاء من صفات رسول الله لا يوصف به إلاّ عالم تقيّ لا يأخذ الرّشا ولا يحكم بالهوى.

الله الله الله، وهذه الوصيّة هي أوكد جميع الوصايا، أما يكفيك أن تظلموا باسم السّلطنة، فتكونوا مُذبذبين ترجون رحمة الله ثمّ يظلمون باسم الشّرع حتّى تكونوا كفّاراً، والكافر لا نصيب له من رحمة الله، فطهّر مقام الشّريعة من خبث، لأنّه مقام رسول الله، لعلّ الله أن يغفر لك ذنوبك جميعها، والسّلام على من اتّبع الهُدى.

<u>الملحق رقم (08):</u> رسالة: **" جملة مختصرة فيما يجوز للحكام من ردع النّاس عن الحرام " التّي كتبها المغيلي إلى الأمير عبد الله محمّد بن يعقوب، الشّهير بمحمّد رنفا أمير كانو ببلاد الهوسا في السّودان الغربي،** ضمن كتاب: الألوري، موجز تاريخ نيجيريا، ص ص: 134...136.

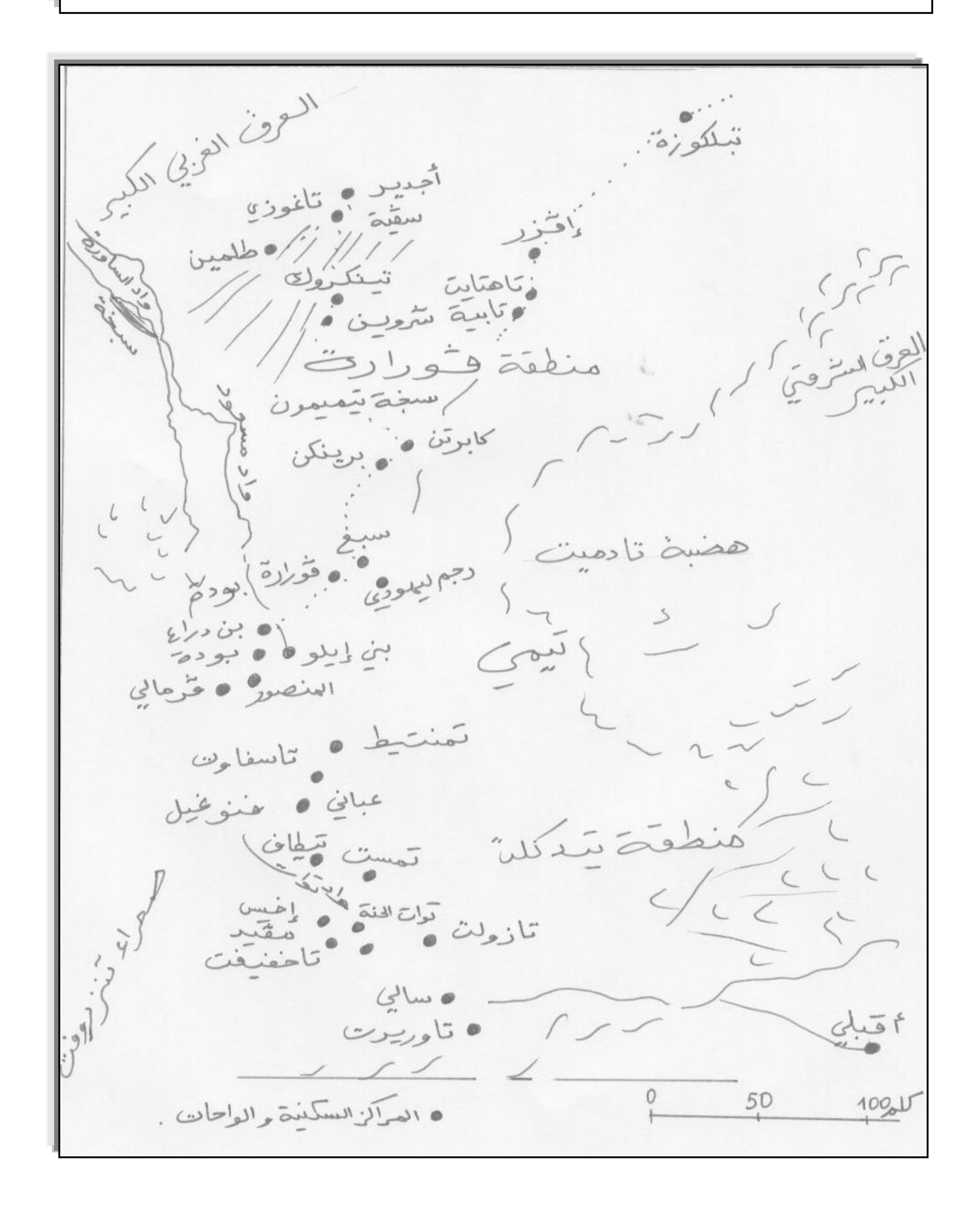
ب- الخرائـــط:

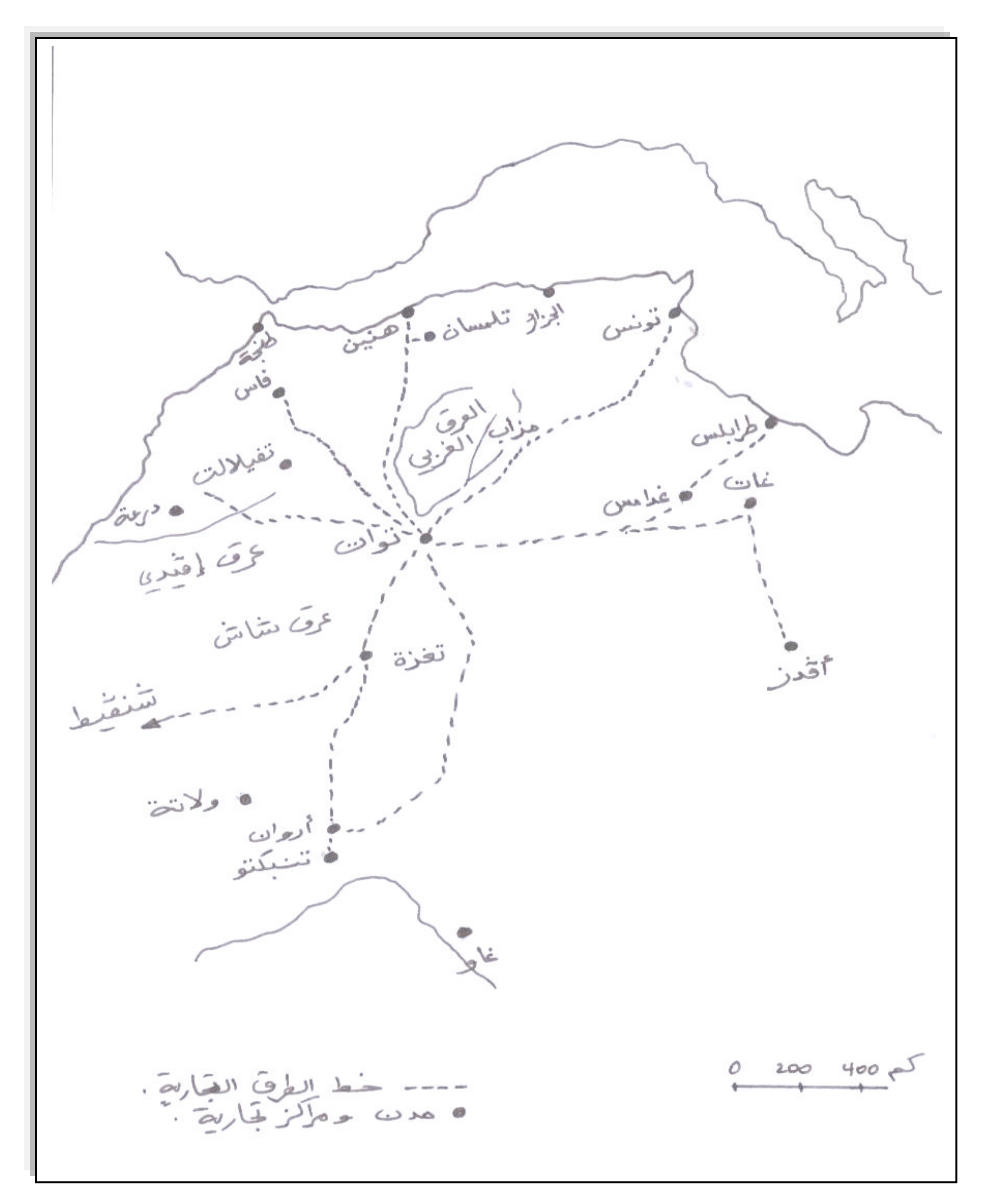


<u>خريطة رقم 01</u>: تمثّل الهجرات اليهوديّة إلى توات(الأصول، الزّمن والطّرق المُتّبعة)

ينظر: -Jacob Oilil, Les Juifs au Sahara ,P: 14 -15.

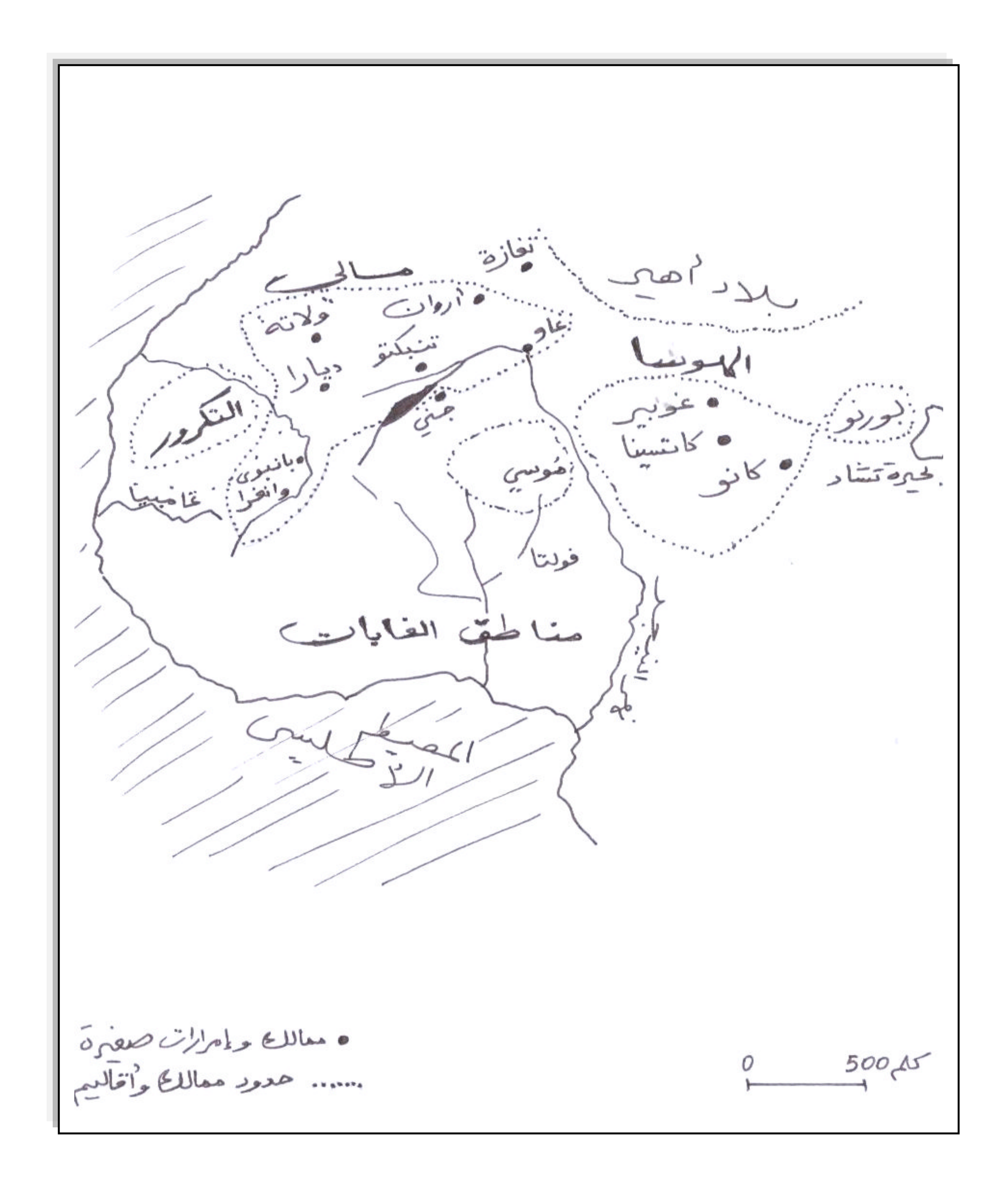
<u>خريطة رقم 02</u>: تمثّل القرى والواحات اليهودية بتوات في القرون الوسطى
نقلاً عن كتاب/ Jacob Oilil, Les Juifs au Sahara ,P 140-





<u>خريطة رقم 03:</u> تمثّل التّجارة المغربية الإفريقيّة وطرقها الصّحراويّة في القرون الوُسطى

نقلاً عن كتاب/ Jacob Oilil, Les Juifs au Sahara ,P: 57.



<u>خريطة رقم 04:</u> تمثّل ممالك السّودان الغربي في القرن الثّامن الهجري(14م)
نقلاً عن كتاب/ عبد القادر زبايدية، مملكة سنقاي في عهد الأسيقيين، ص: 27.

المواضيع:...الصّفحة:

إهداء

كلمة شكر وعرفان

قبس

مقدّمــة:...**(أ-د)**

مدخـل:...**02**

الفصل الأوّل: ترجمة حياة المغيلي وأوضاع عصره.......................................**09**

- **المبحث الأوّل:** ترجمة حياة المغيلي..**10**
- **المبحث الثّاني:** أوضاع عصره...**27**

الفصل الثّاني: الفكر السّياسي عند المغيلي...**41**

- **المبحث الأوّل:** مسائل متعلقة بالخلافة..**42**

أ- تعريف الخلافة، حكمها وفضلها..**43**

ب- حقيقة الخلافة...**45**

ج- كيفية انعقاد الإمامة وشروطها..**46**

د- مسألة انعقاد الخلافة لاثنين..**48**

هـ- مسألة البلاد السّائبة والظّالم أميرها..**48**

- **المبحث الثّاني:** في الأخلاق والآداب السّلطانية......................................**51**

أ- حسن الهيأة وأدب المجلس، والظّهور والحجبة..**53**

ب- الصدق وكتم الأسرار، وحكمة الصّمت والتّثبّت قبل الكلام...............................**56**

ج- تقديم العقل، الفراسة والفطنة، والشّجاعة والجبن..**59**

د- التزام الحيطة والحذر...**61**

هـ- في التّقرّب إلى العُلماء ومشورتهم، وفي الكرم والإحسان...............................**63**

- **المبحث الثّالث:** مقوّمات الدّولة السّلطانية بين الواجبات والحقوق وحسن السّياسة.............**66**

أ- حفظ الدّين وإقامة العُقوبات والحُدود...**67**

ب- في طاعة الأمراء والسّلاطين، وإعانتهم ونُصرتهم.......................................**69**

ج- العدل، والمال...**71**

د- في اختيار العُمّال وترتيب المملكة، والكشف عن أمورها.................................**78**

هـ- في تدبير الجيش وسياسة الحُروب..**87**

<u>الفصل الثّالث</u>: دعوة المغيلي الإصلاحية بتوات والسّودان الغربي................**94**

- **<u>المبحث الأوّل</u>:** توات والسّودان الغربي وأوضاعهما

قبل انتقال المغيلي إليهما...**95**

أ- توات وأوضاعها...**96**

ب- السّودان الغربي وأوضاعها...**102**

- **<u>المبحث الثّاني</u>:** دعوة المغيلي الإصلاحية بتوات.......................................**108**

أ- قضيّة يهود توات...**109**

ب- الإصلاح الديني عند المغيلي...**124**

- **<u>المبحث الثّالث</u>:** دعوة المغيلي الإصلاحية بالسّودان الغربي........................**139**

أ- دعوته الإصلاحية ببلاد الهوسا..**140**

ب- دعوته الإصلاحية بمملكة السّنغاي...**143**

خاتـمة...153

الملاحق والخرائط..158

قائمة المصادر

والمراجع..179

فهرس الموضوعات..196

~~~~
~~~~

- **أوّلاً: قائمة المصادر والمراجع العربيّة**

- القرآن الكريم برواية ورش عن الإمام نافع.

أ-المصادر المخطوطة:

1. **تقييد عمود نسب المغيلي،** موجود بخزانة الشّيخ شاري الطّيّب بن عبد الله البلبالي، كوسام، بلديّة تيمّي، ولاية أدرار، بدون رقم.
2. **زمّام فقّارة أجدلاون،** مخطوطة أصليّة بخزانة الشّيخ شاري الطّيّب بن عبد الله البلبالي، كوسام، بلديّة تيمّي، ولاية أدرار، بدون رقم.
3. الكنتي(محمّد بن المختار الكبير)(ق09هـ/15م)، **الطّرائف والتّلائذ في مناقب الشّيخين الوالدة والوالد،** نسخة مصوّرة بخزانة الشّيخ شاري الطّيّب بن عبد الله البلبالي، كوسام، بلديّة تيمّي، ولاية أدرار، بدون رقم.

- المغيلي(محمّد بن عبد الكريم)(ت:909هـ/1503م):

4. **رسالة الإمارة،** نسخة مصوّرة بخزانة الشّيخ شاري الطّيّب بن عبد الله البلبالي، كوسام، بلديّة تيمّي، ولاية أدرار، بدون رقم.
5. **رسالة الرّدّ على المعتزلة،** نسخة مصوّرة بالمكتبة الخاصّة للدكتور مبروك المصري، الجامعة الإفريقية، ولاية أدرار.
6. **رسالة إلى كلّ مسلم ومسلمة،** نسخة مصوّرة بخزانة الشّيخ شاري الطّيّب بن عبد الله البلبالي، كوسام، بلديّة تيمّي، ولاية أدرار، بدون رقم.
7. **عمّا يجب على المسلمين من اجتناب الكفّار وعمّا يلزم أهل الذّمّة من الجزية والصّغار،** نسخة مصوّرة بخزانة الشّيخ شاري الطّيّب بن عبد الله البلبالي، كوسام، بلديّة تيمّي، ولاية أدرار، بدون رقم.
8. **مصباح الأرواح في أصول الفلاح**، نسخة مصوّرة بخزانة الشّيخ شاري الطّيّب بن عبد الله البلبالي، كوسام، بلديّة تيمّي، ولاية أدرار، بدون رقم.

ب- المصادر المطبوعة:

- ابن الأحمر(إسماعيل)**(ت:**807هـ/1404م):

9. **تاريخ الدولة الزّيّانية بتلمسان،** تحقيق: هاني سلامة، القاهرة: مكتبة الثّقافة الدّينيّة، ط01- سنة 2001م.
10. **روضة النّسرين في دولة بني مرين،** تحقيق: عبد الوهّاب بن منصور، الرّباط: المطبعة الملكيّة، ط 03- سنة 2003م.
11. الأسدي(محمّد بن خليل)، **التّيسير والاعتبار والتّحرير والاختبار فيما يجب من حسن التّدبير والتّصرّف والاختيار،** تحقيق: عبد القادر أحمد طليمات، بيروت: دار الفكر العربي، ط01- سنة 1968م.
12. الأهوازي(أبو الحسين)(ت:436هـ/1044م)، **الفرائد والقلائد،** دراسة وتحقيق: إحسان الثّامري، بيروت: دار ابن حزم- دار الرازي، ط01- سنة 2006م.

13. البخاري(محمد بن إسماعيل)(ت:256هـ)، صحيح البخاري، الرياض: بيت الأفكار الدّولية للنشر والتوزيع، ط01- 1998م.
14. البرتلي(محمد بن أبي بكر الصدّيق)، **فتح الشّكور في معرفة أعيان علماء التّكرور**، تحقيق: محمّد الكتّاني، ومحمد حجّي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط01- سنة1981م.
15. ابن بطّوطة(محمد)(ت:779هـ/1377م)، **تحفة النّظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، تحقيق: محمد عبد الرحيم، بيروت: دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، ط01- سنة2003م.
16. البكري(أبو عبيد الله)(ت:487هـ/1094م)، **كتاب المسالك والممالك**، تحقيق: أدريان فان نيوفن وأندري فيري، تونس: الدار العربية للكتاب وبيت الحكمة، دع- سنة 1992م.
17. **تقييد ما اشتمل عليه إقليم توات من الإيالة السعيدة من القصور ووثائق أخرى**، جمع وتحقيق: عبد الوهّاب بن منصور، الرباط: مطبعة القصر الملكي، دع- سنة1962م.
- التنبكتي(أحمد بابا)(ت:1036هـ/1629م):
18. **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الدّيباج**، تحقيق: علي عمر، القاهرة: مكتبة الثّقافة الدّينية، ط01- سنة 2004م.
19. **نيل الابتهاج بتطريز الدّيباج**، تحقيق: علي عمر، القاهرة: مكتبة الثقافة الدّينيّة، ط 01- سنة2004م.
20. التنسي(محمد بن عبد الله)(ت:899هـ/1493م)، **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان (مقتطف من نظم الدّر والعقيان في بيان شرف بني زيان)**، تحقيق: محمود بوعياد، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، دع- سنة 1985.
21. ابن تيمية(أحمد)(ت:728هـ/1327م)، السّياسة الشّرعية في إصلاح الرّاعي والرّعية، القاهرة: دار المنهاج، ط01- سنة 2002م.
22. الثّعالبي(أبو منصور)(ت:429هـ/1038م)، **آداب الملوك**، تحقيق: جليل العطية، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط01- سنة 1990م.
23. الجاحظ(عمرو بن محبوب)(ت:255هـ/869م)، **التّاج في أخلاق المُلوك**، تحقيق، عمر الطّبّاع، بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطّباعة والنّشر والتّوزيع، ط01- سنة 2002م.
24. الحموي(ياقوت)(ت:626هـ/1229م)، **معجم البلدان**، بيروت: دار إحياء التراث العربي ومؤسسّة التّاريخ العربي، دع س.
25. الحميري(محمّد عبد المنعم)، **الرّوض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق: إحسان عبّاس، بيروت: مكتبة لبنان، ط02- سنة 1984م.
- ابن خلدون(عبد الرّحمن بن محمد)(ت:808هـ/1405م):
26. **المقدّمة**، بيروت: در الجيل، دع س.

27. **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيّام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السّلطان الأكبر**، بيروت: دار الكتب العلميّة، ط01- سنة 1992م.
28. ابن خلّكان(أبو العباس أحمد)(ت:681هـ/1282م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان، تحقيق: إحسان عبّاس، بيروت: دار الثّقافة، دع س.
29. ابن أبي ربيع(شهاب الدين)(ت:272هـ/885م)، **سلوك المالك في تدبير المالك**، تحقيق: ناجي التّكريتي، بغداد: دار الشّؤون الثقافيّة العامّة(آفاق عربية)، ط03- سنة 1987م.
30. ابن رضوان(عبد الله المالقي)(ت:783هـ/1387م)، **الشهب اللاّمعة في السياسة النافعة**، تحقيق: سليمان الرفاعي، بيروت: دار المدار الإسلامي، ط01- سنة 2002م.
31. الزّهري(محمّد بن أبي بكر)، **كتاب الجغرافية**، تحقيق: محمّد حاج صادق، بورسعيد (مصر)**:** مكتبة الثّقافة الدّينيّة، دع س.
32. السّخاوي(شمس الدين محمد بن عبد الرحيم)(ت:902هـ/1496م)، **الضّوء اللاّمع لأهل القرن التّاسع**، بيروت: مكتبة الحياة، دع س.
- السّيوطي(جلال الدّين)(ت:911هـ/1505م):
33. **تاريخ الخلفاء**، تحقيق: جمال محمود، القاهرة: دار الفجر للتراث، ط02- سنة 2004م.
34. **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار الفكر العربي، دع- سنة 1998م.
35. الشّهرستاني(أبو الفتح محمد عبد الكريم)(ولد:479هـ/1086م)، **الملل والنّحل**، بيروت: دار الفكر، ط02، سنة 2002م.
36. ابن طباطبا(محمّد بن علي)(ت:709هـ/1309م)، **الفخري في الآداب السّلطانية والدّول الإسلامية**، تحقيق: عبد القادر مايو، حلب: دار القلم العربي، ط01- سنة 1997م.
37. الطّوسي(نظام الملك)(ت: 485هـ/1092م)، **سياست نامه(سيرة المُلوك)**، ترجمة وتعليق: السيد محمد العزّاوي، القاهرة: دار الرائد العربي، دع س.
38. العاملي(محمّد بن سمّاك)(من علماء ق8-9هـ)، **رونق التّحبير في حكم السّيّاسة والتّدبير**، تحقيق: سليمان القرشي: بيروت: دار الكتب العلميّة، ط01- سنة 2004م.
39. ابن عبد الرّحيم(محمّد الطّيّب المعروف بابن بابا حيدة)(ولد: 1184هـ/1780م)، **القول البسيط في أخبار تمنتيط**، تحقيق: فرج محمود فرج، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية والمؤسّسة الوطنية للكتاب، دع- سنة 1977م.

40. ابن عبد الكريم(محمّد)(ت:1133هـ/1729م)، **أضواء على إقليم توات**، تحقيق: مبروك مقدم، تلمسان: مؤسّسة الجزائر كتاب، ط 01- سنة2002م.

41. أبو عبيد(القاسم بن سلام)(ت:224هـ/838م)، **كتاب الأموال**، بيروت: دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، ط01- سنة1988.

42. ابن عسكر(محمّد الحسني الشفشاوني)(ت:986هـ/1578م)، **دوحة النّاشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر**، تحقيق: محمّد حجّي، الرّباط، دار المغرب للتّأليف والتّرجمة والنّشر، ط02- سنة 1977م.

43. الغزال(أحمد بن المهدي)، **نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد (رحلة الغزال)**، تحقيق: إسماعيل العربي، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعيّة، دع- سنة 1982م.

- الغزالي(أبو حامد)(ت:505هـ/1111م):

44. **الاقتصاد في الاعتقاد**، تقديم وتعليق: علي بوملحم، بيروت، دار مكتبة الهلال، ط01- سنة1993م.

45. **التّبر المسبوك في نصيحة الملوك**، بيروت: دار الكتب العلمية، ط01- سنة 1988م.

46. **رسالة خلاصة التّصانيف في التّصوّف**، ضمن كتاب: مجموعة رسائل الإمام الغزالي، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 01- سنة 2006م.

47. ابن فرحون(إبراهيم بن نور الدين المالكي)(ت:799هـ/1397م)، **الدّيباج المذهّب في معرفة أعيان علماء المذهب**، دراسة وتحقيق، مأمون الجنّان، بيروت: دار الكتب العلميّة، ط01- 1996م.

48. القاشاني(عبد الرزاق)(ت:730هـ/1329م)، **اصطلاحات الصّوفية**، تحقيق: عاصم إبراهيم الكيالي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط01- سنة 2005م.

49. ابن القاضي(أحمد)(ت:1025هـ/1616م)، **لقط الفرائد من لفاظة حقق الفوائد**- ضمن كتاب: ألف سنة من الوفيات- تحقيق: محمّد حجّي، الرّباط: دار المغرب، دع- سنة 1976م.

- ابن القنفذ(أحمد)(ت:809هـ/1406م):

50. **شرف الطالب في أسنى المطالب**- ضمن كتاب: ألف سنة من الوفيات- تحقيق: محمّد حجّي، الرّباط: دار المغرب، د ع- سنة 1976م.

51. **كتاب الوفيات**، تحقيق: عادل نويهض، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ط04- سنة1983م.

52. ابن قيّم الجوزية(محمّد بن أبي بكر)(ت:751هـ/1350م)، **أحكام أهل الذمّة**، تحقيق: صبحي الصّالح، دمشق: مطبعة الجامعة، ط01- سنة 1961م.

53. الكنتي(المختار الفهري)(ت1286هـ/1869م)،**خطبة العيدين**،تحقيق:حبيب الله عمر،دع س.

- الماوردي(أبو الحسن)(ت:450هـ/1058م):

54. **أدب الدّنيا والدّين**، تحقيق: محمد السيد ومحمد الشرفاوي، بيروت: مؤسسة الرسالة ناشرون، ط01- سنة2004م.
55. **الأحكام السّلطانية والولايات الدّينيّة**، تحقيق: سمير مصطفى، بيروت: المكتبة العصريّة، ط01- سنة 2000م.
56. **تسهيل النّظر وتعجيل الظّفر في أخلاق الملك وسياسة الملك**، تحقيق: محيي هلال السرحان، بيروت: دار النهضة العربية، ط01- سنة 1981م.
57. مجهول، **آخر أيّام غرناطة(نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر)**، تحقيق: محمّد رضوان الدّاية، دمشق: **دار** الفكر، ط02- سنة2002**م.**
58. المرادي(محمد الحضرمي)(ت:575هـ/1179م) ، السّياسة أو الإشارة في تدبير الإمارة، تحقيق: سامي النّشار، الدار البيضاء: دار الثقافة، ط01- سنة 1981م.
59. ابن مريم(أبو عبيد الله محمد)(ت:1014هـ/1605م)، **البستان في ذكر الأولياء والعُلماء بتلمسان**، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعيّة، د ع- سنة1986م.

- المغيلي(محمّد بن عبد الكريم)(ت:909هـ/1503م):

60. **أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي**، تقديم وتحقيق: عبد القادر زبايديّة، الجزائر، الشركة الوطنية للنّشر والتوزيع، ط01- سنة 1947م.
61. **جملة مختصرة فيما يجوز للحكام من ردع النّاس عن الحرام**، ضمن كتاب: الألوري آدم عبد الله، موجز تاريخ نيجيريا، بيروت: دار مكتبة الحياة، دع- سنة 1965م.
62. **مصباح الأرواح في أصول الفلاح**، تقديم وتحقيق: رابح بونار، الجزائر: الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، دع- سنة 1968م.

- ابن المقفّع(عبد الله)(ت:142هـ/759م):

63. **الأدب الكبير**، تحقيق: أحمد زكي باشا، بيروت: دار ابن حزم، ط01- 2003م.
64. **الأدب الصّغير**، تحقيق:أحمد زكي باشا، بيروت: دار ابن حزم، ط01- 2003م.
65. النّاصري(أبو العبّاس أحمد بن خالد السّلاوي)(ت:1315هـ/1897م)، **الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق: جعفر النّاصري ومحمّد النّاصري، الدّار البيضاء : دار الكتاب ، دع- سنة 1955م.
66. ابن هشام(عبد الملك)(ت:218هـ/833م)، **السّيرة النّبويّة**، تحقيق: سعيد اللحام، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتّوزيع؛ دع- سنة 2003م.
67. الوزّان(الحسن)(ت:957هـ/1552م)، **وصف إفريقيا**، ترجمه عن الفرنسية: محمّد حجّي ومحمّد الأخضر، بيروت: دار الغرب الإسلامي- الرّباط: الشّركة المغربية للناشرين المتّحدين، ط 02- سنة1983م.

- الونشريسي(أحمد بن يحي)(ت914هـ/1507م):

68. **المعيار المُعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب**، تحقيق: مجموعة من الدّكاترة بإشراف محمّد حجّي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، دع س.

69. **كتاب الوفيات** -ضمن كتاب: ألف سنة من الوفيات- تحقيق: محمّد حجّي، الرّباط: دار المغرب، دع- سنة 1976م.
70. أبو يوسف(يعقوب بن إبراهيم)(ت:182هـ/798م)، كتاب الخراج، تحقيق: طه سعد وسعد محمد، القاهرة: المكتبة الأزهريّة للتراث،دع- سنة 1999م.

ج- <u>المراجع العربية</u>:

- آدم عبد الله الألوري:
71. **موجز تاريخ نيجيريا**، بيروت: دار مكتبة الحياة، دع- سنة 1965م.
72. **الإمام المغيلي وآثاره في الحكومة الإسلامية في القرون الوسطى في نيجيريا**، القاهرة: مكتبة ومطبعة الحلبي، ط 01- سنة 1974م.
- إسماعيل العربي:
73. **الصّحراء الكبرى وشواطئها**، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ط01- سنة 1983م.
74. **تاريخ الرّحلة والاستكشاف في البر والبحر**، الجزائر: المؤسسة الوطنيّة للكتاب، دع- سنة 1986م.
75. إبراهيم بك حليم، **الدّولة العثمانيّة العليّة(التّحفة الحليميّة في تاريخ الدّولة العُثمانيّة)**، بيروت: دار عالم الكتب، ط01- سنة 2002م.
76. إبراهيم علي طرخان، **مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة(1382-1517م)**، القاهرة: مكتبة النّهضة المصريّة، دع- سنة 1960م.
77. أحمد بكير محمود، **المدرسة الظّاهريّة بالمشرق والمغرب**، بيروت: دار قتيبة للطباعة والنّشر والتّوزيع، ط 01- سنة 1990م.
78. أحمد عرفات القاضي، **التّربية والسّياسة عند أبي حامد الغزالي**، القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، دع- سنة 2000م.
79. أحمد وهبان، **الماوردي رائد الفكر السّياسي الإسلامي**، الإسكندرية: دار الجامعة الجديدة، دع- سنة 2001م.
80. أنور الرفاعي، **النظم الإسلامية**، دمشق: دار الفكر، ط01، سنة 1973.
81. بشار قويدر، **دراسات في النظم الإسلاميّة**، الجزائر: منشورات دحلب، دع س.
82. أبو بكر إسماعيل ميقا، **الحركة العلمية والثّقافيّة والإصلاحية في السّودان الغربي من 400هـ إلى1100هـ**، الرّياض: مكتبة التوبة، ط01- سنة 1997م.
83. بكر مصباح تنيرة، **تطوّر الفكر السّيّاسي في العصور القديمة والوُسطى(دراسة مناهجيّة مقارنة بين الحضارات)**، بنغازي (ليبيا)، جامعة قار يونس، ط01- سنة 1994م.
84. بوداود عبيد، **ظاهرة التّصوّف في المغرب الأوسط ما بين القرنين السّابع والتّاسع الهجريين(13-15م)**، دراسة في التّاريخ السّوسيو ثقافي، وهران: دار الغرب للنشر والتوزيع، ط01- سنة 2003م.

85. جوان جوزيف، **الإسلام في ممالك وإمبراطوريات إفريقيا السّوداء**، ترجمة: مختار السّويفي، القاهرة: دار الكتاب المصري- بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط01-سنة 1984م.
86. جورج سعد، **تطوّر الفكر السّياسي في العصور القديمة والوسطى**، بيروت: منشورات الحلبي الحقوقيّة، دع- سنة 2000م.
87. حسن أحمد محمود، **الإسلام والثقافة العربيّة في إفريقيا**، القاهرة، دارالفكر العربي، دع- سنة1998م.
88. حسين فوزي النجّار، **الإسلام والسّيّاسة**، القاهرة: دار المعارف، دع- سنة 1995م.
89. خالد الحميدي، **نشوء الفكر السّياسي الإسلامي من خلال صحيفة المدينة**، بيروت: دار الفكر اللبناني، ط01- سنة 1994م.
90. خير الدين الزّركلي، **الأعلام: قاموس تراجم لمشاهير العالم**، بيروت: دار العلم للملايين، ط08- سنة 1989م.
91. سير توماس.و.أرنولد، **الدّعوة إلى الإسلام**- بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلاميّة- ترجمة: حسن إبراهيم حسن وآخرون، القاهرة: مكتبة النّهضة المصريّة، ط04- سنة 1971م.
92. الصّدّيق حاج أحمد، **التّاريخ الثقافي لإقليم توات من ق11 إلى ق14هـ**، أدرار: مديريّة الثقافة، ط01- سنة 2003م.
93. عادل فتحي ثابت، **شرعيّة السّلطة في الإسلام** (دراسة مقارنة)، الإسكندريّة: دار الجامعة الجديدة، ط01- سنة 1996م.
94. عبد الحميد بكري، **النبذة في تاريخ توات و أعلامها (ق 09 ... ق 14هـ)**، عين مليلة (الجزائر): شركة دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع، ط01- سنة 2005م.
95. عبد الحميد حاجيات وآخرون، **الجزائر في التاريخ- العهد الإسلامي**- الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، دع- سنة 1984م.
96. عبد الحميد حاجيات، **أبو حمّو موسى الزّيّاني حياته وآثاره**، الجزائر: الشّركة الوطنيّة للنّشر و التّوزيع، ط01- سنة 1974م.
97. عبد الرّحمن الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعيّة، ط07- سنة 1994م.
98. عبد العزيز بن عبد الله، **الموسوعة المغربية للأعلام البشريّة والحضاريّة**، الرّباط: مطبوعات وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلامية المغربية، دع- سنة 1976م.
99. عبد الفتّاح الغنيمي، **حركة المد الإسلامي في غرب إفريقيا**، القاهرة: مكتبة نهضة الشّرق، دع س.
- عبد القادر زبايدية:

100. **الحضارة العربيّة والتّأثير الأوربّي في إفريقيا الغربية جنوب الصّحراء**-دراسات ونصوص- الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، دع- سنة 1985م.

101. **مملكة سنقاي في عهد الأسيقيين(1493م-1591م)**، الجزائر: الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، دع س.

102. عبد القادر طوبال، **تاريخ مدينة حمو موسى في الماضي والحاضر**، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، دع- سنة 1986م.

103. عبد الكريم كريّم، **المغرب في عهد الدّولة السّعدية** (دراسة تحليلية لأهم التّطوّرات السّيّاسية ومختلف الظّواهر الحضارية)، الرّباط: جمعيّة المؤرّخين المغاربة، ط03- سنة 2006م.

104. عبد المنعم الحنفي، **الموسوعة الفلسفيّة**، تونس: دار المعارف للطباعة والنشر، دع- سنة 1992م.

105. عزّ الدين علاّم، **السلطة والسياسة في الأدب السلطاني**، الدار البيضاء، دار إفريقيا الشّرق، دع- سنة1991م.

106. عطا علي محمّد شحاتة ريّة، **اليهود في المغرب الأقصى في عهد المرينيين والوطّاسيين**، دمشق: دار الكلمة ودار الشفيق للطباعة والنّشر والتّوزيع، ط01- سنة1999م.

107. علي أيّوب الناجي، **لمحات عن الإسلام في نيجيريا بين الأمس واليوم، الكويت: دار الكتاب الحديث**، دع س.

108. علي عبد الرازق، **الإسلام وأصول الحكم**، نقد وتعليق: ممدوح حقي، بيروت:دار مكتبة الحياة، دع- سنة 1966م.

109. عمار بوحوش، **تطوّر النّظريّات والأنظمة السّيّاسيّة**، الجزائر: الشركة الوطنيّة للنّشر والتوزيع، ط01- سنة 1977م.

110. عمّار هلال، **الطرق الصّوفية ونشر الإسلام والثّقافة العربيّة في غرب إفريقيا السّمراء**، الجزائر: المؤسّسة الوطنيّة للفنون المطبعيّة، دع - سنة 1988م.

111. عمر عبد العزيز، **تاريخ المشرق العربي مابين 1516- 1922م**، الإسكندريّة: دار المعرفة الجامعيّة، دع- سنة 1993م.

112. عمر عبد الله كامل، التّصوّف بين الإفراط والتّفريط، بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنّشر والتّوزيع، ط01- سنة 2001م.

113. فرج محمود فرج، **إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين**، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب وديوان المطبوعات الجامعيّة، دع- سنة 1977م.

114. الفلاتي، **الفلاتة في إفريقيا ومساهمتهم الإسلاميّة و التنمويّة في السّودان**، الكويت: دار الكتاب الحديث: ط01- سنة 1994م.

115. فوزي سعد الله، **يهود الجزائر هؤلاء المجهولون**، الجزائر: شركة دار الأمّة، دع- سنة 1996م.
116. فيليب حتّي وآخرون، **تاريخ العرب**: مطوّل، بيروت: دار الكشّاف، ط04- سنة 1965م.
117. أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط01- سنة 1998م.
118. كمال أبو مصطفى، **جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدّينيّة والعلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي**، الإسكندريّة: مركز الإسكندريّة للكتاب، دع- سنة 1996م.
119. المبروك الهادي الدّالي، **التاريخ الحضاري لإفريقيا فيما وراء الصحراء(من نهاية القرن15إلى بداية القرن 18م)**، طرابلس: مطابع الوحدة العربية، ط01- سنة 2000م.
- مبروك مقدم:
120. **الإمام محمّد بن عبد الكريم المغيلي من خلال المصادر والوثائق التّاريخيّة**، تلمسان: مؤسّسة الجزائر كتاب، ط 01- سنة 2002م.
121. **الشّيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وأثره الإصلاحي بإمارات وممالك إفريقيا الغربيّة خلال القرن 8-9-10هـ/15-16-17م**، وهران: دار الغرب للنشر والتوزيع، ط01- سنة 2002م.
122. محمّد أبو زهرة، **الجريمة و العُقوبة في الفقه الإسلامي**، القاهرة: دار الفكر العربي، دع س.
123. محمّد الأمين بلغيث، **النّظريّة السّياسيّة عند المرادي وأثرها في المغرب والأندلس**، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، ط01- سنة 1989م.
124. محمّد العروسي المطوي، **السّلطنة الحفصيّة- تاريخها السّيّاسي ودورها الحضاري في المغرب الإسلامي**- بيروت: دار الغرب الإسلامي، دع- سنة 1986م.
125. محمّد النقيرة، **انتشار الإسلام في إفريقيا ومناهضة الغرب له**، الرّياض: دار المرّيخ، ط01- سنة1982م.
126. محمّد باي بلعالم، **الرّحلة العليّة إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات، وما يربط توات من الجهات**،الجزائر: دار هومة: ط01- سنة 2005م.
127. محمّد جلال شرف، **نشأة الفكر السّياسي وتطوّره في الإسلام**، بيروت: دار النّهضة العربية، دع- سنة 1982م.
128. محمّد حجّي، **الحركة الفكريّة بالمغرب في عهد السّعديين**، الرّباط: دار المغرب للتّأليف والتّرجمة والنّشر، دع- سنة 1976م.

129. محمّد عبد الله عنان، **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين (العصر الرابع من كتاب دولة الإسلام في الأندلس)**، القاهرة: مطبعة لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر، ط03 - سنة 1966م.
130. محمّد عزيز نظمي، **الفكر السّياسي والحكم في الإسلام**، الإسكندريّة: مؤسسة شباب الجامعة، دع س.
131. محمد علي الصّلابي، **الدّولة العثمانية: عوامل النّهوض وأسباب السّقوط**، القاهرة: دار النّشر والتّوزيع الإسلاميّة، ط 02- سنة 2004م.
132. محمّد علي العيني- سيمور منير ف.ج، **عبد القادر الجيلاني شيخ كبير من صُلحاء الإسلام**، ترجمة: محمّد حجّي ومحمّد الأخضر، الدّار البيضاء: دار الثّقافة للنشّر والتوزيع، ط01- سنة 1993م.
133. محمّد منير سعد الدّين، **المدرسة الإسلاميّة في العصور الوسطى**، بيروت: المكتبة العصريّة، ط01- سنة1995م.
134. محمود بوعيّاد، **جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن 09هـ/15م**، الجزائر: الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، دع- سنة1982م.
135. مصطفى أبو ضيف، القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين و بني مرين، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، دع- سنة 1982م.
136. مولاي التهامي، **سلسلة النوات في إبراز شخصيات من علماء وصالحي إقليم توات**، أدرار: المطبعة الحديثة للفنون المطبعيّة، ط01- سنة 2005م.
137. مونتغمري وات، **الفكر السّيّاسي الإسلامي(المفاهيم الأساسيّة)**، ترجمة: صبحي حديدي، بيروت: دار الحداثة للطباعة والنّشر والتّوزيع، ط01- سنة 1981م.
138. ناظم الجاسوري، **موسوعة علم السّيّاسة**، عمّان: دار مجدلاوي للنّشر والتّوزيع، ط01-سنة 2004م.
- يحيى بوعزيز:
139. **أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة**، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط 02- سنة1995م.
140. **تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع ق 16إلى مطلع ق20م**، الجزائر: دار هومة، دع- سنة2001م.
141. يوسف القرضاوي، **غير المسلمين في المُجتمع الإسلامي**، بيروت: مؤسسة الرّسالة: ط06- سنة 1994م.

د- الرّسائل الجامعيّة، المقالات (المجلاّت والمهرجانات)، واللّقاءات:

1- الرّسائل الجامعيّة:

142. أحمد الحمدي، **محمد بن عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكريّة بتوات عصره وآثاره**، رسالة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، بإشراف:

د.عبد المجيد بن نعمية(نوقشت بكلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية-جامعة وهران- الموسم الجامعي: 1999-2000م).

143. أحمد بوعتروس، **الحركات الإصلاحيّة في إفريقيا جنوب الصّحراء إبّان ق13هـ/19م، رسالة ماجستير في التّاريخ الحديث**، بإشراف د. عبد الكريم صفصاف(نوقشت بقسم التّاريخ- كلّية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية- قسنطينة، الموسم الجامعي: 1994-1995م).

144. إسماعيل زرّوخي، **الفكر السّيّاسي عند ابن خلدون وابن الأزرق**، رسالة ماجستير في الفلسفة بإشراف د.عبد الرزاق قسّوم،(نوقشت بمعهد الفلسفة- جامعة الجزائر،الموسم الجامعي: 1988-1989م).

145. بهيّة بن عبد المومن، **الحياة الاجتماعية بإقليم توات خلال القرنين 18و19م**، مذكّرة ماجستير في التّاريخ والحضارة الإسلاميّة، بإشراف د. محمد بن معمر(نوقشت بكلّية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية-جامعة وهران، الموسم الجامعي: 2005-2006م).

146. عبد الله عبّاس، **الدور الحضاري لإقليم توات وتأثيراته الحضاريّة في بلاد السّودان الغربي بين القرنين 9و10هـ/15و16م**، رسالة ماجستير في التّاريخ الوسيط، بإشراف د.بشّار قويدر، (نوقشت بقسم التّاريخ، كلّية العلوم الإنسانية-جامعة الجزائر، الموسم الجامعي: 2000-2001م).

147. محمّد حوتية، **قبيلة كنتة بين إقليمي توات والأزواد- دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلّية أثناء القرنين 12-13هـ/18-19م**- رسالة ماجستير في التاريخ المعاصر، بإشراف: د. ناصر الدين سعيدوني، (نوقشت بمعهد التاريخ- جامعة الجزائر- الموسم الجامعي:1992/ 1993م).

2- <u>المقالات</u> (<u>المجلاّت والمهرجانات</u>):

148. أحمد الحمدي، **محمد بن عبد الكريم المغيلي من خلال بعض آثاره المخطوطة**، <u>المجلّة الجزائريّة للمخطوطات</u> (يصدرها مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال إفريقيا، جامعة وهران)، ربيع الأول 1424هـ/جوان2003م، ع:01.

149. أحمد توفيق المدني، **انهيار بلاد الأندلس وموقف دول الإسلام واسطنبول من ذلك**، <u>مجلة الأصالة</u>، رمضان- شوّال 1395هـ/سبتمبر- أكتوبر 1975م، السّنة 04، ع:27.

150. أحمد شرشال، **دعوة الشّيخ المغيلي في غرب إفريقيا**، <u>مجلّة المرابطون</u>(مجلّة ثقافية إسلامية تصدر عن معهد العُلوم الإسلاميّة والعربيّة بموريتانيا)،السّنة1995/03-1996م، ع: 03.

151. أحمد عروة، الفكر السّياسي في العالم الإسلامي المعاصر(متاهات وعلامات)، <u>مجلّة الموافقات</u>(تصدرها جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة)، الجزائر: شركة دار الأمة، ذي الحجة 1412هـ/جوان 1992م، ع:01.

152. آدم عبد الله الألوري، **الشّيخ محمّد بن عبد الكريم**، من أعمال المهرجان الثقافي الأول للتعريف بمنطقة أدرار (13-14شعبان/03-04ماي1985م)، الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، دع- سنة 1988م.
153. الأمين عوض الله، **تجارة القوافل بين المغرب والسّودان الغربي وآثارها الحضارية حتى نهاية القرن 19م**، مجلّة البحوث والدراسات العربية(تصدرها المنظّمة العربية للتّربية والثّقافة والعلوم)- عدد خاص بتجارة القوافل- بغداد، سنة 1984م.
154. البكري بكري، **تمنتيط رمز تاريخ وعنوان حضارة**، مجلّة الحضارة الإسلاميّة(يصدرها المعهد الوطني العالي للحضارة الإسلامية بوهران)، السنة 01-1993م، ع:01.
155. حسني الطّنطاوي، **من روائع التّراث السّيّاسي الإسلامي(تاج الدين فيما يجب على الملوك والسّلاطين)**، مجلّة المجتمع الإماراتيّة، تصدر بإمارة دبي، تاريخ العدد:11-01-2003، ع: 1534.
156. الصّديق حاج أحمد، **أضواء على تاريخ العلاّمة محمّد بن عبد الكريم المغيلي**، مجلّة القصر(تصدر عن دار الثّقافة لولاية أدرار-الجزائر)، أفريل 2003م، العدد التّجريبي.
157. عبد الرّحمن شيبان، **من مآثر محمّد بن عبد الكريم المغيلي- جهاد من أجل الوحدة الإفريقيّة والإسلاميّة- مجلّة الثّقافة** (تصدرها وزارة الثّقافة والسّيّاحة الجزائريّة)،جويلية-أوت1985، ع: 88.
158. عبد العلي الودغيري، **ملامح من التّأثير المغربي في الحركة الإصلاحيّة للشّيخ عُثمان بن فودي**- حوليّات الجامعة الإسلاميّة بالنيّجر(تصدرها منظّمة المؤتمر الإسلامي)، سنة 1419هـ/1998م، ع: 04.
159. عبد القادر زبايدية، **الشّيخ محمّد بن عبد الكريم المغيلي جهوده وشهرته خارج الجزائر**، من أعمال المهرجان الثقافي الأول للتعريف بمنطقة أدرار (13-14شعبان/03-04 ماي1985م).
160. عبد الله عنان، **موقف القسطنطينية وباقي العالم الإسلامي من سقوط الأندلس ومسلميها**، مجلّة الأصالة، رمضان- شوّال 1395هـ/سبتمبر-أكتوبر1975م، السّنة04،ع: 27.
161. عزيز بطران، **الشّيخ المختار الكنتي الكبير ودوره في نشر الإسلام والطّريقة القادريّة في الصّحراء وغرب إفريقيا**، مجلّة البحوث التّاريخيّة (يصدرها مركز دراسات جهاد الليبيين ضدّ الغزو الإيطالي بطرابلس الليبية)، ع: 02.
162. عمّار هلال، **مقارنة بين آثار وجهود المغيلي وعُثمان دان فوديو في العالم والدّعوة إلى إصلاح أحوال المُسلمين**، من أعمال المهرجان الثقافي الأول للتعريف بمنطقة أدرار (13- 14 شعبان/03- 04 ماي1985م).

163. محمّد باي بلعالم، **التّعريف ببعض الجوانب من منطقة توات الجزائريّة وحضارتها**، من أعمال المهرجان الثقافي الأول للتعريف بمنطقة أدرار (13-14شعبان/03-04ماي1985م).

164. محمّد كبير يونس، **عبد الله بن فودي وحياته العلميّة**، مقال خاص بحوليّات الجامعة الإسلاميّة بالنّيجر، سنة 1419هـ/1998م، ع: 04.

165. محمود بوعيّاد، **رحّالة مصري يزور الجزائر في ق09هـ**، مجلّة الأصالة (تصدرها وزارة الشّؤون الدينية والتّعليم الأصلي الجزائرية)،ربيع الأوّل-ربيع الثّاني1395هـ/مارس- أبريل1975م، ع: 24.

166. المهدي البوعبدللي، **أضواء على تاريخ مدينة تمنتيط ودور الإمام المغيلي بها في قضيّة يهود توات**، من أعمال المهرجان الثقافي الأول للتعريف بمنطقة أدرار (13- 14 شعبان/03- 04 ماي1985م).

167. وداد القاضي، **النّظريّة السّياسية للسّلطان أبي حمّو الزّيّاني الثاني ومكانتها بين النّظريّات السّياسيّة المُعاصرة لها**، مجلّة الأصالة، رمضان-شوّال1395هـ/سبتمبر-أكتوبر1975م، السّنة 04، ع: 27.

168. وفد دولة مالي، **الشّيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي**، من أعمال المهرجان الثقافي الأول للتعريف بمنطقة أدرار (13- 14 شعبان/03- 04 ماي 1985م).

4- اللّقاءات:

169. لقاء مع الأستاذ **الصّدّيق حاج أحمد آل المغيلي**، من أحفاد الشّيخ المغيلي، ومن القائمين على خزانته بالزّاوية، وأستاذ فقه اللغة بالجامعة الإفريقية- ولاية أدرار، بتاريخ: 15-01-2007م.

170. لقاء مع الشّيخ **عبد الله عزيزي** مقدّم زاوية مولاي سليمان ببيته، بقصر أولاد وشّن- ولاية أدرار، بتاريخ: 20-01-2007م.

ثانيا: المراجع والمقالات باللّغة الفرنسية

أ- المراجع:

171. A-G-P.Martin, **A la Frontière du Maroc (Les Oisis Saharienne : Gourara- Touat- Tidikelt)**, Alger: Edition de l'imprimerie Algérienne, 1908.

172. A-G-P.Martin, **Quatre Siècles D'histoire Marocaine (au Sahara de 1504 à 1902-au Maroc de 1894 à 1912**), Paris: Librairie Félix Alcan-1923.

173. Echallier (J.C), **Village désertés et Structures agraires anciennes du Touat, Gourara Algérien,** Paris: AMG, S.D 1972.

174. Jacob Oilil, **Les Juifs au Sahara (Le Touat au Moyen Age)**, Paris : Edition (CNRS Histoire) -1994.

175. Sékéne Mody Cissoko, **Tombouctou et l'empire Songhay (Epanouissement du Soudan Négérien)**, Paris : L'harmattan, 1996.

ب- المـقالات:

176. L.Boulga, **Abdelkrim Maghili**, Bulletin de la société de géographie et d'archéologie d'Oran, Année 1980.

177. Selka Abderrahman, **Notice sur le Touat**, Bulletin de la société de géographie d'Alger et du l'Afrique du Nord.3eme trimestre 20-11-1922.